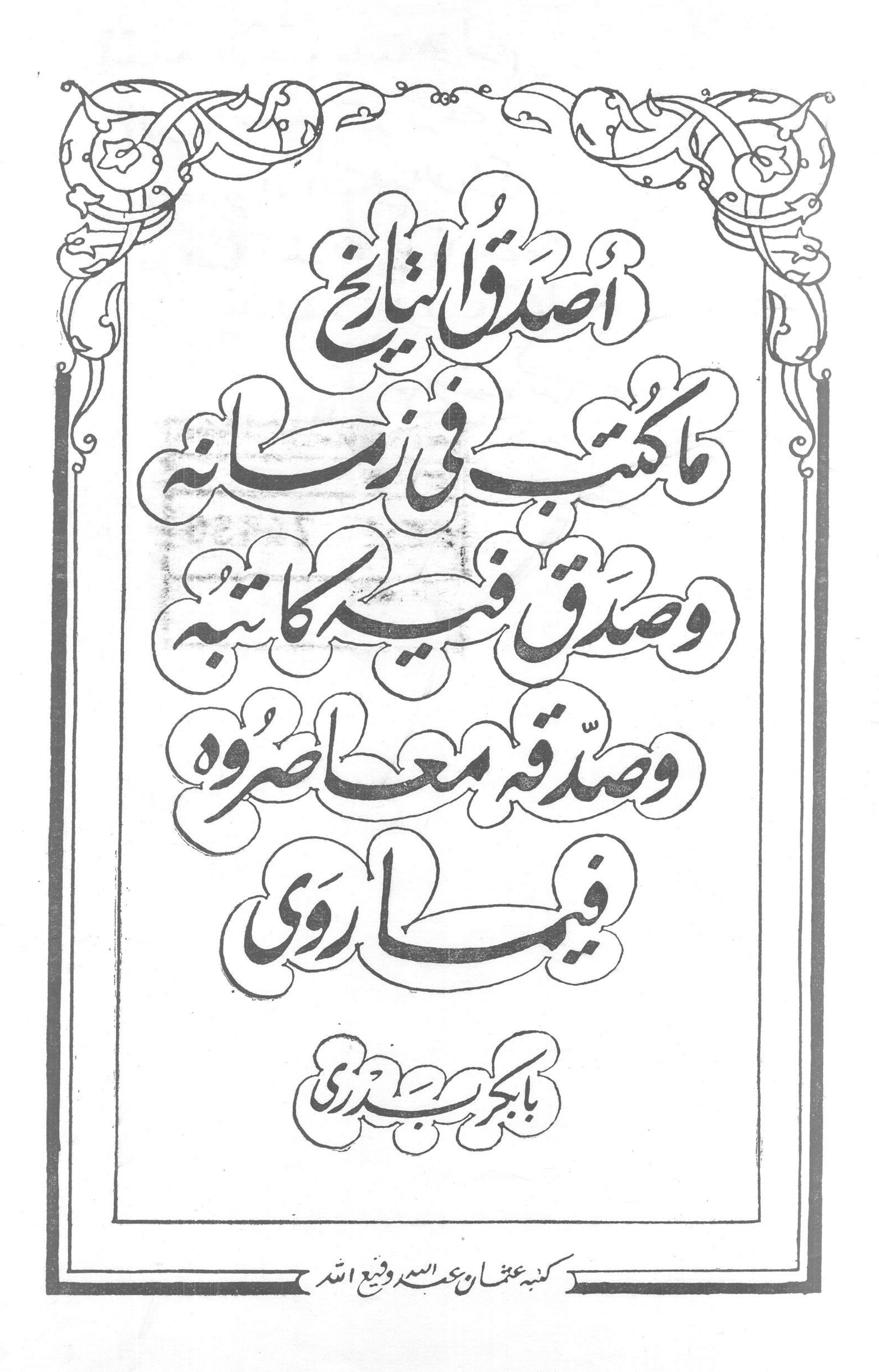


اصدق التاریخ
ما کتب فی زمانہ
وصدق فیہ کاتبہ
وصدقہ معاصروہ
فیما روی
بابجر بدری
کتبہ عثمان عبداللہ وفیع اللہ

الاهداء

الى مجلس أمناء مدرسة الأحفاد المؤسسين من لحق منهم بالرفيق الأعلى ومن لا يزال منهم يواصـــل الجهاد فى خدمة المجتمع والى مدرسى مدرسة الأحفـــاد منذ عام ١٩٣٠ والى موظفيها وعمالها والى خريجيها والى أولئك النفر من المواطنين فى شرق الســـودان وغربه وجنوبه وشـماله الذين جادوا بالقرشين والألفين من الجنيهات لتقوم مدرسة الأحفاد شاهدا على صدق وطنيتهم .. الى كل هؤلاء نهدى هذا السفر الذى يزخر بما لهم جميعا من فضل وجهود بذلت لكى تقوم مؤسسة الأحفاد فى أحلك الأوقات وأصعبها وأشدها امتحانا لصـــدق الوطنية ومر الجهاد فتكون دليـلا ينطق بفضلهم وتبقى أثرا يخلد ذكرهم راجين أن يتقبلوا منا نحن الذين ننوب عنهم اليوم فى هذه المؤسسة اعترافا منا بفضلهم وتمجيدا منا لعملهم .

من
مجلس أمناء ومعلمى وتلاميذ
كلية الأحفاد

١٩٦١/١/١

نقدمه الى مكتبة جامعة الخرطوم
أكبر منارة للعلم تذكرى
لأحد رواد التعليم الاوائل
فى هذا القرن مع خالص
تمنياتنا لطلابها واساتذتها

[illegible]

٧/٤/٦١

نداء

مواطنى الاعزاء

كما عودتم هذه المؤسسة أن تقوم على أكتافكم فى كل مشاريعها العمرانية منذ عام ١٩٣٣ . فها نحن اليوم ننوى بناء مدرسة للبنات الثانوية لتتسع لبناتكم اللائى ضاقت بهن مدرستهن الحالية وليجدن فيها أحدث وسائل التربية والتعليم ولكى نصل الى هذا الهدف فقد رأيت أن أتقدم بين يديكم بهذا الكتاب الذى يحتوى على ثلاثة أجزاء أطلب فيه خمسة جنيهات تكون بمثابة قيمة للكتاب وتبرع منك لبناء هذه المدرسة ولا شك أن ذكرى مؤلفه وما يحويه الكتاب من أمتاع ومعلومات والغرض النبيل من بيعه وأريحتك المعهودة كل هذه ستجعلك تجود لنا بالخمسة جنيهات والله يجزيك أجرا وخيرا .

المخلص
يوسف بدرى

١٩٦١/١/١

مقدمة الجزء الثالث

بقلم السيد الامام عبد الرحمن المهدى

رحم الله الشيخ بابكر بقدر ما قدم لوطنه من خدمات وبقدر ما أسـدى لشباب الأمة السودانية من مثل عليا فى تعليمه وأخلاقه وفى سيرته . لقد كان صديقى الشيخ بابكر يحمل فى تاريخه وسيرته تاريخ أمة وتطـورات جيل . وكان هو قائد هذه التطورات وامام الركب فى كل ميدان من ميـادين العمل . رحمه الله رحمه واسعة .

عبد الرحمن المهدى

تعقيب على المقدمة بقلم الأستاذ الكبير الشيخ عبد الله البنا

قرأت كلمة السيد الامام فأخذتنى الهيبة وكادت تحول دون التقدمة لهذا السفر الجميل : لأنى رأيت عظيما جليل القدر يؤبن جليلا شريف الذكر : بقليل من الكلم الطيب وجميل من الود الصادق وعزيز من الثناء بالحق ، ولمست فى تلك الكلمة قلبا نقيا من السيد الامام ولسانا تقيا يذكر صديقا وفيا يعظم فيه الى جانب الصداقة الخاصة جانب الصداقة العامة الشاملة ، صداقة المرحـوم الشيخ بابكر لوطنه وصدقه فى عمله وتفانيه فى الحفاظ على أمانيه والدفاع عن كرامته تفانيا عمليا يشهد بالقوة وينطق بالحق ، ولعل الامام رحمه الله أدرك أن ستبقى هذه العاطفة الأمينة مروية عنهما فخطها بقلمه بعد أن جودها بفمـه ، وكأنه جعلها شهادة منه على ما أبقى صديقه الشيخ من بعده تراثا جليلا لهـذا الوطن ، ذلك التراث الذى بدأ غرسه برفاعه بعد أن خلص فى الميدان الضيق فى خدمة المعارف الى الفضاء الواسع فى خدمة الوطن وبعد أن نفض عنه غبار الخدمة وذل المسئولية ، وحيدا فى محاولته ، بعيد النظر ، قوى العزيمة يشق طريقه بين اعتراض القصر واستفحال الجهل ، ونار الحسد وتزاحم الأحقـاد وكيد الحكام وغير الحكام ، ولما لم تف رفاعة بمراده انتقل بالأحفـــاد الى أمدرمان : ولولا أن نور العلم فيها أسطع ورغبات الناس فيه أشد ، للقى من العنت أشد مما عانى هناك ولكنه الرجل يخفق فلا ييأس ، ويصد عن المطلب مرارا فلا يرضى الا بالحصول عليه ، بلين اذا كان فى اللين كرامة ، ويقسو اذا كانت القوة فى جانب الشرف ، ويناضل نضال البصير بالعقبى ، ويعتـد برأيه ويعتمد على المصلحين المخلصين من قومه • ولقد كان لصداقة الامام له أشد العون على النهوض بالأحفاد للغاية الكريمة التى وصلت اليها ، ولعل رابطة الصداقة بينهما قويت بسبب ما لقيا من الأحداث والشدائد فى ذلك العهـد ، فكل جاهد وكل ناضل وكل سعى وكل انتصر والعاقبة للمتقين ••

رأيت السيد الامام يشكر الشيخ بابكر على ما أسدى من مثل عليا، وهو

اجمال يعجز القلم عن تفصيله فاذا كانت المثل العليا هى كلمة الحق وحرمة العلم والاقدام على الخير ، وعاطفة الانسانية والأمانة الوطنية فما أحرى الشيخ بابكر بأن يكون حامل لواء هذه الصفات .

ورأيته يصفه بأنه (تاريخ أمة) ولو كان لى أن أزيد لقلت أنه تاريخ شريف ، ومجد خالد ، وعمل دائب ، وحديث صادق ، خال من الذيغ والرياء والنفاق والكبرياء ، تاريخ خالد بما قدمت يداه من عمل وبما عانى فى لياليه الطوال من اصلاح للفاسد ، وارضاء للغاضب وتقويم للمعوج وبناء متواصل للأخلاق والآداب (الوفاق) .

ورأيته يصفه بأنه قائد الركب : بلى هو قائد الركب الذى يصفه الشاعر بقوله :

اذا كانت السادات بالجيش تحتمى

فبى يحتمى جيشى وتحرسى أبطالى

بلى هو القائد الذى استطاع أن يوجد من العجز قدرة ومن الخطأ فكرة ومن الفرقة ألفة ومن العناد وفاقا حتى وصل بحسن الحيلة واعمال الروية الى أن شاد هذا الصرح العالى للأحفاد فسما به من المدرسة الأولية الى المدرسة الثانوية سموا مزدوجا بنين وبنات فكان موردا لهذه الأمة تنهل من معينه ونورا تسرى على ضوئه وملجأ يأوى أفواج ممن ضاقت بهم دور المعارف الحكومية ، وقد تخرج منه أفواج عليهم طابع الأحفاد من حياة الأجسام ونمو العقول وطلاقة الألسن ومتانة الأخلاق فكانوا ذكرى خالدة ولسانا ناطقا بفضل الشيخ ويدا عاملة مخلصة لهذا الوطن الحبيب .

ذلك ما رأى منه السيد الامام بعد أن عرف الناس مزايا العلم وتسابقوا على الورود من مناهله .. ولو أن الامام رحمه الله علم من ماضى الشيخ برفاعة ما علم أضرابى ممن أخذوا عنه مبادىء العلم لزاد اعجابه وتضاعف ثناؤه لو رآه أيام كانت الدراسة فى المدارس سبة ، والاقبال عليها منقصه وهو يؤلف النافر ويتحمل الأذى ويغض عن الشر وينفق من عقله وبدنه ما يضيق عنه الوقت ويضجر به النفس لرأى من أمره عجبا ، ولقد كنت أحد من شهده وهو كثير

العيال والآل قليل المال يكابد فى سبيل العلم نهاره ويقضى فى حل عويص المسائل ليله ولا معين الا عزم صادق ، وفكر ثاقب ، وجد متواصل ، وكم من ليلة نسى فيها الفراش ونبذ فيها الراحة وسامر فيها السهاد فنامها مكبا على وجهه لا وساد الا كتاب استعصى عليه بعض مسائله ، فاذا لاح الفجر انتبه على صوت الآذان وقد تأثر جبينه بخشونة الحصير واحمر بدنه من سجل الكتاب .. فكان ذلك طغراء الجد وخاتم شهادة الاخلاص ولئن كانت رحمة الله وغفرانه فضلا منه يختص به العاملين المخلصين من عباده الذين حسنت نياتهم وصفت سرائرهم وخلصت لوجهه الكريم أعمالهم فما أحرى الشيخ بابكر بأن تغدق عليه سحائب الرحمة وأن يحشر فى زمرة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

عبد الله البنا

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثالث

١٩٢٩ ـ المعاش

حينما تأكدت أن السنة التى قضيتهـا من ١٤ فبراير الى ٣١ مارس عام ١٩٠٣ وهى المدة التى كانت المدرسة فيها تابعة للمديرية بالنيـل الأزرق لم تحسب لى فى المعاش طلبت من المستر كروفوت مدير المعارف آنذاك أن يطلب من المالية ضم تلك السنة التى هى أحق أن أجنى فائدتها العظيمة نتيجة تعليمها ولما قاسيته فيها من الأتعاب البدنية والعقليـة والمادية لأنى كنت يعلم الله قـد جمعت من كتب الجغرافية خمس كتب أطالعها بالليل بعد أن ينصرف التلاميذ عن المذاكرة نحو الساعة التاسعة مساء فأقرأ الخمس كتب فى الدرس الذى أريد القاءه على التلاميذ . فأخذ العبارة التى يتفق عليهـا ثلاثة منها فاختصرها ثم أنظمها فأحفظها حتى أمليها التلاميذ فى كراساتهم نثرا وبعد فهمها معنى جيدا وأخذهم التمارين عليها يحفظونها شعرا لضبط رءوس مسائلها ومثل الجغرافية الاملاء (قواعده) ثم سألت الشيخ محمد عمر البنا عن أسهل الطرق التى تسهل فهم المعانى للتلاميذ لآنهم لم يسبق أن من فى أعمارهم يعرضون لفهم المعانى نثرية أو شعرية فأشار على أن أعلمهم قواعد النحو فاختصرت لهم من العمريطية (نظم الآجرومية) بأن أخرجت منه باب علامات الاعراب مكتفيا بفصل المعربات مع تعديل بسيط من نظمى وانكى من كل هـــذا انه لم يقع بيدي من كتب الحساب غير كتاب المستر براين المترجم عن الانجليزية وهو صعب العبـارة معتمد على كثرة التمارين فزادنى تعبا على تعب كما حكيت عنه . فهذان تعب البدن والفكر اما التعب المادى فكون مرتبى جنيهان مدة العشر شهور لآخـر سنة ١٩٠٣ ثم صار جنيها واحدا شهرى يناير وفبراير كما تقدم ـ أما نتيجتها ففى أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ ألحق بالكلية الشيخ محمد لطفى عبـد الله بقسم المعلمين والقضاه ، وألحق بابكر التاى ومحمود الجزولى بالابتدائى فتعليم

سنة دراسية وثلاثة شهور يؤهل فرقة كاملة من أولاد سذج فى التعليم المدنى فى بلدة كرفاعة ومن معلم لم يسبق له أن عرف فضلا عن انه درس طرق التعليم وقد تمرن ثلاثة أيام فقط لينظر المحسوس فى النظام ومع هذا فانه فى أول سنة ١٩٠٥ عين من التلاميذ الذين تعلموا المساحة بواسطة منير أفندى المعين مدرسا برفاعة وهو حامل شهادة عين أربعة مساحين على صغر سنهم فاذا عرفت ياقارئى هذا وعلمت أن تعييني فى المعاش اعتبر من أول ابريل سنة ١٩٠٤ عرفت انى مظلوم فى هذه السنة التى تتغافل الحكومة كل هذه النتائج الواضحة تبعا لقانونها الموضوع للاجحاف عن تجاهلهم مثلى كتبت هذه القصة المكرر أكثرها ليتنبه أولادى وأحفادى لئلا يقعوا فى مثلها (الاهل بلغت) فان سعادة المدير لا يقتنع بضم هذه السنة لى الا اذا قدمت اسمى فى دفتر يشهد لى بأنى أقبض مرتبى ضمن هيئة داخل الميزانية غير الميزانية المحلية ومن العجيب أن أطالب بتقديم هذا الدليل بعد مضى ست وعشرين سنة وسعادته يعلم انه بعد مضى عشر سنوات تحرق المستندات الا القليل منها وليس مثل هذا الدفتر منها . ضممت هذه الظلامة على سابقاتها وجعلت الذنب هو الذنب الأصلى (خدمتنا رسميا خدمناك رسميا أخدمنا خصوصيا نخدمك خصوصيا) وانى لمرتاح جدا لكل ما حصل قد أطلت عليكم ولكنها نفثة مصدور .

فى يوم ستة يناير ووصلنى طلب وأنا برفاعة فى أجازة المعاش التى تعتبرها حكومة السودان كعدة المطلقة طلاقا رجعيا طلبت لأكون من أعضاء ممتحنى الانجليز فى العربى شفهيا وتحريريا .

وصلت الخرطوم وجرى الامتحان يوم الخميس تسعة يناير برئاسة المستر بنى مدير الأمن العام وبعد أن انتهينا من الامتحان يوم الأحد وأردت الخروج من المكتب طلبنى فريد بك عطية وانفرد بى ناحية وقال لى ان سعادة المستر بنى يحب منك أن تشتغل معه فى الامن العام ويعطيك عشرين جنيها شهريا وهى الفرق بين معاشك ومرتبك الذى كنت تتقاضاه وأنا بصفتى صديقك وأعرف حاجتك فى الوقت الحاضر لمدة سنتين لهذا الفرق أنصحك بالقبول . ضحكت وقلت لفريد بك أشكرك وأطلب منك تخبر سعادة المستر بنى أنى أخدم معه بلا فلوس ـ فقط أطلب منه شرطا واحدا سر فريد بك وقال ماهو الشرط قلت الشرط أن أبلغه عن الوطنيين وعن الانجليز ما أعرفه بالحقيقة لا ما يريده

هو . فحرك يديه مرفوعتين كمن يريد التكبير وتركنى ولم أسمع لهذا الطلب بهذا الشرط أثرا من أحدهما .

فى يوم ١٩٢٩/١/١٧ ـ منحت الكسوة الممتازة بسرايا الحاكم العام فى حفلة سبعة عشر يناير المعتاد عملها سنويا تذكارا لزيارة الملك جورج الخامس للسودان (مروره ببورتسودان) متوجها لتتويجه بالهند فى سنة ١٩١٢

فى يوم ١/٢٣ سافرت لرفاعة فرأيت من زوجتى نفيسة بنت ابراهيم مدنى تغيرا بخلاف عادتها ربما انها حبلى فى ثامن شهورها وبما انهـا ماهرة فى قراءة العربى وفهم معناه كتبت لها هذه الأبيات فلما قرأتهـا عرفتنى ان سبب تغيرها من تغيير حاصل من أثر الجنين الذى ببطنها وانها لا يمكن أن تتغير معى :

أنا لا أدين لغير ربى ولا ألين مـع الرهب
واذا الحبيب تغيرت أحـواله تبع الريب
صبرت نفسى هنيهة كيمـا يعرفنى السبب
فغفرت ذلته اذا قبل الحقيقــة أو عتبب
أنفيســة فتوصلى لمـلاك قلبى بالرغب
فالقلب مـن عاداته لا يستقيم اذا انقلب

فى يوم ٢٩/١/٣٠ زار رفاعة سعادة المستر سمسون وأعضـاء لجنتـه وحينما قابلتهم بلغنى المستر فشر سـلام المستر جيمس كرى وفى ١/٣١ طلبت من المعارف لحضورى الاحتفال الذى سيقام بالكلية للمستر سيمسـون ومن معه فكان الخطباء المستر يودال والشيخ الأمين أحمد ابراهيم ـ محمد حلمى أبو سمره ـ عبيد عبد النور التلميذ عن التلاميذ ـ قصيدة تلميذان بالعربى للمستر سمسون ـ ثم وقف المستر سمسون شاكرا من عملوا الحفـل وفى ٢٩/٢/٧ ـ دعانى المستر هللسون والسيدة قرينته لشرب الشاى لمناسبة قرب أحالتى للمعاش كصديقهما ـ وفى يوم ٢٩/٢/٩ زارنى سعادة المستر سمسون بمنزلى وقال لى عندك بيت كبير وقد كنت دعوته هو وأعضاء لجنتـه فزارنى منفردا دون سابق علم ـ فشرب فنجانين جبنة فقط على طول مكثه وأنسـه .

وفى يوم ٢٩/٢/١٧ قمت لرفاعة وفى ليلة وصولى وضعت زوجتى بنتنـا ستنا وفى يوم ٢٩/٢/١٩ انتهت أجازتى وأحلت للمعـاش وفى يوم ٣/٢٠ قمت لرفاعة بعد أن ودعت على بدرى بالمحطة العمومية قائلا له لى صديقان بدنقلا

هما السيد عبد المتعال وسيادته من أكثر الناس تواضعا ان لم يكن أكثرهم وسيادته كثير التوعك فاعتن به وصديقى الثانى عبد القادر الحميدى وهو من أفضل سكان بندر دنقلا ان لم يكن أفضلهم لا عيب فيه غير حدة تعتريه عندما تعرض كرامته للاهانة وهو ذوعائلة كبيرة فاكرمها يا على بقدرماتستطيع وفوق ما تستطيع ان أمكن

وفى يوم ٢٩/٤/٧ وصل الشيخ ابراهيم مدنى رفاعة قاضيا لمحكمتها من تلودى ريثما يحل وقت احالته للمعاش — وفى يوم ٢٩/٤/١٣ كنت جالسا مع الشيخين ابراهيم مدنى وابراهيم مالك فقلت لهما انى ذاهب للمركز لأسأل عن أوراق معاشى ريثما يحضرنا طعام الفطور — فلما وصلت المركز وجدت أمام المأمور سبعة عشر شخصا من مدينة رفاعة يطلبون التساريح للحج ، أذكر منهم أحمد أبو قرين — فضل الله الجعيلى — حمد النيل محمد الشفيع — على أبو نوره الأمين القاضى — فاطمة ادريس أبى نوره — وحينما رأيتهم هاج شوقى للحج ، ووبخنى ضميرى قائلا انت أكبر من كل هؤلاء سنا غير أحمد أبى قرين وفاطمة وأغنى منهم مالا وأعرف منهم بالله اذا فأنت أولى منهم باداء الفريضة فقلت للزبير محمد توم المأمور — يا حضرة المأمور أكتب لى جوازا لنفسى وزوجتى وابنى يوسف — طلب منى مائتين وسبعين قرشا التى تكون تأمينا — استلفتها من فضل الله الجعلى وسلمتها المأمور الذى سلمنى ثلاث «بزبورتات»

رجعت للابراهيمين — قلت لهما انى ذاهب للحج — قالا متى — قلت يوم ٤/١٧ هذا الشهر أنكرا على قولى فلما برزت لهما « البزبورتات » اندهش ابراهيم مالك وقال لى ان مناديك هذا غير اعتيادى •

فقمت يوم ١٧ فعلا مساء للخرطوم وانشغلت لتحضير ما يلزمنا للسفر برا وبحرا من زاد وفراش وأوانى وكتبت لأولادى بنيتى المؤكدة فجاءتنى التحاويل فى كل احد عشر جنيهات للذكر وخمس جنيهات للأنثى هذه أسماؤهم ودفع لى الشيخ ابراهيم مدنى عشرة جنيهات وأظنه أراد مساعدتى وفى الوقت نفسه قصد أن يوفى وعده لى بقوله ادفع لحماتك العشرة جنيه التىطلبتها زيادة مهر ابنتها وأنا سأردها لك وهاك أسماء من ساعدونى كما دفعوه تماما :

أحمد بدرى — على بدرى — مجذوب مالك — أحمد مالك — ابراهيم بدرى — محمد مالك — الطيب مرغنى — خضر بدرى •

لبسنا لباس لاحرام وأخذت لنا صورة بالمنزل يوم وصولى الخرطوم كتبت لعبد المحمود أفندى أحمد ناصر المأمور بسواكن ليحجز لنا أربعة أنبوبات لتطعيم الجدرى لى ولمن معى وهم زوجتى وابنى وبنتى الصغيرة مدينة التى كان عمرها لم يكمل الست سنوات ، وقد تشبثت أمها بأخذها معها •

فرد على المأمور فى الحال بأنه أحضرها وحفظها بيده وأكد علينا فى النزول فى ضيافته وانه أعدلنا محلا خاصا — ولما كانت والدته من الرباطاب بنت الشيخ المصطفى ابن الفقيه الأمين أم حقين وزوجته بنت عمى يوسف سليمان الذى اعتبر نفسى أحد أولاده أجبت لطلبه برقيا •

وبارحنا أم درمان يوم ٤/٢٤ لبورتسودان ووصلناها يوم ٤/٢٥ الساعة ٧ مساء — قابلت عبد الهادى أفندى حسنين بتنا بمنزل فى الصباح أخرنا حضرته للفطور فسبقنا صديقى الدرديرى أفندى محمد عثمان ولا أدرى كيف فهم أن لنا عند عبد المحمود أفندى أربع أنبوبات لتطعيم الجدرى حتى قال له (اعتمادا على جعل حالتى معه من الصداقة تخول له قوله هذا :)

عمى بابكر بدرى أوصانى لك بأنه معه من أهل رفاعة رفقة لا ينفك عنهم فما عندك من أنابيب الجدرى أعطها الخليفة صالح سوار الذهب ليدرك الوابور القائم اليوم — فلما وصلنا سواكن وعلمت من عبد المحمود ما حصل ضحكت وتأخرت وبعد قيام وابورهم الساعة ١١ صباحا ورجعنا لمكتب عبد المحمود أفندى قلت له كم تذكرة جاهزة لسفر جده من الحجاج قال مالا يقل عن الستمائة تذكرة ان لم تزد قلت وكم حاجا قام فى هذا الوبور قال قام الوابور بستمائة حاج وهو العدد المقرر له قلت اذا تمشى معنا للدكتور نايف حسن الذى أعرفه أنا من رفاعة معرفة تقرب من الصداقة لنطلب منه موافقتنا على السعى فى ارجاع هذا الوابور من جدة فى يومين ليأخذ هذا العدد فى مرة واحدة فتخلو بلدة سواكن لحجاج القطرين الآتيين — وافقنى — فلما عرضنا الرأى على الدكتور نايف حسن أنكره علينا وقال مثل هذا لم يسبق أن حصل ولا يمكن للوابور الرجوع لسواكن الا بعد خمسة عشر يوما قلت له بحزم الآن بسواكن ما يربو على ستمائة من الحجاج وكل من القطارات التى تصل سواكن فى مدة الخمسة عشر يوما يأتى حاملا على الأقل مائتى حاج وعددها لا يقل عن ستة قطارات فبلدة سواكن الضيقة فى مثل هذا الحر لا يبعد أن يحصل مرض غير

منتظر حصوله فى هذا العدد المزدحم فيفتك بالحجيج فاذا حصـــل ذلك فمن المسئول يا حضرة الدكتور المحلى المسئول عن الصحة فتنازل قليلا عن انكاره وقال لنا لماذا ما أخبرتما المفتش الطبى قبل مبارحة سواكن قلت له ما سبق لنا هذا الرأى الا بعد قيامه ـ فما المانع ان تخبره تلفونيا بهذا الاقتراح ان وافق عليه تكون خدمت هذا الجمع وسلمت من مسئولية تزاحم الناس فقال هنـاك عقبة وهو نفاد مصل تطعيم الجدرى هنا وبورسودان .

قلت له متى وافق على الاقتراح جنابه يطلب المصل من الخرطوم بالطيارة يحضر لبورتسودان هذا الليل وفى الصبح يصل سواكن بالعربية أخيرا وافقنا والمفتش الطبى بدوره وافقه ووعد مؤكدا باحضار المصل صباحا بسواكن ـ ففى العصر مشيت لأحمد أفندى سحلول وكيـل وابورات الشركة الخديوية نحن الثلاثة المأمور والدكتور والعبد الفقير فلما عرضنا عليه الأمر أنكره أشد من انكار صاحبه الدكتور فالتفت لى صاحباى وقالا أجبنا طلبك بحكمك علينا فما انت فاعل فى هذا قلت لهما اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه وأحمـــد أفندى سحلول أمره أسهل منكما الآن له ولشركته مصلحة ايجابيـــة مضمونة أما مصلحتكما فسلبية وفى الوقت نفسه غير مضمونتين فقال لى أحمـد أفنـدى سحلول وكيف ذلك ؟ قلت أهم ما يهم الشركات الربح المادى وحسن السمعة والستمائة حاج الذين تحملهم الوابور فى رجوعها من جده تحصل منهم الشركة على ثلاثة الألف جنيها على الأقل فى زمن أقل من يومين ونصف يوم مـع نشر هذا التسهيل للحجاج الذين كل منهم يروى هذا الحادث بلسان الشاكرين لعمل الشركة وانى لا أشك فى أن رؤساءك لا يغيب عنهم ما ذكرته لك ـ فما عليك الا أن تطلب منهم ذلك تلغرافيا على حسابنا فان رضوا ضمنا وضمنت حضرتك الحسنيين وان كانت الأخرى ولا سمح الله نكون أدينا واجبنا وعذرنا أنفسنا والله يفعل ما يريد قال لى هات ثمانية وسبعين قرشا ثمن التلغراف بالرد أعطيته ورقة جنيه كاملة وقبل أن نصلى العشاء أخبرنا أن الشركةوافقت وأنالوابور فى مساء غد يكون بسواكن ويقوم لجدة الساعة ١١ صباحا فى اليوم التالى .

وفى الصباح قبل الساعة ٨ وصلت أنابيب المصل وشرعت فى الحـال فى التطعيم بواسطة الدكتور نايف وثلاثة تمرجية وهو يرعاهم متنقلا بينهم يأمرهم بتغيير المشرط ووضع ما تلوث منها فى المطهر ولولا تسابق الناس على التطعيم

وما ينشأ عنه فى التأخير بوقف العامل عن العمل لكننا نخلص قبل أو فى الساعة ١٠ مساء • فلما صارت الساعة ٢ بعد الظهر خرج الدكتور نايف وركب دراجته فلما علمت ذلك أدركته وقبضت على الميزان بين يديه وقلت الى أين تذهب ـ قال الى منزلى أتغدى وأرتاح وأرجع الساعة ٤ ـ قلت والله العظيم ان لم ترجع مختارا لأمرت الحجاج يمسكونك فضحك وقال ان تركت الراحة فهل يمكن أن أترك الأكل فقلت له فى حزم أنا أحضر لك غداء وترتاح بعده ساعة قال لا يمكننا أن نعمل مع هذه الفوضى لأن ناسكم غير مؤدبين ـ ضحكت وقلت لا يمكن أن نؤدب مثل هذا الجيش ولكنى سأعمل بعض النظام قال كيف تعمله ـ قلت أنبه على كل من طعموا يذهبون للتصوير وأرسل للمأمور يرسل لنا أمباشا وعسكريين وأنا أصير لك كاتبا اعمل كشفا بثلاثين •• ثلاثين ـ كلما طعم كل تمرجى عشرة يدخل له عشرة بواسطة أحد العساكر والأمباشى والعسكرى الثانى يحجزون بقية الناس وأرسلت فى الحال لعبد المحمود أفندى يرسل لنا الغداء مع العساكر فتغدينا ونام الدكتور نايف فأعلنت المتطعمين بالتوجه للمصور ليأخذ لهم المصورات وأخبرتهم من لم يخرج صورته لا يمكن أن يسافر غدا االساعة ١١ فذهبوا مسرعين وعملت كشوفات بكل من بقوا بلا تطعيم (وهم كثير) وفى الساعة ٣٫٣٠ نبهت الدكتور فتوضينا وصلينا وشرعنا فى العمل بعد أن رتبت نحو مائتين وعشرة فى سبع مجموعات فى ثلاثة طوابير كلما دخل ثلاث عشرات الأول اتصل الباقون بالباب الذى معينا لهم وأكتب ثلاث عشرات وهكذا يكون الطابور متصلا ومن طعموا يذهبون للمصور الذى معه المأمور بعساكره فارتاح الدكتور نايف وأسرعوا فى العمل وما أتممنا التطعيم الا فى الساعة ١١٫٣٠ مساء فشكرنا للدكتور نايف على حسن أخلاقه وعمله وودعته ثم لحقتهم بالمصور وما بارحناه حتى الساعة ٢٫٣٠ صباحا وبعد ذلك ذهبت فنمت ـ وبعد أن صليت الصبح ذهبت للمصور فصورنى أنا وعائلتى وبدأ الناس فى تحويل عفشهم للوابور بعد أخذهم التذاكر وفى الساعة ١١ بالضبط تحرك الوابور لجدة التى وصلناها الساعة ٩ صباحا فى اليوم التالى

ومما أذكره انى حينما أردت السفر من الخرطوم علمت ان حسين بك مصطفى أخذ تسريحا بربع الأجرة بصفة خصوصية فذهبت لمكتب الأمن العام وطلبت اعتبارى ممتازا مثله فبعد أخذ ورد سرحوا لى فلما وصلنا سواكن

أخذنا امتياز المستخدمين بدفعنا ثلثى الأجرة فبهذه الحركة وفرت أكثر من ثلاثين جنيها بالدرجة الأولى . ثم فى الوابور توسطت لصديقى الشيخ محمد عمر عبود فنقلناه من الدرجة الثانية للاولى بدفع جنيهين له ولزوجته وعندصلاة العشاء نحو الساعة ٣٠ر٨ تزعزع الوابور فصار يتأرجح من أثر الموج حتى اضطررنا لصلاة العشاء جالسين ـ يوسف بدرى تقيأ ـ وصلنا جدة نحو الساعة ٩ صباحا وجاءتنا السنابيك والفلوكات الصغيرة خرجنا فيها بعفشنا لعنابر الجمرك ـ حيث لقينا وكلاء المطوفين فتولى كل واحد منهم نقل عفش نزلائه بعد تفتيشه بالجمرك وأرسلهم مع (عربجى) للمنزل الذى أعده لهم فأنزلنا وكيل المطوف محمد على آدم الذى اختاره لنا الشيخ عبد الله حمدوك ناظر مدرسة الفلاح الذى أعرفه ويعرفنى من نعومة أظافرنا حيث نشأنا بمدينة رفاعة معا وقرأنا فى خلوة واحدة ولعبنا ألعاب الصبيان وعمنا فى المشرع .

أنزلنا هذا لوكيل وليته لم يلقانا ولم ينزلنا . أنزلنا فى غرفة متصلة بالأدبخانة لم نمكث فيها الا قليلا واخترنا الزقاق الضيق عليها فلو توفقت الحكومة وبنت استراحات بجدة لينزل فيها الحجاج بالأجرة لكانت خدمتهم أجمل خدمة وكسبت ايرادا غير قليل ـ وفى غير الموسم تؤجرها لمخازن أو منازل ايجارا يناسب الحالة والزمن ـ فى العصر أخذنا نبحث عن العربات التى تقلنا للمدينة فرأينا من الوكلاء اتفاقا علينا مع أهل العربات ـ فرفضت الايجار بواسطتهم وأخذت أبحث بنفسى فاتفق أن وجدت أحمد بن السيد ادريس أبى غالب فى احدى االشركات وبواسطته أجرنا عربة فورد تحمل أربعة ركاب بواقع الواحد خمسة عشر جنيها فأجرناها وكان رابعنا محمد الشريف والد يوسف شريف وعبد القادر شريف وأخذوا على البنت الصغيرة نصف أجرة

وصلنا من جدة الى المدينة المنورة ومن المدينة الى مكة المكرمة ـ لما وصلت جدة لقيت صديقى الدرديرى محمد عثمان وقلت له أبو زيد الهلالى قال « من خل الرفيق ما بلاقى كان مافى زول بترجى زول » فضحك وقال لى هل أحد غيرك يرجع الوابور من جدة فى يومها ـ تأخيرك نفع الناس فسافروا هم ومن معه قبلنا بيوم للمدينة .

قمنا من جدة يوم ٢٩/٥/٣ ـ ٢٣ ذى القعدة الساعة ٧ مساء سـواقنا من الجاويين بمجرد ما نصل المحطة « يبارحنا اذا كان بالبلد سوق ـ أو يرقد فينام ولا يهتم ولا يطلب أكله منا ـ وصلنا ضهبانه الساعة ١٠ مساء بتنا بها ـ قمنا من ضهبانة صباحا مررنا على القضيمة بهـا سـوق ونخيل وبعدها بدأ الناس الآيبين فى المدينة بالعربات فقابلوننا وابتدأ محمد الشريف يناديهم بأعلى صوته « يا هو معكم فاطمة بنت أبى نوره (زوجته) التى سبقته » واذا قابلونا جماعة ولم ينتبه لسؤالهم تمسكه مدينة بنتى الصغيرة من لحيته فتقول له عمى ود الشريف ديك عربية أو ديك جماعة اسألهم عن مرتك فيناديهم ويضحـك ـ من القضيمية وصلنا رابقا المذكورة فى منظومة ابن عاشر ميقاتا لمصر والمغرب (ان جئت رابقا تنظف واغتسل كواجب وبالشروع يتصل) برابغ نخيل ووديان تزرع بالمطر وبسوقه بطيخ كثير وسوقه كبير ـ وصلنا مسـتوره عند الغروب بها بئر واسعة قريبة من المنازل وبين مسئوره ونى الحصان رمال تعبنا كثيرا فى اخراج العربية منها حيث تغطس عجلاتها ـ فى بنى الحصان سوق منظم فى بناء دكاكينه ـ بارحنا بنى الحصان التى بتنا فيهـا فى تعب حيث فرشت الأسرة وعملت الشاى بنفسى ولم يتحرك محمد الشريف ـ مررنا بحلة مسيجيد ضحى نحو الساعة ٨ بها كوشان ورأينا فيها رجـلا كريم عين أخبرنا انه كان رئيس عصابة ممن يتعرضون للحجيج قبل حكم الملك العادل اليقظ عبد العـزيز آل سعود .

ووجدنا بمسيجيد البنات الصغار اللاتى يقلن فاطمة ـ يا فاطمة فاطمـة بنت النبى شيلى كتابك وانزلى ـ انزلى شجر النبى ـ النبى لعزته فرشـوا سجادته يا حجاج يا حجاج ـ باب الجنة للاسلام ومحمد وعلى جاب الكسـا من عندهم المصطفى يا صـلاة الله عليه كلكم صلوا عليه ـ يستجدين بهـذه النغمة العذبة فى أصواتهن اللدنة فتصدقنا عليهن بما كتب لهن : من مسيجيد الى صفاية ساعة واحدة ومن صفاية لبلد الأحامدة قطاع الطريق ساعة والآن بهـا مركز به حرس من الجند ثم واصلنا سيرنا حيث بتنا بحلة القريش سوق كبـير بها وخبرنا أنها قبالة ميناء ينبع ـ بارحناها صباحا حيث وصلنا المدينة المنورة

التى لقينا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود نحو الساعة ٣٠ر٤ بالحرة فى عربته الملوكية وراءه عدد من العربات فانحرف سواقنا يمين الطريق ففسح للملك ومن معه ثم سرنا حيث أنزلنا العربجى بمحطة العنبرية وحيث قابلنا المزورون فتنافسوا فينا ، كل منهم يخطبنا للنزول عنده فاخترنا وكيل العباسى اليتيم الصغير رأفة به بعد أن لم نجد مزورا سودانيا فحمل المزور عفشنا وذهبت توا الى الحرم المدنى فدخلت من باب السلام ــ أديت تحية المسجد ويممت المقام الرفيع ذى الجاه الوسيع صلى الله وعلى صاحبيه ــ وقفت قبالته صلى الله عليه وسلم وقلت :

هذا النخيل وطيبة ومحمد   خير الورى طرا وها أنا جاره

قد كان عندى لوعة قبل اللقا   والآن ضاعف لوعتى أبصاره

وفى تلك الساعة صرت بحمد الله لا أرى من حولى ولا أسمع لهم صوتا رغم ازدحامهم وبعد هنيهة آب الى رشدى فسلمت على الحبيب صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم التفت خلفى فاذا صديقى الدرديرى أفندى محمد عثمان حاج خالد كاللاصق بظهرى ساكنا باهتا خاشعا ــ لم نتصافح الا بعد أن صرفنا العسكرى لنفسح لغيرنا ممن وراءنا وبعد أن أوصل المزور من معى الى منزله جاءنى بالحرم المدنى ومعه محمد الشريف الذى أراد أن يمسك الدرابزون فضربه العسكرى السعودى على يده التى مدها فلم يكترث بالضرب وقبض على الدرابزون فدفعه فى صدره حتى أقعى محمد الشريف على صلبه فاعتجبت للدافع والمدفوع ماذا يريد كلاهما من فعله هل يرى محمد الشريف ان امساكه للدرابزون من تمام زيارته للرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبيه حتى يقتحمه رغم منعه أم يرى العسكرى المبالغ فى المنع بالضرب والدفع أن ألمس ينجسه .لكنى تذكرت أن مذهب الوهابية يمنع اعتقاد الناس فى كل ما عدى الله فظهر لى السبب وقل العجب

مكثنا بالمدينة المنورة من يوم ٥/٥ الى يوم ٥/١٢ أعنى أسبوعا كاملا كعادة السيارات كلما أوصلت المدينة زائرين رجعت بمن سبقوهم فى أول

الأسبوع الذى مضى لتوصيلهم مكة وترجع بغيرهم من جدة توصلهم المدينة وترجع بسابقيهم وهكذا دواليك كل مدة الموسم .

(حوادث الأسبوع بالمدينة المنورة)

فى كل يوم نحضر كلنا للحرم النبوى نحو الساعة ٤ أو الساعة ١٠ صباحا فنسبق لقرب الامام بالروضة الشريفة ــ نقرأ فى المصحف أو نصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ونحن قبالة قبره الشريف فيملؤنا السرور كأننا قبالة ذاته الشريفة حتى اذا قضيت الصلاة رجعنا للمصحف نستمر فى تلاوته حتى الساعة ٨ افرنجيا أو الساعة ٢ عربيا رجعنا الى المنزل للفطور ثم للزيارة . فزرنا فى يوم ٥/٦ فى البقيع ساداتنا أى قبور العباس ــ الحسن ــ فاطمة الزهراء ــ زوجات النبى صلى الله عليه وسلم عدا سيدتنا خديجة بمكة ــ عقيل ــ سفيان ــ مالك ابن القاسم ــ عمات النبى صلى الله عليه وسلم ــ حليمة مرضعته ــ سيدنا عثمان ابراهيم ابن النبى صلى الله عليه وسلم ــ أبو سعيد الخدرى .

وفى ضحى يوم ٥/٧ زرنا الشيخ ألف هاشم العالم الذى هجر نيجريا وطنه ومحل عظمته ليجاور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى دار هجرته فيردد قول :

هذا النخيل وطيبه ومحمد   خير الورى طرا وها أنا جاره

صباح مساء ويتلذذ بذلك لأنها والله لذة تعوض الانسان كلما فقده لها وكلمة ألف التى تضاف لأسم الشخص لا ينالها مستحقها الا اذا وصل مستوى من المعرفة والعلوم والفلسفة رفيع يعترف له به جلساؤه ونظراؤه .

زرنا الشيخ ألف هاشم الذى استقبلنا كما يستقبل المؤمن المؤمن بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة واعتبر زيارتنا له من باب المحبة فى الله فقدم لنا تمرا أخذ منه تمرة قدمها لى قائلا عنها فضلا نسيت عبارته ومعناه انه وارد فيها حديث .

ثم جعل انسه معنا حديثين نبويين أحدهما روى الامام مالك فى موطئه والحاكم وابن أبى شيبة والطبرانى عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال تعالى وجبت محبتى للمتحابين فى والمتجالسين

فى والمتباذلين فى والمتزاورين فى الثانى ــ روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون فى جلالى اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل الا ظلى .

انظر للكياسة وظرف هذا الرجل الذى نشأ فى نيجريا واقتنع معى أيها القارىء أن أدب الدين فوق كل أدب ــ قلت اعتبر الأستاذ أن زياتنا له محبة فى الله وهو ما نوينا لأنه لم يسبق لنا أن رأيناه ــ فى عصر هذا اليوم زرنا دار المكتبة العمومية وتمتعنا بأنواع كتبها ونظام وضعها ــ أما مزورنا فهو رجل أمى لم ننتفع منه بمعلومات ولا بزيارات الأماكن المقدسة ولكنه مهيب الهيئة والملبس ، وكنت حينما رأيته بمحطة العنبرية سررت به وظننته عالما فى عقله كهيئته ثم خرجنا من المكتبة ونزلنا فى البئر التى يشرب منها أهل المدينة شرق الحرم النبوى تجاه باب السلام نزلنا فيها من الناحية المدرجة .

وفى يوم ٨/٥ الموافق ٢٨ ذى القعدة أجرنا عربة يجرها حصانان لها سقف وكنبات للجلوس عليهما بالتقابل فزرنا عليها قبر سيدنا حمزه سيد الشهداء ومن معه من شهداء غزوة أحد وكنت مشتاقا أن أعرف مكان الموقعة لأنظرها بعين المكان فأحقق قول من قال التاريخ له عينان ينظر باحداهما الزمان وبالأخرى المكان ــ ولكن الدليل عفا الله عنه وعنا لم يسعفنى بذلك وفى نفس الوقت واصلنا سيرنا بعربتنا فزرنا جامع قبا الذى هو أول جامع بنى بدار الهجرة يقول الله تعالى فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ــ فيه رجال يحبون أن يتطهروا »

كذلك زرنا بئر العين الزرقاء بشمال الجامع الغربى بعد أن أدينا للمسجد العظيم تحيته بما يليق به فى الجلال التاريخى والخشوع الروحى وأدينا لمجاوريه (وهم كثير) واجبهم العرفى الذى اعتادوه من زائرى المسجد من الاحسان وهم يستحقونه بحكم الجوار .

وبعد أن صلينا العصر بالروضة الشريفة علمت أن صديقى الدرديرى أفندى محمد عثمان مريض فزرته بمنزلته الملتصقة بالحرم المدنى جهة الشمال ووجدت معه رجلا أظنه من أقاربه ــ لمست صدر الدرديرى على صديره الملتهب حرارة ففتح عينيه وابتسم لى ابتسامة المتجلد المقاوم للضنى وضعف البدن

بالصبر ثم أغمض عينيه ـ فقال الرجل الذى ظننته من أقاربه بصوت المشفق أتموت يا دردیری غریبا فنهض الدرديرى (ولكنه لا يستطيع الجلوس) رفع رأسه وقال للرجل الوجل (يا زول انت لست مؤمنا ـ هل أكون غريبا وأنا أدفن فى البقيع بجوار النبى صلى الله عليه وسلم) فاطمأننت عليه وسألت له الله الشفاء التام العاجل المستمر وشهدت للدرديرى بالشجاعة والايمان وبارحته وبعد يومين زرته فوجدته ناقها فحمدت الله له .

نفذت نقودنا أو كادت وكانت بسواكن ١٥٧ جنيها (مائة وسبعةوخمسين جنيها) ففى يوم ٥/٩ بعنا دبلة ذهب كانت فى ذراع زوجتى أم أحمد زنتها أوقيتان وزيادة ـ وفى هذا اليوم قابلت محمد دقرشاوى أبى حجل ولم أكن سمعت بأنه فى المدينة المنورة تعرفت به وحملت رسالته بتبليغ السلام لذويه .

وفى مساء يوم ٥/١٠ الموافق غرة ذى الحجة بعد صلاة المغرب جلست بمصاحبة ما يسمونهم بالأغوات وهم سدنة القبة الخضراء على ساكنها وصاحبيه أفضل الصلاة والسلام ـ وأنا فى شمال الروضة الشريفة تذكرت انا سنبارح المدينة يوم ٥/١٢ فهزنى الشوق وصرت أتلو القصيدة التى نقلتها بمذكرتى حينما نويت الحج ونقلت معها أخريات أنشد القصيدة بصوتى وعيناى تدمعان وهى : ـ

الله أكبر حبذا اكباره ... لاح الهدى وبدت لنا أنواره

لاحت معالم يثرب وربوعها ... مثوى الرسول وداره وقراره

هذا النخيل وطيبة ومحمد ... خير الورى طرا وها أنا جاره

هذا المصلى والبقيع وها هنا ... ربع الحبيب وهذه آثاره

هذى منازله المقدسة التى ... جبريل ردد بينها تكراره

والروضة الفيحاء هب نسيمها ... والبان بان ونم عنه غراره

وتعطرت سلع بساطع طيبها ... لم لا يطيب وحوله مختاره

قد كان عندى لوعة قبل اللقا ... والآن ضاعف لوعتى أبصاره

بشراك يا قلبى فقد نلت المنى ... وبلغت ما تهوى وما تختاره

وتمل يا طرفى فيا لك ناظرا ... أبصرت طيبة فانقضت أوطاره

أيضيع من زار الحبيب وقد درى ان المزور بباله زواره
أيخيب من قصد الكريم وعنده حسن الرجاء شعاره ودثاره
أيؤم بابك مستقيل عاثر فيرد عنك ولا تقال عثاره
حاشا جلالك أن يؤمله امرؤ فيعود صفرا خيبت أسفاره
يا سيد الأرسال ظهرى موقر فعسى تخف بجاهكم أوقاره
صلى عليك الله ما حيا الحيا روض الربا وترنمت أطياره

فانشرح لقرائتها قلبى انشراحة أملت فيها من ربى غفران ذنبى وقبول حجتى الذى أرجو أن يكون مبرورا يجب ما قبله من ذنوبى كالحديث آمين •

قضيت يوم ١١/ ١٢ ذو الحجة بالروضة لم أبارحها حتى صليت الظهر وكنت أردت أن أقضى يومى كله بها لولا انه جاءنى الفقيه العبيد الفقيه أبشر الذى أعرفه منذ صغرنا بمدينة رفاعة دعانا لغداء كسرة بملاح روب أكلنا بشهية عظيمة لطول عهدنا بمثله وفى العصر وبعد اداء الفريضة بالروضة الشريفة عدنا للبقيع لنودع ساكنيه رضوان الله عليهم أجمعين وفى الساعة ٤ صباحا أو عشرة عربيا نشطنا كلنا للحرم النبوى لعلنا لا نجد العسكرى الحارس فنتمتع بمقابلة الذات الشريفة فنودعه وصاحبيه فوجدنا المكان مزدحما بمن سبقونا فى نيتنا فاكتفينا بوصول النيات بدل قرب الأشباح وكررنا ما قلناه فى القدوم من السلام والدعاء وبعد صلاة الضحى بالروضة ذهبنا للاستعداد للذهاب لاداء الفريضة بمكة المكرمة وبعد أن صلينا الظهر والعصر بالروضة ودعنا سيد الجميع صلى الله عليه وسلم وصاحبيه والقلوب وجلة والعيون عبرة خرجنا الساعة ١٠ قبل الغروب مررنا على الحوة ذكرت شهداءها فترحمت عليهم وذكرت بالسوء قاتليهم ولعنت يزيد لقوله :

ليت أشياخى ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل

وصلنا أبيار على فاغتسلنا بليلنا ولبسنا ثياب الاحرام وشرعنا فى التلبية وصرنا نكررها كلما انقطعت لسبب كقول ابن عاشر :

وجددناها كلما تجددت حال وان صليت فلما وصلنا قرية رابغ

الساعة ٩ صباحا خرجت من العربة للسوق فلما رجعت وجدت صاحب عربتنا ملأها بطيخا فلما سألت السواق عمن أتى بالبطيخ هذا قال جاء بهذا البطيخ وكيل شركة الاتومبيلات ولما كنت أنا أتأكد انى صاحب هذه العربة حتى توصلني ومن معى مكة المكرمة حسب التعاقد بيننا وان البطيخ فيها يضايقنا الراحة التى نحن فى حاجة ملحة لها • أخرجت البطيخ من العربة فلما جاء الوكيل قال للسائق : من أخرج البطيخ من العربة فلما أخبره جاءنى محتدا وقال لى أدخله فى عينيك وأشار بأصبعه لعينى قريبا منها فوكزته فى عينيه وليتنى لم أفعل لأنى محرم فتوجه لحاكم القرية شاكيا وجلس مع الحاكم فلما وصلتهما وجدتهما على الأرض فأخذ الحاكم فى أول كلامه ينطق بالحكم على دون أن يسألنى فبادرته بقولى انت تحكم على الخصم بقول خصمه دون أن تسأله أما سمعت المثل الحكيم : اذا أتاك أحد الخصمين مفقوء العين فلا تحكم على خصمه الغائب لعله يكون مفقوء العينين • ففى الحال اقتنع الحاكم ومد يده لمس لحيتى وقبل يده التى لمست ذقنى وقال لخصمي يجب أن تريحوا الحجاج وصرفنا بعد أن ودعنا كالمعتذر بعد تعب استمر معنا طول الليل لعطل الأتومبيل المتكرر وكثرة الرمال التى كنا نحمله فيها كما كان يحملنا بقينا فى الكوشان الذى بجرول حتى فتش عفشنا ولم يقابلنا المطوف فأجرت عربة لمن ومعى وسرت برجلى فدخلت مكة من جهة « كدا » واغتسلت فى بئر ذى طوى بلا دلك كما قال ابن عاشر :

أن دنت مكة فاغتسل بذ طوى بلا   دلك ومن كدا الثنية ادخلا

واجتمعت معى حملتى فسألنا عن منزل محمد على آدم المطوف أنزلنا عفشنا به وتركنا مدينة الصغيرة وأمها لفتورها وذهبنا نحن أدينا طواف القدوم وسعينا بالسعى ورجعنا •

وفى العصر قابلنا الرجل الطاهر العالم الشيخ عبد الله حمدوك استأنسنا به حتى صلينا المغرب وذهبنا نطوف وفى صباح اليوم التالى لم نطق الاستمرار بمنزل محمد على آدم فسمح لنا الشيخ عبد الله بالسكنى بمدرسة الفلاح لأنه هو رئيسها أى ناظرها فسكنا فى أعلى غرفة فيها نصعد لها مائة درجة ودرجة لنكون تحت السماء مباشرة ولنستنشق الهواء النقى ونسلم من ازعاج الناس ولننفرد بمحل الماء نظيفا ولا يخالطنا أحد فى بيت الأدب فارتكبنا مشقة الصعود

والهبوط لسلمة ومائة سلمة نظير هذه الفوائد وهى تستحق طلوع الجبل .
مكثنا بمكة ثلاثة أيام نكرر الطواف ونكثر منه لأنها العبادة الاسلامية الوحيدة التى قيدت بمكان واحد لا يمكن أن يجدها الانسان فى مكان آخر ولم تترك السعى يوما ما وان كنا لم نكثر منه كالطواف . ثم خرجنا مساء اليوم الرابع أى يوم سبع الحجة خلافا للواقع ونزولا على حكم المطوف الذى جاءنا بالجمال غير وعد وهددنا بأن الجمال لا توجد غدا ولأن نبيت بمنى خير لنا من أنا لم نجدها غدا يوم الثامن كما قال ابن عاشر :

وثامن الشهر أخرجن لمنى ... بعرفات تاسعا نزولنا

فقال لى كل الحجيج خارج اليوم فركبت أنا وزوجتى وبنتنا مدينة الصغيرة فى الشقدف الذى يتأرجح بنا خصوصا اذا احتك شقدفنا بشقدف آخر يكاد ينقلب بنا فنضم مدينه لأحدنا عكس الانحدار بجذب المستعلى عن المرتفع منا ليحصل التوازن باضافة ثقلها لكفة الارتفاع وذلك يحصل باهمال الجمال واجبه بالمشى بجانب جمله أثناء كل المرحلة ليمنع الاحتكاك لجمله بغيره من الجمال أو اذا حصل الاحتكاك رغم الاحتياط فعليه أن يرفع الجهة المنحدرة بيده لأعلى فيحفظ التوازن حتى يزول الاحتكاك فيستمر الراكبان مرتاحان ولكن الجمالة سامحهم الله كسواقى الاتمبيلات لا يرى الراكب جماله الا عند قيام الجمل من مرحلة ابتداء السفرة وعند بروك الجمل فى المرحلة للبيات أو المقيل ولم يمكنك أن ترى المطوف ما دمت راكبا ولذلك مررنا على منى التى هى محل مبيت الحجيج ليبرحوها صباح تاسع شهر الحجة ليقيموا بعرفات نهاره وفى آخر النهار يصعدون جبل الرحمة ويبقون بعرفات حتى تغيب الشمس حيث ينفرون منها فيبيتون بمزدلفة حيث يلتقطون حصى رمى الجمار منها يحملونه لمنى التى يصلونها صباح عاشر الحجة هذا هو نظام مذهبنا معاشر المالكية واما مطوفنا محمد على آدم سامحه الله فقد أناخ لنا جمالنا : بمكة لنركب عليها ولم ينخها لنا لننزل عنها الا نصف الليل بعرفة حيث أصبحنا بها وأقمنا بها نهارى ثمانية وتسعة ذى الحجة وناهيك بحر يومى ١٧/ ١٨ شهر مايو لمحرم مكشوف الرأس وعظم أجرنا زيادة فى تحمل الحر انه كان بجوارنا امرأة من

الكنوزوأخبرتنا انه عندها تسع وعشرين جنيها ورقا سلمتها ابن أخيها فلما صارت الساعة واحدة بعد الظهر لم نرها فى مكانها فأخبرنا ابن أخيها أنها ماتت ودفنها سـألته هل صليت عليها قال لا فقمت ومعى عمر الزاكى وجماعة من حلة بانت التى تبعد من مدينة رفاعة بثلث ساعة للراجل صلينا عليها وهى فى قبرها وكان الحر فى الراس المكشوف والرجل الحافية ولما كنت الامام لهذه الصلاة التى هى صلاة جنازة بعرفة يجب أن تؤدى بخشـوع واقامة أركان يستلزم اطالتها ما خلصت منها ووصلت الخيمة حتى أحسست بدوران ان لم أكن سبق أن صليت الظهر لما استطعت أن أصليه • ففى الساعة ٥ نبهونى لصعود الجبل توضأت وصليت العصر فلما تذكرت انى صاعد جبل الرحمة عاودنى نشاط الأمل الراجى الضامن فقمت بعزم لم أعرفه من نفسى فقصدنا صعود الجبل من جهة انحداره الجنوبى فلما قربنا منه وجدنا به وبقربه من عذرة الحجـاج مايغززنا منه ودعونا لفاعليه بالغفران مما جنوا • صعدنا ودعونا ونحن موقنون بالاجابة من رب غنى كريم رءوف رحيم تواب حـكيم انك لتعجب يا قارئى حينما ترى الجبل مزدحما بالناس بين راكب جمله رافعا يديه وواقفا ناشرهمـا نحو السماء وجاث على ركبتيه ينحدر دمعه من عينيه الكل يرجو غفر ذنبـه ورحمة ربه حتى غابت الشمس أو كادت بدأ الناس بالنزول فى ازدحام واحتكاك بالكتوف ووطء بالأقدام وانت موقن ان الواطى لا يقصـد الأذى والموطوء لا يتألم بالأذى مما يذكرك المحشر حصل فى الدنيا والكل مستعد لجمع متاعه استعدادا لنفرته • وحينما بدأ الناس فى تقويض الخيام أنزل الله رحمته فأرسل السماء علينا مدرارا مطر بللت الأجسام المحترقة من الحر فأبدلت الكسل نشاطا والسآمة راحة وعم الارتياح الأشباح والأرواح • وقبل أن نبارح مكاننا جاء مندوب الصحة سائلا عن المرأة المتوفاة فأريناه قبرها وابن أخيها الذى جحدان لها تركة فسألنا المندوب عما نعلم لها من التركة فأخبرناه رأينا فاستلم المندوب التسع والعشرين جنيها وسأل ابن أخيها عن وطنها ومن يستحقون ميراثها وساقه معه فذكرنى جحوده للتركة وهو بعرفة وقريبا سيصعد جبل الرحمة ان رجلا كان يعرف امرأة بغيا من بلده فلما اجتمعا بعرفة طلب منهـا نفسها فقالت له يا فلان ان الناس يحملون أوزارهم فى غير هذا المكان ليضعوها هنـا فنحن

نحمل الاثم من هنا ففى أى مكان نضعه فخجل الرجـل وارتدع • علمت وأنا بعرفات من أحد الحجاج بوجود صديقى الشيخ محمد محمود الأزهرى التقى الدائم الخشوع القريب الدموع من خشية الله أو من سماع مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى كان قاضيا لمركز رفاعة ولما وصلت مكة علمت أنه توفى بعرفة فعلمت ان الله تعالى قبل خشوعه ورحم دموعه رحمـه الله رحمـة واسـعة •

بعد أن نفرنا من عرفة أفضنا من حيث أفاض النـاس ومررنا فى ازدحام بين العلمين فلما وصلنا مزدلفة وأراد محمد على آدم أن نمر بها دون أن نجمع العشاءين بها ونلتقط منها الجمرات فنزلت من الجمل وهو واقف وقلت لزوجتى توسطى الشقدف واستمسكى ثم انحنى الجمل جاءنى محمد على آدم مغضبا وقال لى العرب أصحاب الجمال لا ينتظرونك ولا يبركون لك الجمل وحده قلت يا محمد على ألست مؤمنا أليس الله تعالى يقول فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله عند المشعر الحرام ثم قلت والله لا أفوته انك قد فوتنا واجب منى فقلت اننا سنرجع لها فكيف نفوت مزدلفة فرجع عنى ونزلنا فصلينا وتعشينا والتقطنـا الجمرات ثم رجع فألح علينا فركبنا ونزلنا بمنى نحو الساعة ١٢ مساء أو الساعة ٦ بالعربى فلما أصبحنا التقيت مع عمر حاج الزاكى فرمينا جمرة العقبة فلمـا رجعت منها وجدت المكان قد ازدحم بخيم النازحين من مزدلفة فلم أعرف منزلتى وصرت كلما رأيت علما أحمر أظنه علم مطوفنا أصله فأجـده غيره ولـما تعبت وعطشت سألت عن مكان نائب الملك فدلونى عليه، وصلته وأنا تعب لما عارضنى الحاجب عن دخول الصيوان قلت له بأعلى صوتى ما هى الفائدة التى يجـدها جلالة الملك من الحجيج الغرباء أكثر مما يحكيه عنه كل حاج فى بلده من سهولة الحجاب وحسن الآداب فلما سمعنى النائب قال للحاجب أتركه فدخلت الخيمة فاضطجعت على الفراش بعد أن رد تحيتى فلما أفقت استويت جالسـا كررت التحية وقدمت واجب تهنئة المعايدة ولما لم يسألنى قلت له أنا تائه فقـال لى وماذا تريده منى قلت يا سبحان الله اذا ضاع لى متاع أليس آتيك لمساعدتى فى البحث عنه فكيف أعمل ولمن أقصد اذا خفت على نفسى الضياع ضحك وقال لك الحق فمن مطوفك قلت محمد على آدم خرج معى ونظر الأعلام فقـال لى أقصد ذلك العلم الأحمر قلت وصلته فوجدته علما آخر فطلب رجـلا أمره أن

يوصلني منزلتي فشكرته وودعته فيوصـــولي ذبحت هدى وحلقت شعرى وتحللت التحلل الأصفر • وبعد صلاة الظهر مباشرة ذهبت أنا ويوسف ابنى لرمى الجمرة الثانية ولما رجعنا وقد اشتد بنا العطش مررنا على صيوان كبير به رجال جماعة يتحدثون دخلنا عليهم سلمنا وجلسنا فى طرف البساط السندسى فلم يزيدونا على رد التحية الفاترة فمكثنا وهم فى حديثهم حتى استيقظ ولد لهم صغير من نومه قال أحدهم وأظنه والده ـ لأحد الخدم اعمل للولد شربة فجاء بكوبة كبيرة ملئى بماء بليمون وسكر فلما شرب الولد أشار على الخادم بتقديم البقية لنا فمدها لى فرفضت باشارة اباء لا استغناء فمدها ليوسف بدرى فشربها بشغف لشدة عطشه فقمنا نمشى لمنزلتنا

وفى طريقى رأيت أناسا مجتمعين على مجرى ماء عين زبيـــدة فغشيتهم وجدتهم مزدحمين على فتحة فى البناء يتناولون منها الماء فشربت مثلهم ولم أكن أعلم ان فى بناء المجرى المغطى فتحات •

فى صباح هذا اليوم كنت زرت حجيج رفاعة الذين كانوا مجتمعين فى تاية واحدة فوجدت على أبا نورة مريضا لدرجة الخطر فأرسلت حمد النيل محمد الشفيع ومعه آخر لا أذكر اسمه لمندوب الصحة بحارتهم فلمـــا حضر ورأى المريض قال يجب نقله لمكة فى الحال فاعترض بعضهم فحملت على المعترضين حملة هزمتهم فأحضر المندوب العربة وحينما أراد حمله فتشناه فوجدنا بكمره مائة جنيه سلمناها فضل الله الجعيلى •

وفى مساء اليوم الثانى رجعنا لمكة « فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه »
الآيه وصلنا مكة نحو الساعة ٨ مساء لبيتنا بمدرسة الفلاح ومن ذلك العلو
رأيت فى ضوء القمر رجلا حاملا قربة ماء كبيرة اشتريتهما منه بثمانية قروش
سعودية ٤ مصرية فلما توسط السلم صار يزحر زحيرا عاليا وكلما مر على رحية
فى السلالم وضع القربة عليها حتى يستريح ثم يستأنف سيره حتى أوصلها
فأعطيته ريالا سعوديا فرفض بشمم انه لا يأخذ الا ثمن المشترى وبعد رجاء
كبير ان يقبل باقى الريال صدقة حتى قبله فقلت ان الفضيلة والعفة ليست وقفا
على العلماء ولا الأغنياء فسبحان المانح • بعد ذلك ذهبنا لطواف الافاضة
وسعينا ، ففى أثناء سعينا رأيت امرأة مصرية طويلة جسيمة معها رجل أظنه
زوجها تعبة تلهث عطشا وفتورا قلت للرجل يا هذا دعها تجلس فى احدى المقاهى
لتشرب مشروبا يبل ريقها وترتاح قليلا ثم تقوم فتتم شوطها وهكذا حتى
تكمل السبعة الأشواط فقال لى وهل يجوز ذلك قلت لايشترط الفور فى السعى
فلما • سمعت المرأة ذلك شكرتنى ومالت فى الحال لأقرب مجلس والرجل معها
فلما أصبحنا ورجعنا الضحى من المسجد الحرام وجدت الشيخ عبد الله حمدوك
ومعه الشيخ مدثر الحجاز وجماعة من المكيين فيهم الرجل الذى رأيته فى
الصيوان بمنى ولم يتكرم علينا بشربة ماء أخذوا يخوضون فى الحكم الحاضر
عندهم فتذمر بعضهم منه فأخذتنى الحمية للملك العادل وقفت قائما وقلت بحدة
وصوت مرتفع يا أهل مكة ما تحمدون الله على ملككم الذى يصلى مع المصلين
ويطوف مع الطائفين ويسعى مع الساعين ونحن تتمنى ملكا عربيا فى جنسه
واسمه فلم نجده فصمتوا فقام لى الشيخ مدثر همس لى فى أذنى بأن الجلوس
خافوا على أنفسهم من مستمع ينقل عنهم هذا واجلسنى فجاءنى رجل الصيوان
جلس بجانبى وقال لى يا أستاذ أين رأيتك أنا قلت بصيوانك بمنى قال وأسوأتاه
سامحنى ثلاث مرات قلت لا تثريب عليك منى ولكنى حزنت لك لفوت ثواب
تقرضه الله قرضا حسنا فحكى القصة للجالسين وأخبره الشيخ مدثر انى لأول
هذه السنة كنت مفتشا بالمعارف السودانية منذ عشر سنوات قضيتها فى هذا
المركز وحكى الشيخ عبد الله حمدوك انه مواطنى وابن مسجدى فى قراءة
القرآن فقلت للرجل الذنب على لباس الاحرام الذى ساوى بين لابسيه فقال
هذه انكى من الأولى وضحك أهل المجلس وانصرف صاحبنا •

رأيت فى طواف الوداع السيده درنده زوجة السيد محمد طه الشامى وهى تحمله على كتفها وعنقها بين رجليه فحمدتها ودعوت لها وأكبرتها جدا وتمنيت ان لو كثرت أمثالها فى السودان ولو كان حملها له من مرض فجأة لما أكبرتها ولكنه مزمن لأن عمره نحو المائة سنة لأنى رأيته سنة ٩٤ هـ وهو تاجر بدأ الشيب فى لحيته وهذا العام سنة ٤٧ هـ وعمرها نحو الخمسين فيكون قد تزوجها وعمره لا أقل من ٦٧ فتكون مدة متعتها به لا تزيد عن ١٣ سنة لأن الرجل بعد الثمانين من عمره يكون قد تمكن فى الهرم عادة وقلت شهوته فى الطعام المسبب للقوة البدنية انظر معى لهذه الزوجة البرة وفوق ذلك رأيتها فى وابور البحر عائدين من جدة جاءت لدكتور الوابور طلبت منه أن يرى زوجها الذى حصل له ما يوجب عرضه على الدكتور وهو لا يستطيع وصوله بمكتبه فامتنع فهاجت عليه وأكرهته أن يصل زوجها بمكانه بكلام معقول حتى اعتذر لها وفى محل غسل التطهير بالكرنتينة تولت غسله بنفسها فسبحان مسخر السعيد للسعداء أو العكس كقول البصيرى :

(واذا سخر الأله اناسا لسعيد فانهم سعداء)

ولما وصلنا مكة دفعنا ما بقى معنا من النقود لصاحبنا المطوف وبمجرد ما استلم حسابه انقطع عنا فقمت صباح يوم ١٤ الحجة أبحث عنه فوجدته بمنزل السادة المرغنية بلصق جدار الحرم وهو بيت صغير وجدت فيه السيد الحسن السيد أحمد صدفة فبعد السلام وقليل المحادثة أردت القيام فقال لى السيد الحسن سمعت بك وعزمت أن أرسل لك ثم قال لى انى أردت أن أرجع من مكة دون أن أصل المدينة المنورة قلت ما السبب قال نفد ما معى من النقود قلت يا سيدى لا تفعل لأن اعتقاد بلدنا السودان وخصوصا عامتهم وهم السواد الأعظم ان من يحج ولم يزر النبى كأنه لم يحج قال السيد أتعرف من أين تسرب لهم هذا الرأى قلت أظنه من قول عبد الرحيم البرعى :

حججت ولم أزرك فليت شعرى — متى بمزارك الجانى يهنى

وأمثال ذلك فى ديوانه الذى هو أقدم شعر وصل السودان ولذلك يسمى عامتهم كل شعر بالقوافى والبحر عبد الرحيم قال السيد ولكن كيف أجد ما يوصلنى المدينة قلت يا سيدى بجوارنا ونحن بمنى امرأة من جاوة سرق منها مائة وخمس جنيهات حينما علم الملك ابن السعود بها سلفها المبلغ ترده له بعد

وصولها بلدها فسيادتك يعرفك الملك أكثر من هـذه المرأة وبلدك أقرب من بلدها والاستلاف لعمل الخير يجب على المقرض والمقترض خصوصا وان أهل المدينة قد سمعوا وهم فى انتظار سيادتك المعتقد والمستجدى فلا أرى لك عذرا يا سيدى وأقسمت لسيادته انى فى مجلسى هذا مثلك حائرا فيما يوصلنى أهلى لنفاد مامعى من النقود فشكرنى على تشجيعه فى وصول المدينة وتدبيره بالملك .

فلما رجعت لمنزلى زارنى البشير أفندى جار النبى وهو من تلاميـذى البررة فشكوت له حيرتنا فيما نصل به الكرتتينة فسلفنى ثلاثين جنيها أردها له من الكرتتينة بواسطة رجل سماه لى بسواكن فشكرت الله وشكرته لهمته فى عصر يوم ١٥ الحجة أجرنا حميرا ذهبنا عليها للتنعيم جئنا بالعمرة وكل الحجيج يقصده للعمرة لأنه أقرب حل لمكة والحل هو المكان الخارج حدود البلدالحرام وهو الذى يحل الصيد للحيوان لغير المحرم والبلد الحرام هو المنطقة المحيطة بمدينة مكة أعزها الله الممنوع فيها اصطياد أى حيوان غير مؤذ بطبعه للمحرم وغيره .

وقد كنا أجرنا مقاعد بلورى بعشر جنيهات توصلنا جدة فى ليلتنا هـذه ولكن السواق أخذنا بعربته لبيت ضيق وقال ان بنزينه قليـل يرجـع ليزيده ويأتينا نحو الساعة ٨ مساء ولكنه ذهب بعربته ولم يأتنا الا الساعة ٨ صبـاح اليوم التالى وكان اللورى مشحونا بنحو عشرين راكبا بتنا بأسوأ ليلة وصلنا جدة وجدنا الحجاج الذين وصلوا قبلنا مزدحمين فى عنبر كبير من الزنك أجرنا عناقريب وتركنا أم أحمد ومدينة وتوجهنا أنا ويوسف للسوق زرنا الشيخ أحمد باخريبه بدكانه وهو والدالدكتور على باخريبه وزرنا الأستاذ عرفات محمـد عبد الله وابن العتيبى وغيرهم ممن لم استحضرهم وفى صباح ١٨ الحجة ركبنا وابور البحر وصلنا ساحل الكرتتينة الساعة ٩ مكثنا بالحر حتى الساعة ٢ بعد الظهر وذلك فى صرف الأمنيات لمستحقيها ثم وصلنا محل الحمامات المعـدة للتطهير وخلصنا منها نحو الساعة ٥ مساء حتى وصلنا زنوك الكرتتينة فاتفقنا مع حسين بك مصطفى وزوجته أن نؤجر خيمة واحدةلنسكنهامعا وعملنا بذلك قضينا فيها أيام الكرتتينة الخمسة وانى لا أنسى للدكتور نايف حسن حكيمباشا عنايته بنا فى تسهيل طلباتنا من الماء النظيف واحضار ما نحتاجه من مأكولات ومشروبات مرطبة من سواكن بواسطة عماله جزاه الله عنـا خيرا خرجنـا من

الكرنتينة يوم ٢٤ الحجة موافق ٢ يونية سنة ١٩٢٩ مررنا على بور سودان بعد أن ودعنا عبد المحمود أحمد ناصر وشكرناه وصلنا بور سودان بيومنا بتنا عند عبد الهادى حسنين وفى صباح ٢٥ الحجة و ٣ يونية زرت السوق مع الشيخ عبد الله البنا واشترينا بعض اللوازم من التحف للهدايا والزاد وزرت المدرسة وصافحت المعلمين . وفى مساء ٢٦ الحجة ٦/٤ ركبنا القطار فوصلنا أم درمان ٦/٥ ، ٢٧ الحجة الساعة ٧ مساء فكان غيابنا عن أم درمان أربعين يوما لانا بارحناها مساء ٢٥ ابريل بدلا عن الثمانية شهور التى كان يغيبها الحجاج سابقا على الجمال ذهابا وايابا وما يقضونها فى البحر بالمراكب التى تسير بالريح وبعدم الريح يظللن رواكد على ظهره حتى يهب الريح وربما يهب الريح بعكس ما يشتهون فيرجعون القهقرى وهذا يحصل فى الذهاب والاياب فضلا عن سوء الحال اذا نفد الماء والزاد والحمد لله لأنهم يبارحون بلادهم فى شهر رجب كما هو ظاهر فى أشعارهم ويرجعون عادة فى ربيع أول ولكنهم يفضلوننا بتعظيم أجورهم لمكثهم مهاجرين هذه المدة .

فترة استجمام وخدمات عامة

مكثت بأم درمان نحو ١٥ يوما لمقابلة المهنئين والراحة من عناء السفر ثم قمت لرفاعة التى بارحتها يوم ٨/٢ لأم درمان التى برحتها يوم ٨/٣ للدويم التى وصلنا مساء يوم ٨/٤ لزواج الخضر بدرى بزينب بنت مرغنى تم العقد الشرعى يوم ٨/٧ ، ٢ ربيع أول سنة ٣٤٧ وبارحنا الدويم يوم ٨/١١ لأم درمان فرفاعة وفى ٨/٢٨ جاءنى عبد المجيد على طه أخبرنى بأن منزله فى الحصاحيصا كامل الأدوات ولكنه يحتاج لمباشر له المام بأصول البناء وأنى ما وجدت من اخوتى من يقبل نيابتى فى مباشرته نيابة عنى واضطرارى للقيام لبور فى أو قبل أول سبتمبر لنفاد أجازتى وما وجدت فيمن فيهم غيرك أحدا أعتمد على كفاءته وأمانته واذا لم تبننى فكل الأدوات التى جمعتها معرضة للتلف بالمطر والسرقة فأجبته ظنا منى أن أم سلمة زوجته تقيم معى بالحصاحيصا فتساعدنى فى حفظ الأدوات الخفيفة والنقود فألح على فى أن أستلم منه وحينما استلمت منه وبدأت فى العمل فعلا أودع نقوده وهى ١١٦ جنيه عند النور ابراهيم التاجر بالسوق وفى نفس اليوم ليلا جاءنى برفاعة بحضور الشيخ ابراهيم مدنى صهرى الذى فاوضته فى أخذ زوجتى ابنته للحصاحيصا وأسكنها مع فاطمة بنت القاضى محمد

ابراهيم التى هى خالته فنهرنى قائلا (شيل ده من مخك) أى لاتأمل فى قضاء هذا الطلب ولذا امحه من فكرك قلت حاضر أى مطيعا ولما جاء عبد المجيد كما قدمنا طلب متى أخذه أم سلمة معه لمركز بور الذى آخر مراكز مديرية أعالى النيل جنوبا والذى كان سكانه من الزنوج فلما سمع الشيخ ابراهيم طلبه وكان مضطجعا استوى جالسا وقال لعبد المجيد نعم يجب أن تأخذ زوجتك معك فان الزوجين لا يرتاحان الا باجتماعهما فقلت للشيخ ابراهيم أليس من الغلط أن يمنع الرجل العاقل أخذ ابنته لزوجها وراء شاطىء النهر ويحكم بأخذ ابنة غيره مسافة شهر بالوابور وتمكث مع أناس لا تعرف عاداتهم ولا لغاتهم ولا عبادتهم فرقد وغطى وجهه بثوبه وقال غلط والله فضحكت ولم أجد نفسى أقل حرجا منه لمعرفتى لطبعه ووثوقى من محبته المخلصة وصداقته الصادقة لى سافر عبد المجيد بأهله وليته لم يأخذهم بمجرد وصولهم الرنك بدأ الأطفال بالحمى ولما وصلوا مركز بور لم ينج من الحمى غيره فاضطر لارجاعهم مع أحد أصدقائه فلو سبق أن نصحنا لهم بتركهم حتى يتمكن وقت الشتاء لما تركهم ولكان يتهمنا فى نصيحتنا كعادته ٠

باشرت مراقبة بيته باستلام أدوات البناء من أسمنت وعروق وألواح للسقف ومرينا وألواح مختلفة المقاسات للابواب والشبابيك وطوب أخضر وأحمر وناهيك بتباين العمال معنا فى الأفكار والأذواق والأخلاق ومن النقود الباقية له عند النور ابراهيم التاجر مائة وستة عشر جنيها ومائة وخمسة وستون مليما مكثت فى ملاحظة بناء هذا المنزل خمسة شهور وسبعة أيام من ١٥ سبتمبر الى يوم ٢٢ فبراير سنة ١٩٣٠ فتصور الأتعاب التى قاسيتها فى الحر والبرد وأتعاب العمال المتنوعين المتعددين ٠ ففى يوم الخميس الموافق ثلاثين أكتوبر سنة ٢٩ و ٢٨ جماد سنة ٣٤٧هـ مر المرحوم الطيب ميرغنى بالحصاحيصا فقابلته بغرفته وهو وكيل لبوستة السفرى وأنا مريض بأذنى من ضربة الشمس لعلى أجد عنده دواء فوجدته مصفر اللون خاير القوة سألته فقال انه يشعر بهبوط فى بدنه فودعته وذهبت لرفاعة حيث لم أرجع يوم السبت أول نوفمبر للحصاحيصا لاشتداد ألم أذنى وفى يوم ٦ نوفمبر كتبت تلغراف لأم درمان معناه لم أحضر لكم لمرضى أين أحمد ففى يوم الخميس ٧ نوفمبر حضر عندنا أحمد بدرى ووالدته وزوجته لأن قولى أين أحمد أوجد عندهم وهما بأنى

خطر بمرضى ولذا سألت عن أحمد ليحضر موتى باتوا عندنا وفى يوم الجمعة ٨ نوفمبر وردنا تلغراف بوفاة الطبيب ميرغنى فرجعوا ثلاثتهم أعنى أحمد بدرى ووالدته وزوجته بقطار الساعة ١١ صباحا ولم أستطع السفر معهم لمرضى . فى أثناء مرضى هذا زارنى جماعة من أعيان رفاعة فانتهزت فرصة وجودهم معى وقلت لهم ان رفاعة قد تدهورت مكانتها اقتصاديا وأدبيا فهل فكرنا فى طريقة توقفها عند الحد أو تتمكن من ارجاعها لحالها فرد على طه ولد الفكى بقوله : لننتظر الشيخ عوض الكريم يحضر من البطانة فقلت له ان من الأشياء مالا يوهب هل طلب منا الشيخ عوض الكريم ان نهب له آراءنا وهل يمكن أن نوقف عقولنا خدما لعقله فخرجوا دفعة واحدة من منزلى كما دخلوه دفعة واحدة وأنا لم أقضى بعد كلامى وبعد أن شفيت ذهبت لأم درمان للعزاء ورجعت وبعد مدة قليلة حضر الشيخ عوض الكريم وفى صباح يوم زارنى فوجدنى أقرأ جزء راتبى فى القرآن الكريم على سجادة صلاتى فجلس على عنقريب أمامى وبعد التحية قال لى الشيخ عوض الكريم يا شيخ بابكر والدانا ما ورثونا عدوانا قلت نعم ورحمهما الله قال لى اذاً امسك لسانك أى لا تذكرنى بسوء قلت له أنا الذى أمسك لسانى أم حضرتك الذى تمسك أذنك عن أن تسمع ما ينقل لك عنى أنا يا شيخ عوض الكريم قد غرب نجمى باحالتى على المعاش وانت قد طلع نجمك بوظيفتك العظمى ثم قلت له وهل حصل الآن ما يدعو للتحذير قال نعم وذكر لى مسألة حديثى بخصوص تدهور رفاعة مع الجماعة قلت له أيسرك أن كل بلدك يوقف أعماله وآراءه عليك أم يسرك أن يكون ببلدك رجال لهم آراء يعرضونها عليك للموافقة عليها أو تعدلها قليلا ولهم أعمال متنوعة توجههم فى بعضها قال لى انهم يقولون انك تحسدنى قلت أحسدك ؟ أنا أحسدك ؟ والله لو ان الله تعالى يوحى الى بعد رسول صلى الله عليه وسلم بواسطة جبرائيل عليه السلام فيقول لى أجعلك عوض الكريم لاسجدن له باكيا حتى تخرق دموعى هذه السجادة وأسأله ألا يجعلنى عوض الكريم البتة فقال لى وقد تغير وجهه (لاشن) أى لأى سبب قلت له يا شيخ عوض الكريم هل أكلك أشهى من أكلى أم لباسك أبهى من لباسى أم فراشك أرفه من فراشى أم سمعتك أنقى وأبقى من سمعتى أنا يا شيخ عوض الكريم أعرف الله أكثر منك وقد رزقنى الله الولد وأحرمك اياه هل لديك شيء أحسدك

عليه غير نظارة الشكرية قال لا قلت هؤلاء الشكرية ان لم تظلمهم لا يخافونك فهل أحسدك على شيء أساسه ظلم وهل لو قيل لى نذبح ولدك أحمد أو ولدك على ونجعلك ناظر الشكرية هل أقبل أنا بذلك فضحك وقال لى أترك هذا وقم اعمل لنا قهوة ولم يظهر عليه غضب كالأول فاتصف آنذاك بصفة آبائه الشكرية من سعة الأخلاق وعدم المبالاة بما قيل فيهم أو لهم وبعد أن نظرنا ودعنى وانصرف .

ناس كبار كانوا يحبوننا أصبحوا يكرهوننا

فى أوائل يناير سنة ١٩٣٠ حينما رجعت لرفاعة بالمعاش فكرت فى عمل وابور لسحب الماء لسقى مدينة رفاعة للفوائد الآتية التى تقابل فائدتها حرمان الأولاد الذين يعيشون من نقل الماء على حميرهم هذه الفوائد هى أولا تعيين ثمانية أولاد فى أمكنة تقاطع الشوارع لبيع الماء بمرتبات أولية جنيهين فى الشهر للواحد منهم ثانيا بيع الصفيحة بمليم بدل أربع مليمات ثالثا قرب تناول الماء من مكانه لكل البلد حتى ترتاح المرأة التى كانت تمكث على البير ساعتين وأكثر لتملأ برمتها لقلة الماء بالآبار ثالثا تحسين بعض المنازل بعمل جنينات للمستطيع رابعا ما تفتحه شركة المساهمة من ربح يشجع أو يمرن على استعمال شركات التعاون حتى تمتد لوابورات الرى الزراعيــة وغيرها ولكن لعن الله أغراض المغرضين الذين يقفون سداً فى الأعمال الاصلاحية . بدأت هذا الفكر مع أولادى المتعلمين وما كان يدور بخلدى أن بعضهم يرعه تواجدى برفاعة لأنه يرى أن وجودى يعارض آماله التى يأمل أن يصلها برفاعة . جمعت جملة من المتعلمين بالمدرسة وعرضت عليهم الفكرة واقترحت أن يكون السهم عشرة جنيهات تدفع فى أربعة أقساط أو خمسة جنيهات تدفع على قسطين فأول من تكلم منهم ..... معارضا الفكرة فخفت اذا دافعت معارضته أن تفشل الفكرة فسكت الى أن حضر الشيخ عوض الكريم كعادته فعرضت فكرتى عليه وقلت له بالله عليك يا شيخ عوض الكريم تشجع هذا العمل الاصلاحى وما ترغبه من عدد الأسهم تأخذه بالله عليك اذا كنت بخيلا تجود لها بمالك وجاهك فوعدنى جازما أنه سيشجع الفكرة . ثم ظهرت أشاعة خفية بنقل المدرسة الوسطى من رفاعة لمكان آخر لم يذكر اسمه بالسودان فذهبت لسعادة المستر باردسلى بمدنى

أطلب منه بقاء المدرسة وأشياء أخرى تختص بمصلحة سكان رفاعة فلما دخلت
على الباشكاتب وجدت الشيخ ٠٠٠٠ مع الباشكاتب فكتبت ورقة المدير أطلب
الاذن بمقابلته وأظن أن ٠٠٠٠ سبق فى طلب الاذن فأذن له (طبعـا قبلى لأنه
السابق وانه صديقه الذى كثيرا ما كان يقول وهو مفتش برفاعة ان ٠٠٠أحسن
منك أوافقه بقولى نعم لمعرفتى الناحية التى يفضلنى فيها عنده) فلما جاءنى٠٠٠
بعد أن قابل المدير لوى رأسه وقال لى سعادة المدير يسلم عليك ويعتـذر عن
مقابلتك لأنهمشغول قلت له وأنا مغضب عليـه انه جبان أنا أبوك لو حملنى
سعادة المدير أن أبلغك هذه الرسالة ما بلغتك اياها اما أن أحمله على مقابلتك
واما أن أسكت أتظن أقبل هذا العذر وقد جئت من رفاعة لأقابل المدير أرجع
وأقول لمن جئت نائبا عنهم أنى وجدت المدير مشغولا فطأطأ صاحبى رأسـه
فتركته ودخلت على المدير فى مكتبه فلما رآنى عبس لى وقال لى الشيخ ٠٠٠٠
ماقال لك انى مشغول وصلت عنده وهو واقف معبس الوجه وقلت له بصوت
جهورى سعادتك علمت الغرض من مجيئى لك من رفاعة اسمع طلبى ان استطعت
قضاءه تشكر وان عجزت تعذر وان أجلته تنظر فاجأنى بقوله ناس كبار كانوا
يحبوننا أصبحوا يكرهوننا ، قلت الكبير غالبا يكون عاقلا لا يحب ويكره لغير
سبب وما دمت سعادتك أثبت لهم المحبة واتهمتهم بالكراهة فهـل بحثت عن
السبب الذى حولهم من المحبة للكراهية قال لى سعادته انت تعرف سببا قلت
اعرفه قال لى ما هر السبب قلت ان رجالكم الذين فتحوا البلاد وباشروا حكمها
كانوا يتألفون السكان بكل أنواع التأليف ولكنهم يكتبو فى الملحوظات كـل
أعمال ومعاملات تحصل فى المستقبل مبينين نوعها وزمنها فجئتم أنتم منفـذين
لما كتبوه فهل ترى سعادتك المؤلف والمنفذ يكونون سواء عند الرعيـة الذين
هم محل التأليف المحبوب والتنفيذ المؤلم ٠ لما سمع هذا تبسم بعد التعبيس
وجلس على كرسيه وأمرنى بالجلوس بعد هنيهة وأظنه كتب ما سمعه منى قال لى
ماذا تريد ؟ قلت يا سعادة المدير أنت مكثت برفاعة سبع سنوات تقريبا فهل ينتظر
أن يأتى مفتش غيرك يمكث هذه المدة ويكتب له الجلوس على هـذا الكرسى
قال أظنه صعبا الاتفاق قلت أرنى ما عملته لرفاعـة التى هى أكبر وطن لك فى
السودان التفت لى بعناية ولهفة وقال لى ما تريد منى لها ؟ قلت أريد منـك
لرفاعة أربعة أمور قال سعادته ماهى قلت : الأول انت تعرف كما أعرف أنا وان

رفاعة ليست بلدة زراعية بالمعنى ولا تجارية ولا صناعية وانما نصيبها كغيرها
علمية والآن يراد نقل المدرسة منها لبلد آخر بالسودان وسعادتك المدير هنـا
قال لى انهم قالوا ان رفاعة أخذت نصيبها من التعليم وافرا وأرادوا تعميم فائدة
التعليم بالقطر ولذلك أرادوا نقلها قلت أرد على سعادتك بما قلته للمستر كنقدن
وهو ان الحكومة اما ان تكون راغبة فى تعليم الشعب فلا يعجزها درج ألفى
جنيها فى ميزانية العام الجديد لتفتح مدرسة حيث رأت الحاجة ماسة اليها واما
أن تكون غير راغبة فى تعليم الشعب فسكان رفاعة الذين تقول الحكومة العليا
أنهم أخذوا نصيبا وافرا من التعليم لا يحرمون منه أولادهم مهما كلفهم فتكون
بنقل مدرسة رفاعة فتحت مدرستين فى عام واحد البلد الذى نقلت اليه مدرسة
رفاعة وأولاد رفاعة الذين نزحوا لطلب العلم سكت قليلا ثم قال لى نجعلهـا
نصفية أى تبقى المدرسة برفاعة من فرقتين أعنى لا تقبل التلاميذ المستجـدين
سنويا فيكون فيها أولى وثالثة فى سنة وثانية ورابعة فى سنة قلت شىء فى الجملة
خير من لا شىء وبعض الشر أهون من بعض ثم قال ماهـو الطلب الثانى قلت
سعادتك انت تعلم ان آبار رفاعة من آخر شهر فبراير ولغاية آخر أغسطس قليلة
الماء حتى وان المرأة تمكث عند فم البئر ساعتين وأكثر لتملأ برمتها نطلب من
سعادتك تسريحا لنعمل وابور ماء لشرب المدينة قال سـعادته : ان المصريين
لا يرضون بوضع وابور على النيل الأزرق قلت لسعادته انتم الانجليز ماتريدون
عمله تعملونه بدون التفات للمصريين وما نريده منكم ولا ترضونه تحتالون فيه
بعدم رضاء المصريين فضحك حتى استلقى على ظهر كرسيه ثم قال أين تضعون
الوابور قلت على النيل بديم القريداب قال حينما يفتح الخزان تمر بالنيـل ماء
قذر فيضر من يشربونه قلت هم الآن يشربون منه فضحك ضحكته العالية ثم
قال الأحسن أن نعمل بئر ارتوازيا ببطن المدينة قلت هذه تكلفنا خمسمائة جنيها
قال لى أنا أعطيكم الخمسمائة جنيها قلت لسعادته انت رأيت بئرى الواسـعة
بمنزلى وأنا أريتها المستر جرابهام الجيولوجى للحكومة أخذ طينة من قعـرها
وقرر انها تنفع ارتوازية فاذا وافقتم عليها فانى أهبها للبلد وأجعل لها شـارعا
بأربعة أمتار يصلها بالشارع العمومى وأسجل البئر والشارع للبلد قام وأخذنى
لمكتب المستر ريد نائب المدير وقال له أتعـرف الشيخ بابكر بدرى قال المستر
ريد لسعادته هو صاحبى من سنة ١٩٢٤ حكى سـعادته للمستر ريد ما قلته

بخصوص بئرى وكلفه أن يأتينا برفاعة وينظر بئرى فمتى وافق عليها هو وسكان
رفاعة يقررها والا فليبحث فى مكان آخر يليق لحفر هذه البئر ورجعنا لمكتب
سعادته فقال ما الحاجة الثالثة قلت جناب المستر ريتشرصن مفتش المركز أمر
الناس ببناء أسوار حول أوتاد المساحة لا يقل ارتفاع السور عن متر ونصف
وطالب بتنفيذه بسرعة ودقة وفى زمن واحد معين فتسابق السكان وارتفعت
أسعار البناء فأخرجوا غلال مؤنتهم وصار الجالب أكثر من الطالب فانخفض
سعر الأردب من ٨٥ قرش الى ٦٥ قرش فاذا عطفت سعادتك وأمرت المفتش
بوقف البناء تكون أسعفت الناس أمسك سعادته التلفون وسأل المفتش عن
سعر الغلال بسوق الحصاحيصا قال فى الحال الأردب بتسعين قرشا فقال سعادته
وكم سعر الأردب برفاعة فتأخر فى الرد فسأله ثانية فأجاب بأن خمسة وستون
قرشا قال سعادته للمفتش ما السبب فى هذا الفرق بين الثمنين قال المفتش السبب
قيمة الجوالات والترحيل فأجابه سعادة المدير أنا عارف ان الفرق عشرة قروش
الشيخ بابكر بدرى هنا معى وقال ان السبب هو أمرك ببناء الأسوار الذى
حمل السكان على اخراج الغلال بالسوق حتى صار الجالب أكثر من الطالب
أوقف أمر البناء ثم قال لى ما هى الرابعة قلت جناب المفتش مؤكد المطالبة
بالأموال عشور أو قطعانا فلو تكرمت وأمهلت الناس لغاية اكتوبر ليمر عليهم
الخريف وتأكله البهائم حتى يصير ثمن الخروف الذى يباع الآن بعشرين قرشا
جنيها لأنه يكبر فى جسمه ويسمن فى لحمه فقال سعادته ما معناه وخزنة الحكومة
تمهلنا قلت أخزنة الحكومة يملؤها مال مركز رفاعة ضحك ومسك التلفون
وطلب من المفتش تأجيل تحصيل أموال رفاعة كل المركز الى شهر اكتوبر
شكرت سعادته واستأذنته فخرج معى خارج مكتبه وقبض على يدى بيده
وقال لى انت يا شيخ بابكر صحيح راجل رفاعة بابى مفتوح لك متى أردتنى
فانى ساهل لك وأشكرك على شجاعتك وتنبيهك لى ودعته وانصرفت بعد أن
كررت شكرى له ٠ جاءنا مستر ريد برفاعة ونظر بئرى ولم يوافقه الناس عليها
لأنى حينما وصلت فهمت بكل ما حصل فرأى رؤساء البلد انى أقل من أن
أسعى للمدير كما رأوا حرمانى من المنفعة التى قدرها لى من قبول البئر ماديا
بقربها وأدبيا بتاريخها ثم قال الشيخ عوض الكريم المكين عند سعادة المدير
كلمته التى قضت على مشروع الماء لليوم وهى « البلد يبقى فى حاله يشرب

بالسقائين بالحمير ليعيشوا بثمن الماء الذى يبيعونه • »

جاءتنى دعوة فى يوم ١٩٣٠/٣/٩ لوداع المستر يودال النهائى للسودان وقد ترك وراءه ذكرا عطرا عند السودانيين خصوصا المتعلمين منهم بما قدمه لهم من العطف بهم وخالص الخدمة لبلادهم فودع محمودا أعماله مفقودا شخصه وبعد سفر المستر يودال ظهر فى جريدة الحضارة الوحيدة آن ذاك بالخرطوم بل بكل السودان غناء بالدوبيت السودانى قاله ونشده المستر هللسون الرجل العاقل الرذين المستعرب يذكر فيه أن بنات رفاعة يغضبن لسفر المستر يودال ولما كانت هذه الجملة تؤول تأويلا سيئا فى عرف البلاد حتى وأنا الذى من أعرف الناس بنزاهة وبراءة المستر هللسون حينما وقع نظرى عليها اهتزت أعصابى وأحسست بالشر الذى تعرض له هذا الرجل وبالرغم عن اعتقادى حسن نيته غضبت عليه لحد ما يغضب مثلى على مثله وفى الحال توجهت له فى مكتبه وسألته عن غرضه فى قوله هذا الذى لا يليق أن يحصل من عالم عاقل مثله فبادر بأنه يأسف جد الأسف فى انعكاس غرضه فيما قال وانه كان يظن أن قوله هذا يسر سكان رفاعة وانه قلد النغمة السودانية التى تعبر عن فقد الرجل النافع فى بيته وقبيلته على لسان النساء لأن رجال السودان معروفون بالجلد والصبر فى المصائب فرددت عليه ان قولك هذا لو قلته ترثينى أو ترثى أعظم رجل برفاعة لم يستحسن منك خصوصا قاله أجنبى لأجنبى ونشره فى جريدة سيارة كرر أسفه واعترف بغلطته وأوصانى لسكان رفاعة أجمعين أبلغهم أسفه وانه مشتاق يصلهم برفاعة ويقدم أسفه لهم وبوصولى رفاعة وجدت تذمر الناس عاما خصوصا الذين يقدرون مقدار هذا القول ويخافون انتشاره فى كل السودان بواسطة جريدة الحضارة فأخبرتهم بما دار بينى وبين المستر هللسون وبما أوصانى به لهم من الاعتراف بالغلطة وتقديم أسفه مع حسن نيته وانه يعد سكان رفاعة وخصوصا المتعلمين منهم أعز أصدقائه بالسودان قرر مجلسهم أن يكتبوا للمستر هللسون احتجاجا رغم ما سمعوه منى ولكنهم كتبوا احتجاجا ختموه باعتذارهم •

زرت المستر وليمس فى مكتبه بادرنى بسؤال عن رأيى فى الادارة الأهلية فقلت لسعادته انها مليئة بالمساوىء خالية عن المحاسن فقال لى وهو يتكلف الحزم : كل من تسأله عنها يمدحها قلت له كلهم يخافون منكم رد على مغضبا

ولماذا لا تخاف انت مثلهم قلت لسعادته أنا عمرى ينيف على السبعين عاما وأنتم
أجانب فى الدين فلو قتلتمونى أدخل الجنة بخروج روحى واسمى يخلد فى
بلادى فعلام أخاف ضحك وقال والله حرام عليك تخاف) ثم أخبرنى أن
الشيخ ٠٠٠٠ كتب للادارة شكوى ضدى بأنى أتداخل فى أعماله قلت ما هى
أعماله التى أتداخل فيها هل عنده تحصيل أموال أرجوه تأخيرها أم ترفع عنده
قضايا أرجوه تخفيفها ٠ وبوصولى رفاعة زرت ٠٠٠٠ فى مكتبه وذكرت له
ماقاله لى المستر وليمس بخصوص شكواه من تدخلى فى أعماله لعله يذكر لى
حادثة أعذره بها فأخذ يتلجلج ثم ركن الى السفسطة فقلت له اسمع يا ٠٠٠٠
مثلى ومثلك كمن قال لخصمه يا فلان هون على نفسك من الجرى خلفى فانك
لو جمعت قوتك وأعوانك لا تستطيع أن توقعنى فى هوة أنا واقف على شفيرها
وأنا والله لو رميتك بتفلة من بصاقى أقضى عليك بها فهبط قليلا وأخذ يخلط
بين العذر والنكران لما قيل عنه ثم خرجنا معا من مكتبه للمنازل فلما وصلنا
باب منزلى الذى به الداخلية مال ٠٠٠ اليه فقلت له تفضل تغدى معى فقال لى
والله يا أفندى لولا أن عثمان محجوب دعانى مع بعض اخوانه كنت أذهب معك
فتركته عاذرا اياه ٠ فى تلك الليلة جاءنى الشيخ عبد الله البنا وآخرين نسيت
أسماءهم ووجهوا الى سؤال المحتج انت قلت للمستر لونج كل أهالى رفاعة
لا يحتجون على المستر هللسون فيما قاله انما الذين يحتجون عليه هم المتعلمون
فقط وذلك حينما رأوا اهتمام المستر لونج بموت هذه المسألة فأردت أن أقول
لهم نعم قلت ذلك فلما قدرتكم على وأطردهم من بيتى ثم أبت الى رشدى
وقلت فى نفسى كيف أعطى عدوى سلاحى يقتلنى به وبعد هنيهة قلت لهم من
بلغكم ذلك عنى قال محدثهم بلغنا اياه فلانا اليوم قلت لهم أخبروه ليستعد
لمقابلتى مشافهة بذلك الآن قالوا انه حلف طلاقا لا يدخل فى بيتك فضحكت
عجبا أن يحلف طلاقا أمام اخوانه انه لا يدخل بيتا كلهم يعرفون فضله عليه
وتكوينه بعد الله له قلت لهم فاستعدوا ويستعد معكم هو لنصر المستر لونج
فى مكتبه وأنا أسأله أمامكم هل بلغته ما نقل لكم ان قال لى نعم انى مستعد
أن أقول له أمامكم انت كذاب قال لى أحدهم أتستطيع أن تقول للمفتش كذاب
قلت له على الطلاق ان قال نعم أقول له كذاب فلما أبلغوا ٠٠٠ ما قلته وقسمى
خاف ورفض وصوله للمفتش فكذبوه فى وجهه وجاءونى معتذرين ٠ كان منزل

الشيخ محجوب الخليفة الذى بلصق منزل لطفى بدأ الانقضاض وبما أنه أى محجوب ليس له ساعد بعد الله غيرى وان منزل سعيد أخى صار خاليا تقريبا فكرت أن أبيعه للشيخ محجوب بسبعين جنيها آخذ منزله فى ستين جنيها ويدفع عشر جنيهات تقسيطا هذا فى نيتى وقبل أن أصرح لمحجوب بذلك سمعت أن لطفيا فاوض محجوبا فى منزله وقرر له ثلاثين جنيها ثمنا ومحجوب على نية السفر فسألته أى محجوب عما سمعته فاعترف لى بذلك فصارحته بما أردت لعلمى أن محجوبا اذا باع منزله وقبض ثمنه لا يصرفه الا فى زواج يزيد به عائلته فحينما سمع منى انى أعطيته منزل سعيد فرح ودعا لى بخير فقلت له قبل أن تبارح رفاعة اكتب لى توكيلا شرعيا بالتصرف فى منزلك ففى الحال كتب التوكيل وبعد استلامى للتوكيل سافر محجوب

ورد لى خبر من ابنتى فاطمة بدرى أن المس ايفنس أعلنتها بالنقل من أم درمان لمدرسة برى المحس فقلت للمس ايفنس أنا جئتك لتتركى فاطمة ابنتى من النقل لمدرسة برى وتبقيها فى أم درمان كما كانت ولما كانت المس ايفنس صريحة فيما تريد وأنا مثلها لم يطل بيننا الجدل جبهتنى بقولها تقصد انه لا منزل لك ببرى المحس تسكن به ابنتك فان هناك منزلا للمدرسات يسكن فيه معا قلت لا أقصد ذلك ولو كنت أوافق على نقلها لبرى المحس هناك منزل صديقى الشيخ عثمان اسحق كمنزلى تماما فقالت لا بد من نقلها لبرى المحس أو أرفتها من الخدمة فضحكت وقلت لها الحمد لله حيث ذكر الرفت من ناحيتك فانى والله ما جئت من رفاعة الا له ولتتأكدى يا مس ايفنس انى لا أقدم بناتى ليكن معلمات والله رغبة فى مرتبهن ولكنى أريد أن أقودبهن غيرهن من البنات السودانيات وانك لتعلمى أيضا انى أعتبرك أمها الروحية ولذلك جئت لآخذ بخاطرك فى رفتها وكان فى امكانى لولا هذا الاعتبار أحبسها بمنزلى دون رأيك فلا يسعك آن ذاك الا رفتها لأن مدة التعاقد معها قد انقضت فغضبت وقالت لى أنا رفتها ولا أعطيها مكافأة ولا مرتب ديسمبر قلت اما مرتب ديسمبر فهى تستحقه وستأخذه واما المكافأة فانها لا تستحقها فأرجوك أن تسمعى منى جملة ربما تسرك ان فاطمة ستتزوج فى هذا العام أو فى أوائل العام المقبل وأرى من فائدتها أن تباشر خدمة المنزل لتتمرن على مسئوليته فى نظامها وعمليات نظافتها وطعامها استعدادا لما يفاجئها فلم تلتفت سامحها الله لهذه المجاملة وخرجت من

المكتب فكتبت للمعارف توكيلا من فاطمة تطلب صرف مرتب ديسمبر فصرف لها ومكثت بالمنزل حتى تزوجت فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٣١ بعد ما خدمت الأحفاد برفاعة تحت اشرافى فخدمتنى بجسمها وخدمتها بعقلى ودعوتى لها ٠

فى سنة ١٩١٩ كما سبق ذكره طلبت حكومة نيجريا معلمين من السودان لتأسيس تعليم على غرار بروجرام المعارف السودانية على أن احتلال الانجليز لنيجريا قبل احتلالهم للسودان ٠ وبديهى ان تعليمنـــــا اذاً أرقى من تعليمهم أرسلت حكومة السودان المستر ديفس لنيجريا ليفتش أدارتها الأهلية لينقلها الانجليز الى السودان ومن البديهى أيضا أن يخطر ببال السودان المتنــور فى معلوماته وأفكاره أن الانجليز المنفردين بمباشرة ادارتنــا باخراجهم المصريين شركاءهم المزعومين من السودان فى سنة ١٩٢٤ عزموا الرجوع بنا القهقـرى خصوصا وقد بدءوا ينسبون لنا حادثة أربع وعشرين لهذه الأسباب ولا بدالهم الفجـــائى للادارة المركزية التى كانت يتولاها المتعلمون ذوو الشهادات من الوطنيين والانجليز باستبدالها بالادارة الأهلية التى وكلوا أمرها الى النظار والعمد والمشايخ للقرى والمدن الذين جلهم غير متعلمـين بل غير متمرنين على الادارة لاحتكار الانجليز لها ومن اقتدوا بهم من الأجانب فى احتـكار لباب الادارة وعدم اعطاء هؤلاء الولاة الجدد أى فرصة فى الاطلاع على باطن سياسة أنفسهم أى وظائفهم البسيطـة ومن العجيب أنهم أى الانجليز وأذنابهم أيدوا هذه الادارة الجديدة بكل قوة وسلطة حتى وان المستر ريتشرد مفتش رفاعة وقتئذ أمسك بيد العمدة محمد نايل أمام المدير باردسلى وأعلن بأعلى صـوته ان هذا العمدة هو خير منى فى الحكومة لأن أحكامى أنا تستأنف ولكن أحكامه تنفذ دون استئناف على أن العمدة محمد نايل هو أضعف عمد مركز رفاعة عقلا ورأيا وأقلهم حلالا وايرادا ٠

فى آخر ليلة من المولد برفاعة كنا سائرين مع المفتش المستر كنقدن ومعنا الشيخ محمد عبد الله والمفتش ممسكا بيدى فسألنى ماذا قلت للشيخ محمـد

قلت فى أى شىء قال ألم تقل له ما تعطوا الانجليز قلوبكم فوقفت به من السير وسألته هل أنتم تريدون القلوب ان كنتم تريدون القلوب فاسلموا لأن القلب يا جناب المفتش هو بيت الله فطلق يدى ولم يلتفت لى بعدها !

بعد هذه الحوادث ساء ظنى فى ادارة الانجليز لبلادنا ولكنى لم أخف

عليهم رأيى فى هذه الادارة فأتذكر انى ذهبت للخرطوم وزرت صديقنا ادورد عطية فى مكتبه فدخل علينا المستر بنى وبعد السلام قال لى سعادته ما رأيك يا شيخ بابكر فى الادارة الأهلية قلت له والله يا سعادة المدير منذ جئتمونا تغزوننا ولكن مثل هذه الغزوة ما غزوتمونوها فخرج سعادته مسرعا فقال لى ادورد عطية أسأت الرجل قلت عادتى أن أتكلم بما أعلم لا أتكلم بما يريده مخاطبى .

فى يوم ما زارنى الشيخ محمد عبد الله أبو سن وكيل ناظر الشكرية برفاعة وشقيقه وصديقى وفى أنسنا جاءت امرأة حاملة طفلها وبيدها قصبات خضر فقالت للشيخ محمد عبد الله يا شيخ العرب بلادى زرعتها وحششتها بمشقة يعلم الله ولدى هذا يكون راقد فى الشمس على ظهره فى الأرض يبكى اذا ما أتممت الشقيقة ما أرفعه فأرضعه والبارحة خيلكم دعكتها فقال لها الشيخ محمد اقعدى هناك مؤشرا لها على بعد قليل منا . وبعد قليل جاء رجل يحمل فروع بطيخ بادية بالثمر فقال للشيخ محمد يا شيخ العرب جرفى (حقلى) أجرته غاليا وحفرت حفرا بمشقة وسقيته على كتفى البارحة سرت فيه خيلكم ودعكته فقال للرجل ما قال للمرأة فجلس الرجل بجانب المرأة والشيخ محمد مشغول بحديثه فهاجنى هذا المنظر وقلت له يا شيخ محمد سيدكم عنده حصانان ربطهما ويصرف عليهما انت تطلق اثنى عشر فرسا وحصانا لتبكى منها امرأة او يشكو منها رجل فالتفت للرجل والمرأة وقال لهما باكر (غدا) تعين لجنة تقدر خسارتكما ندفعها لكما فقال الرجل لا نطلب غرامة ولكن نطلب أن تحبسوا خيلكم عنا وأمنت المرأة على كلام الرجل وذهبا . فى تلك الليلة حضر الشيخ عوض الكريم ناظر عموم الشكرية فحكى له صديقى الشيخ محمد ما قلته له ليوقر صدر الشيخ عوض الكريم منى ولكنه عاقل فنهره قائلا له هو رائى هذه الحركة لو كان غير ود بدرى ما كان بصرها (ينقلها كاملة) للمفتش والمفتش يطلبك وينهتك (يزجرك) ويأمرك بربط خيلك ثم قال لأخيه محمد فى هذا اليوم تربط الخيل كلها فقال له محمد ربطناها بحبال الشعر قطعتها وحبل السعف قطعتنها أيضا فقال له عوض الكريم حبال التيل عند الخواجة سركيس الحبل بخمسة وعشرين قرشا واربط الخيل فرأيت الشيخ محمد وتابعيه فى سلطته يجرون وراء الخيل ربطوها فى يومها بحبال التيل

ولكن دعوة المظلوم تصعد الى السماء تفذت فى هذه الخيول فأفنتها فى عامها .

فى ابريل سنة ١٩٣٠ فتحنا مدرسة الأحفاد برفاعة فى برندة عرضها ثلاثة أمتار وطولها ٩ أمتار ونصف وللاحفاد تاريخ خاص لا نكرره هنا ومن شاء الاطلاع عليه فيقرأه فى مكانه .

فى سنة ١٩٣٠ جاء أمر من مدير مدنى المستر اكلارك بوضع ضريبة المنازل على مدينة رفاعة فذهبت اليه بمدنى وقلت له ان الحكومة قد خفضت مدينة رفاعة فى سوقها وحولت أهميته لسوق قرية تمبول كما حولت المفتش الى الحصاحيصا ولذلك أصبحت قرية لا تستحق ضريبة منازل فقال لى اذا نسحب منها تسجيل المنازل بأسماء مالكيها قلت له الآن فسرت لى جملة فى تسجيل الأملاك وهى فى كل عقد برفاعة مكتوب : «هذا العقد لا يخول الملكية» فضحك وأمر مفتش رفاعة المستر بول أن يلغى تسويل المنازل بعدما شرع فيه عام ١٩٣١ :

فى يوم ٣١ مايو سنة ١٩٣١ جاءنا عبد الله أبو سنينه ومعه زوجته بنت عمه وخطب منا زينب موسى خالد وأخبرنى ان أباها راض فاختليت بموسى وقلت له ان هذا الرجل كبير فى سنه وله ثلاث زوجات احداهن بالأبيض والثانية بالفشوية والثالثة بالرباطاب وهى معه الان هنا وماليته مضعضعه وبنتك صغيرة ولا شك انها تجد زوجا خيرا من هذا وانك لا تستفيد منه تجاريا غير هذه السفرة فى هذه السنة لأنه قد ينكشف وتقف تجارته فقال لى انت تشاورنى فى زواج بناتى ؟ فضحكت وعرفت انه مصمم على تزويج عبد الله بابنته نظير شركته هذه السنة فقلت لعبد الله صداق بناتنا ثمانون جنيها فقال سأدفعها الآن ثم قلت له ان زوجتك ضيفتنا فلا يمكن أن نسيئها برضانا تزويجك بنتنا فقال لى ستأتيك وتخطبها هى لى منك وفعلا جاءتنى وخطبتها له معلنة رضاءها ووعدته بعقد العقد بعد شهرين وسافر لأم درمان فكتبت له خطابا أخبرته فيه ان هذه البنت لا تصلح له زوجة لأنها هى وأمها واخوانها غير راضين بهذا الزواج ولا نصير لك الا أبوها فجاءنى منه رد الخطاب بأنه غير مبال بما سيؤول عليه فكتبت لأحمد ميرغنى بأن يرسل لى خطابا ولموسى خالد مثله يخطب بهما زينب لنفسه وعبد الله فى أم درمان لم يجد ضامنا كفء تقبله الحكومة لاعطائه تعهد اسبتالية ملكال لسنة ١٩٣٢ ليتمكن من أخذ موسى خالد كما وعده لشركته

فبدل موسى خالد معنا عن عبد الله بأحمد ميرغنى وتم زواجه بها فعلا اذا أراد الله أمرا هيأ أسبابه .

فى يوم ٢٦ يوليو تم زواج أحمد أفندى مالك بابنتى فاطمة ومن ضمن المدعوين لها أحمد أفندى متولى العتبانى الذى كتب له أحمد أفندى العتبانى فوصلت ورقة الدعوة لعمه أحمد أفندى العتبانى . وجاء بالمنزل فوجد نفسه بين الشبان ولاحظت وحشته فجلست معه فقال لى أظننى غلطان فى اجابتى هذه الدعوة لأن المدعوين كلهم شبان فقلت له دعوتك أنا مخصوصا لأستأنس بك فآنس معك فاطمأن .

جئت لكلية غردون لأشترى أخشابا من أنقاض سقفها لسقف ما بنيته برفاعة لمدرسة الأحفاد . وبعد أن جهزته وأنا ذاهب للترمواى ومعى ابنى يوسف بدرى أخبرنى بأن تلاميذ الكلية عازمون على الاضراب العمومى يوم الثلاثاء ٢٤ نوفمبر فكيف يكون موقفى أأضرب معهم ؟ قلت له : كن آخر من يخرج من الفصل وحينما تنفردوا بمكان الاضراب اعمل معاخوانك كما يعملون ورجعت للمستر وليمس وأخبرته بما قال لى يوسف لأن الاضراب لم يسبق استعماله الا سنة ١٩٠٨ حينما طلبوا من قسم المعلمين والقضاة الكشف على الشخص عاريا وذاك الاضراب كان بمانع أدبى ودينى وفى وقت لم يألف الناس بالسودان مثله . اما هذا الاضراب فسببه مادى فقط لأنهم قد بلغ التلاميذ ان الماهية ستنزل من ٨ جنيه الى ٥ر٥ جنيه شهريا .

«سياسة تخفيض التعليم»
عام ١٩٣٢

فى يوم ٣ يناير قمنا مع المستر لين لحضور امتحان المستجدين بالنسبة لادخال محمد بدرى الابتدائى ويوم خمسة وصل تلغراف من المعارف بلغو المدرسة الوسطى برفاعة أثناء هذه السنة

فتحدثت مع المستر لين مندوب المعارف والمستر اربثنوت مفتش المركز ببقاء المدرسة ولغو الداخلية وتوزيع تلامذتها على الأعيان برفاعة ليقوموا بغذائهم حتى نهاية السنة اذا وافقت المعارف على ذلك • وفى يوم ٩ منه دخلت على المستر مثيو سكرتير المعارف آن ذاك ووجدت معه خلفه المستر وتر والمستر وليمس مدير الكلية فقلت للمستر مثيو الذى صمم فى آخر مدته بالسودان على قفل الكلية بالنسبة لاضراب التلاميذ بسبب تخفيض المواهى من ثمانية جنيهات الى خمسة ونصف فقلت له يا مستر مثيو أترضى أن تقفل الكلية وتحمل مفاتيحها لأهلك الذين تبرعوا لبنائها وعينوا لها لجنة من خيارهم ليحافظوا عليها فنيا وماديا وهم على بعدهم بانجلترا فالأحسن عندى أن تتركها لخلفك فى الوظيفة وهو معك الآن يسمع لقولى معك فان استطاع دوامها كان وبها والا فلا ينسب قفلها لك فارتاحوا كلهم لكلامى هذا فقال المسنر مثيو هل تضمن رجوع التلاميذ للمدرسة ؟ قلت على شرط أن تؤخروا ميعاد فتح الكلية عن يوم اثنى عشر الجارى قال هذا لا يمكن قلت اذن تكتبون منشورا «بالحضارة» بأنكم ستدخلون فى الكلية علوما جديدة لتصل كل التلاميذ فى أماكنهم فقال لى أملى الكتابة التى تريدها فأمسك المستر وتر القلم وأمليته فأرسلت الكتابة للمطبعة موصا عليها بأن تلحق بعدد اليوم ونشرت فعلا وفى الوقت نفسه ذهبت ومعى ابنى يوسف للسيد عبد الرحمن المهدى وأخبرته بما حصل لعلمى انه مجتهد فى استمرار الكلية مفتوحة وفى الحال أرسلنا الى صديق أفندى فريد الذى أرسل أخاه طلعت ومعه بعض الأولاد ليكونوا مساء احد عشر يناير بالكلية ونحن اجتهدنا فى ارسال ما استطعنا ارساله من تلاميذ الداخلية ليكونوا بها وطلبت من صالح أفندى عبد العظيم ضابط الداخلية آن ذاك ليعمل طعاما يكفى مائة ولد فى العشاء فقال حضرته اذا لم يحضر هذا

العدد فقلت له أنا مسئول بقيمة ما يبقى من الطعام لتأكدى من ان تلك النشرة تبعث فى الأولاد روحا جديدة فيقدموا للمدرسة كل من يمكنه الزمن لوصوله المدرسة فاذا وجد بعض اخوانه بالداخلية دخلها وهذا السبب الذى جعلنا نقدم بعض الأولاد يكونوا بالداخلية فحصل عدد التلاميذ الذين وجدوا بالداخلية أكثر من مائة واضطروا صالح أفندى ليشترى لهم عشاء من مطابخ السوق زيادة على ما طبخه لهم فى مطابخهم وانحلت العقدة واستمرت الكلية بجد الفائزين عليها وعلى رأسهم السيد عبد الرحمن المهدى حفظه الله .

((فترة تيه فى الأحكام السياسية))

فى يوم ١ فبراير قمت مع المستر اسكوت الذى عين من المعارف للبت فى لغو أو ابقاء المدرسة الوسطى برفاعة بوصولنا مساء اليوم نفسه جمع مجلس من أعيان رفاعه حضره المستر ارثبنوت والمستر سكوت بلسان المعارف وأعيان رفاعة يدافعون لبقاء المدرسة ولما بدء الكلام وقال المستر سكوت خطبته التى شممنا منها انه يميل لقفل المدرسة بدأت أتكلم وأحسن بقاء المدرسة برفاعة فقال لى مستر أربثنوت يا بابكر لا تتكلم فسكت ولما جاء دورى فى الحديث تحدثت معارضا فى قفل المدرسة فوقف مستر أربثنوت وقال لى بأعلى صوته شيخ بابكر لا تتكلم فسكت وفى الثالثة قلت له أنا أتكلم بلسان الشيخ محمد أبو سن ومن معهم وأخيرا لما قلنا نوزع التلامذة قال مستر اسكوت المعارف لا ترضى وآباء التلامذة لا يرضون بتوزيعهم فقلت اذا فأنا أتنازل عن أجرة المنزل وتصليحه مما يكلف المعارف ستة وسبعون جنيها فى السنة وسكان رفاعة يدفعون أجرة الطباخ والمعارف يكون عليها الغذاءات فقط وفى كل سنة فى المستقبل لا يقبل تلاميذ بالداخلية ففى ظرف ثلاث سنوات تخلو الداخلية وبذلك حصل الاتفاق وبقيت المدرسة .

فى ذات يوم بعد أن نقل المستر لونج مفتشا بالحصاحيصا جئت ماراشمال مكتبه ونظرنى بالشباك وطلبنى لزيارته بمكتبه فجئته وبعد محادثة قليلة قال لى أنا قد استأنفت للعمدة الأمين الأحيمر مائة وخمسة قضايا كسرت منها ثمانية أحكام فقلت له أنت بريطانى ومتخرج جامعة يالله عليك ألم تكسر لك فى أحكامك أكثر من هذه النسبة فضحك وسكت فخرجت من عنده وسافرت

للخرطوم .

وفى يوم ما كان المستر ونتر سكرتير المعارف نائبا للسكرتير الادارى وكان المستر هللسون مديرا للمخابرات ودخلت على المستر ونتر بخصوص اهمال الحكومة لقضية متخرجى هذه السنة من استخدامهم بمرتب يرضيهم كسابق اخوانهم وعدم قبول المتخرجين بالخمسة جنيه ونصف التى قررت مرتبا فقلت له ان بعض ولاة أمور التلاميذ تجرد من كل ما يملك وصرفه على ابنه مصاريف مدرسية ولوازم شخصية وكان ينتظر أن يرتب له ولده من الثمان جنيهات التى يتخرج بها ما لا يزيد عن أربع جنيهات ولا يقل عن ثلاث فقال بحدة وهم يرتبون لآبائهم ما تقول قلت له نشكركم على شفقتكم على آبائهم ولكن أرى لو عينتم هذه الدفعة بسبع جنيهات واعتذرتم بالأزمة وفى السنة المقبلة نزلتم المرتب الى ست جنيهات وفى التى بعدها الى خمس جنيهات وهو المرتب الأول لأوائل المتخرجين أمكن قبولهم له تدريجيا بنقصان جنيه عن سابقة فقال لى سعادته هذا يمكن أن يكلف الخزينة أربعة آلاف جنيها سنويا من أين تأتى هذه الفروقات قلت الحكومة التى صرفت على مركز الحاج عبد الله ١٦ ألف جنيه ولغته بعد ثمانية شهور تستطيع على ما أظن أن ترضى مستخدميها وولات أمورهم باثنى عشر ألف جنيه سكت قليلا ثم قال لى مرتب ست جنيه ونصف الا يكفى للولد ؟؟ قلت هو خير من سابقه ثم انتقل بى الى الادارة المحلية فقال لى المستر هللسن : ما رأيك فى الادارة المحلية قلت من أكبر عيوبها أنها لم يوضع لها قانون يستعمله المطالبون به ويتنور منه من تستأنف عندهم الأحكام . قا للى : كيف يعمل قانون واحد للسودان المختلفة لغاتهم المتنوعة عاداتهم الشاسعة أماكنهم قلت تكتب الحكومة المركزية لكل المديرين وكل مدير يدرس بواسطة كبار مديريته عاداتهم ويلخص منها قانونا يليق لتوحيدهم فى الأحكام ثم يحضر كل من المديرين بملخصه فى جمعيتهم السنوية فتدرس كل الملخصات ويلخص منها قانون واحد يناسب الكل لكل البلاد فقال لى المستر هللسون : أن المفتشين الانجليز قد انتشروا فى البلد فهم يوصلوننا الحوادث المهمة فى كل أنحاء السودان قلت له جنابك مدير المخابرات وانت رجل عالم كنت مدرسا بكلية غردون سنين عديدة وتعرف اللغة العربية

دارجا وفصيحا هل بلغك ان مفتشا بريطانيا يأمر بأخذ بضاعة التجار ويلقونها في الشوارع يختطفها الأولاد ومن رد منها شيئا لصاحبها يعاقب ؟؟ أم هل بلغك أن مفتشا برطانيا أمر بسلب مسجون من ثيابه وقيد في السوق عريانا فجاءت والدته حاملة له أكلا فلما رأته عريان رمت بالأكل على الأرض وقالت لولدها اليوم لو رأيت جنازتك وانت ميت خيرا لي من أرى عورتك ؟؟ وهل سمعت ان مفتشا بريطانيا أركب رجلا على حمار وجه الرجل مقبلا لذنب الحمار وسيق بهذه الحالة في السوق يسخر به الأولاد ؟؟ وهل سمعت ان مفتشا بريطانيا ربط رجلا تاجرا من رجله بحبل في دخولية الهوامل من البهائم وأمر بوضع ربطة من القصب اليابس وأمر التاجر بأكلها ؟؟ فغضب المستر هللسون وقال لي هذا لا يمكن أن يكون من بريطاني فقلت كان كل ذلك في بلد تبعد أربعة ساعات بالقطار من الخرطوم فالبريطاني المفتش الذي قاد الرجل عريانا في السوق وربط مع البهائم حتى أكل من القصب اليابس هو المستر تيلر الذي نقل من رفاعة لأم درمان وهو الآن بالضابطية خبره عني بما قلته وحاكموني ان لم أثبته فسكت ولكنه تأثر وغضب ولا أدري أكان غضبه على أم على مفتشيه ولم يسألني عن ثاني المفتشين وبعد أيام أعلن المرتب الجديد وقبله من قبل من المتخرجين رجعت الى رفاعة وجاءني المستر أربسنوت ومعه المستر ثيوبولد وكان ابني يوسف جالسا معي بمنزلي فقالا لي نريد أن تعطينا يوسف يخدم بخمس جنيهات ونصف ليكون قدوة لغيره من المتخرجين فقلت اذا تطلبان ليقتلاه فقتله يساوي في نظري خدمته بخمس جنيهات ونصف فقال ثيوبولد ولم ذلك ؟؟ قلت لأنه بعد عشر سنوات يبلغ الثمان جنيهات التي أخذها نظيره بالأمس ويكون هو قد تزوج وولد أولادا يعجز عن تعليمهم فأكون قد قفلت باب العلم في بيتي بيدي فقاما وتركا القهوة ولم يشرباها .

في هذه السنة تسبب أحمد أفندي حسون في طبع ديوان مدح ولد أبشريعة نبويا ومهديا فطلب التصريح بطبعها فرخص له بطبع المديح النبوي ومنع طبع مديح المهدي وبما أني من أصدقاء المرحوم أحمد أبي شريعة ومن المعجبين بمدحه ومن أعرف الناس وأحبهم لمديحه صححت الديوان عند طبعه وكتبت مختصر تاريخ أبي شريعة .

((شوقيين وفليين))

سنة ١٩٣٣ :

وفى يوم ٢٢ ابريل من هذه السنة ذهبت للمستر بنى فى طلب تصريح لطبع دفاتر اكتتاب مدرسة الأحفاد فقال لى : أنا تعبان من أحمد الفيل ومحمد على شوقى بما أحدثاه من خلاف قلت له ومن العجيب ان الناس يعتقدون وأنا منهم أن هذا الخلاف بين المتخرجين ان لم يكن نشأ من مكتبك فلا شك أنه قد أخذ قوته واتساعه من مكتبك هذا فقال لى : لن يكن لى فيه يد قلت لجنابه اذاً يمكنك أن توقف الخلاف بينهم عند هذا الحد قال كيف أقفه قلت أطلب الشيخ أحمد الفيل يأتيك ويجلس على هذا الكرسى وأنا أخرج فقل له الحكومة متعبة من الشقاق بينكم أيها الخريجون . ثم أطلب محمد على شوقى وقل له كما قلت للأستاذ المفتى وان كل منهما يخبر بطانته ويتفقان على الصلح بينهما فقال لى المستر بنى أن برمبل بك سعى للصلح بينهما فلم ينجح قلت أن برمبل بك (فيلى لا شوقى) كما سمى الفريقان المختلفان بهذين الاسمين نسبة لرئيسيهما أما أنت فمستقل يرضون بحكمك خوفا من عظيم سلطتك فقال لى ما دام الامن مستتب فانى لا يهمنى خلافهم قلت نحن جربنا الاستعمار فى عبيدنا فاذا اختلف عبيدنا نفرح لأن أعمالنا تتم بسرعة كما وكيفا بتنافسهم ولكن اذا اختلف أولادنا يتعب بالنا وينقص مالنا وتتعطل أعمالنا فهل انتم تسوسون أولادنا ليكونوا أولادكم أو ليكونوا عبيدكم ؟ فنهض قائما وقال لى : يا شيخ بابكر هذا سؤال صعب نسوسهم ليكونوا أولادنا قلت اذاً أصلح هذا الخلاف قبل أن يتفاقم وقمت من عنده فلقينى مرة أخرى أو لقيته لا أدرى فقال لى ان الخلاف قد تسرب الى السيدين فقلت له أخيفوهم فقال كيف نخوفهم . تقولون للسيد عبد الرحمن نحن أعطيناك رخص مشاريع صرت بها غنيا لا لتتعبنا بهذا الخلاف وللسيد على نحن أعطيناك مرتبا ضخما وجاها واسعا لتعيش وتحترم لا لتتعبنا بهذا الخلاف .

البعثة التجارية المصرية

عام ١٩٣٥ :

فى أواخر يناير سنة ٣٥ جاءت أول بعثة مصرية للسودان بعد خروجهم فى عام ١٩٢٤ برئاسة فؤاد باشا أباظة والحكومة أرادت أن تزور البعثة جزيرة أبا ومن الطبيعى أن يسبق السيد عبد الرحمن البعثة لأبا ليعد لها ما يلزم من اكرام فتوجه فى أول فبراير للجزيرة أبا فرأيت لزاما على أن أقابل المستر بنى رئيس مكتب الأمن العام فقابلته وقلت له السيد عبد الرحمن قام للجزيرة أبا ليقابل البعثة المصرية بها كأمر الحكومة وهذه البعثة هل هى أى أفرادها ضيوف السيد عبد الرحمن أم ضيوف الحكومة ؟ قال هى ضيوف الحكومة وهل الحكومة تريد من السيد عبد الرحمن أن يكرمهم أويقابلهممقابلة من لا يعرف ؟ فقال لى تريد منه اكرامهم فقلت له عادة المصرى اذا أكرم يقوم خطيبا يمدح من أكرمه وبالطبع من مدح بخطبة يرد عرفا على من مدحه بخطبة أيضا وأنا أخاف أن يأتيكم الخبر مبالغ فيه بوشاية ضد السيد فقال لى أن السيد عبد الرحمن نحن عرفناه هنا وأشار الى قلبه حيث وضع يده عليه وزاد بقوله كل من يأتينا بكلام ضد السيد عبد الرحمن نحن نضرب به عرض الحائط مشيرا للحائط بيده وكان للسيد عبد الرحمن وابور بحرى صغير معتمدا عليه فى وصول الضيوف من كوستى الى أبا به ولكنه وجده به خراب يمنع الوابور ذلك فطلب من مدير النيل الأبيض وابور الحكومة ولو بالأجرة ليقوم بهذهالمأمورية فرد عليه أن وابور المديرية بالحوض بالخرطوم بحرى لاصلاحه فطلب من رئيس الرى المصرى أن يرسل له وابور بالأجرة لهذه المأمورية فرد عليه أن أقرب وابور للرى لا يصل كوستى الا بعد ثلاثة أيام والبعثة تصل كوستى فى اليوم الثانى للمحادثة فعقد مجلسه من رؤساء عمله الواسع فتم رأيهم على أن يردموا نهر شرق الجزيرة المسمى بالجاسر وكان عرضه ما بين مائتين وثلثمائة ياردة وعمقه نحو متر ونصف فشرعوا حالا فى قطع الأشجار واحضار الحشيش وجعلوا الأشجار مرتبطة ببعضها لتثبت وصاروا يضعون عليها القش ويردمونه بالتراب أولا بأول فلما وصلنا بالشرق وكنت بمعية السيد على المهدى مشت

عربيتنا على الردم حتى بقى بييننا وبين الشاطىء الغربى نحو ثلاثين ياردة حملنا الرجال بعربتنا للشاطىء وكان السيدان عبد الله الفاضل وخالد شيخ الدين يعملان مع العمال فى ردم التراب كأحدهم والكل صاعد ونازل يترنم بكلمة الشهادتين وطلبت العربات التاكسى من أم درمان لكوستى حيث حملت أفراد البعثة ومن معهم من تجار الخرطوم وأمدرمان الذين رافقوهم من بورتسودان من كوستى الى شرق الجاسر حيث وجدوا الردم قد تم ومشيت عليه العربات فدخلوا الجزيرة صباحا حيث زاروا محل الوابورات الكبيرة المسماة طيبه وهى التى ترفع الماء لمشروع أبا البالغة دورته التى تزرع قطنا ٩٠٠٠ فدانا ورجعوا للفطور على السماط المتمد بالصالون الكبير ثم ركبوا العربات ومروا بالمشروع كله وعلى الاسطبل للخيل ورجعوا لمنازلهم حيث عملت لهم حمامات ممتدة بالخيش المضروب بالبوهية ومثلها محلات راحة بقدر عددهم وبعد الغداء والراحة خرجوا الساعة ٤ للصيوان المنصوب لهم حيث عملت لهم حفلة حضرها أعيان الجزيرة أبا وكبار مستخدمى الدائرة وحيث مر أولاد النظام بموسيقاهم ولباسهم الكشفى والرجال على الجمال يلعبون بجمالهم على دائرة قطرها نحو مائة ياردة وفى أثناء سرورهم بهذه المناظر سقط رجل من جمله فهب له الدكتور محجوب ثابت وبقدر ما قلبه لم يستطع الرجل أن يفتح عينيه أو يستطيع الجلوس فقام له السيد عبد الرحمن المهدى وحينما وصله قال له بصوت عال : قم يا رجل فنهض قائما فقال قائل من أفراد البعثة : شوف يا أخى قال له قم فقام بصوت الاعجاب والاستغراب وفى صباح غد ودعهم السيد بعد الفطور حيث ركبوا عرباتهم التى جاءوا عليها والتى دفع السيد ايجارها سيرا واقامة وأرسلوا له هذا التلغراف : حضرة الحسيب النسيب السيد عبد الرحمن المهدى كوستى : بالنيابة عن جميع أعضاء البعثة المصرية وبالأصالة عن نفسى أتقدم لفضيلتكم بخالص الشكر وعظيم الثناء على كرم وفادتكم وجميل رعايتكم لنا فردا فردا وبما أحطمونا به من أنواع التكريم وصنوف الترحيب ووسائل الراحة قد أثر فى نفوسنا عميق الأثر ويسر البعثة أن تسجل اعجابها العظيم بجهودكم الكبيرة • فى تنمية الزراعة وتحسين وسائلها وتتمنى البعثة لكم

التوفيق والنجاح فى كافة أعمالكم واننا لا ننسى ما اكتحلت به عيوننا من رؤية الحشد الحافل من أقاربكم ورجالكم وعشائركم مما ترك فى نفوسنا أثرا لا ننساه مع الزمان •

امضاء ـ فؤاد أباظه

فى ١٠ مارس دعانا البشوب جوين أنا والشيخ محمد أحمد فضل بأحد غرف الاسبتالية الانجليزية وتكلم معنا بخصوص خفاض البنات فقلت له العادة أحيانا حينما تتأصل تكون كالطبيعة وربما تغلبت على أوامر الحكومة وأوامر الدين فهذه المسألة تحتاج الى تضامن الحكومة بالسيدين عبد الرحمن المهدى وعلى الميرغنى واقتنع بكلامنا فقال سأفعل • وبعد أيام دعانا بمنزله بالخرطوم وبعد شرابنا للقهوة مر بنا على الكنيسة بغرفة مجلس المسونية وذكر لنا أسماءا من أعيان الموظفين والدينيين وقال هذا كرسى فلان وبعد هنيهة قال انه يريد أن يكون ثالثنا عندما نسعى لصلاة الجمعة بجامع الخرطوم ليرى الناس كيف يصلون وكيف يخطب الامام • قلت له اذا مشينا وأنت بيننا ودخلنا الجامع فلا نأمن أن يضربنا المتطرفون فى الدين لأن نحن الاثنان لسنا قدوة فى الدين لا لكثرة العبادة ولا لغزارة العلم اذا أردت هذا الأمر بحيث تتطلع على ماتريد وأنت آمن فامش بين قاضى القضاة والمفتى فقال هذا حقيقة واضحة وشكرنا وودعناه فلما خرجنا قال الشيخ محمد أحمد الله ينجيك من كل كرب أنا حينما تكلم الرجل بهذا الكلام شعرت بانقباض دينى وغيره حادة على الدين الذى بلغ الأجانب فيه درجة يطلبون مثل هذا الطلب من أهله العريقين فيه ولكنك خلصتنا بحكمة •

فى يوم ٢٥ ابريل وكان يوم جمعة كنت جالسا فى شارع ومع أخى الخضر بدرى مر علينا الخواجة متيوس كوركجان سألته عن بيته الذى كنت ساكنه سنة ٢١ ، ٢٢ فقال لى وهو موجود فى ملكى واشتريته منه فى الحال بمائة جنيه أعطيته ثلاثين جنيها ووعدنى بتسجيله يوم الثلاثاء ٢٩ ابريل سنة ٣٥ فأحضرت له سبعين جنيها وسجلنا البيت ورحلنا فيه • ثم كسرناه فى سنة ٣٦ وبنينا به بيتنا الحالى وكانت مساحته خمسمائة أربعة وعشرون مترا مربعا

وحينما كسرناه وجدنا به ثمانين عرقا وخمسة قضبان وأربعة كمرات وكانت غرفه الثلاثة مسقوفة بخشب صناديق السكر وهذه الأشياء تقدر فى زمنها بخمسين جنيها فيكون المتر عشرة قروش وبنينا بيتنا الحالى بسعر المتر المكعب ثمانية قروش مصنعية وألف الطوب الأحمر بستين قرش تسليم المنزل والطوب الأخضر ضرب ألفه تسعة قروش وقدم الزنك نمرة أربعة وعشرين اثنين وثلاثين مليما •

فى يوم ١٦ سبتمبر طلعت جريدة النيل وبها هذه النبذة من تقرير سكرتير المعارف : ـ

عزمة من عزمات الجن أمضى ، هذه التى أخرجت للأمة مدرسة الأحفاد وقد أنشأها القائم الآن بأمرها صاحب البصيرة النافذة موضع ثقة الجميع ومن الأوائل الذين ساعدوا الحكومة بجد واخلاص فى غرس بذور التعليم فى هذا القطر المربى الشيخ بابكر بدرى ـ فلم أهتز لها حينما قرأتها مع أنها شهادة عظيمة من رجل عظيم الا وهو المستر وتتر سكرتير المعارف لأنى أرى الشهادة بالقول ان لم تؤيد وتعزز بالفعل وهو قليل المطابقة بين القول والفعل ورأيتها حملا ثقيلا من تنفيذها فأرجأت السرور لها أو الفخر بها لوقته •

المعاهدة المصرية الانجليزية سنة ١٩٣٦ :

فى هذه السنة حصلت المعاهدة الانجليزية المصرية بخصوص السودان فتوجهت للسير جلن السكرتير الادارى بمكتبه وقلت له أن هذه المعاهدة لا ينالنا منها فائدة نحن معاشر السودانيين فقال لى اشترط فيها رفاهية السودانيين وتعينهم فى الوظائف الكبيرة التى يتأهلون لها لكفاءتهم قبل المصريين والانجليز • قلت أن الكفاءة السودانية موقوفة على شهادات رؤسائهم من المصريين والانجليز وهم يريدون لأنفسهم الوظائف الكبيرة فاذالا تزال محجوزة لهما • قال لى وما الذى تطلبه للسودان ؟ قلت : أطلب للسودان حفظ الجنسية

وحفظ الأطيان • فقال لى : ان الأطيان منذ سنة ١٩٠٧ حفظناها لكم ألم ترى أن الأجانب الذى سبق أن اشتروا أراضى بجزيرة توتى وفى الجزيرة الكبرى لم تسجل لهم وانك من سكان رفاعه وقد حرمتك الحكومة مشترى أراض فى الجزيرة فهذا برهان على حفظ الأطيان من كل أجنبى بالسودان — أما الجنسية فهى موقوفة على استمساككم بها وليس للحكومة دخل فيها فاقتنعت بقـوله وخرجت •

عادة العامة يسمعون ويصـدقون ويحكمون والمتهم لا علم له بالتهمـــة

فى أواخر سنة ٣٦ جاءنى الدكتور مدير الاسبتالية الانجليزية بأمدرمان وطلب منى أن أقدم البشوب الذى جاء من فلســطين ليلقى خطبة تتعلق بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقلت له : أهو مسلم ؟ قال أيكون البشوب مسلما ؟ قلت ما شأنه بعمر بن الخطاب ؟ فقال الدكتور أن هذه الخطبة قد سبق وألقاها بأكثر حكومات الشرق الأوسط • قلت ان سكان الشرق الأوسـط مختلط مسلموهم ومسيحيوهم منذ الفتح الاسلامى بالجوار وتعاقب الحكومات أما السودان فلم يكن به من النصارى من جاور المسلمين ونشأ بينهم معرفة الجار للجار واختلاطه فألح على متوسلا بموافقتى له • فقلت اذا يجب أن أرى الخطبة أولا فذهب وجاءنى فى اليوم التالى أن أحضر بمنزله فى عصرية اتفقنا عليهـا فلما ذهبت فى الميعاد وأطلعت على الخطبة وجدت فيها جملتين أحداهما يقول فيها كان عمر بن الخطاب يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم قولا ذا قيمـة ثم يقول محمد انه من القرآن أى يورده محمد بكونه قرآنا • والجملة الثـانية يقول فيها أن خالد بن الوليد مرض بمرض جلدى فاستشفى منه باستحمامه فى حوض ملىء بالخمرة • فقلت للبشوب انك ان تقول هـذا الكلام لجمع من المسلمين فى السودان أنا أؤكد لك انك لا تنزل من المنبر الا مضروبا أو مقتولا فاذا كنت تريد أن أقدمك فأصلح هاتين الجملتين على حقيقتهما أو امسحهما من الخطبة • قال سأصلحهما كما تقول • قلت ان عمر بن الخطاب أعرف له آيتين

قالهما قبل نزولهما الأولى فى قوله تعالى « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر » .

قال عمر بن الخطاب فتبارك الله أحسن الخالقين سبق بها نطق النبى صلى الله عليه وسلم ثم نطق بها النبى فى الحال متمما الآية ولم يقلها على لسان عمر

والثانية ان عبد الله بن أبى سلول رأس المنافقين لما مات جاء ابنه الحسن الاسلام والايمان طلب من النبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتيه قميصه ليجعله ضمن كفن والده وليصلى عليه بنفسه رجاء أن يغفر الله له وليدفع عن ابنه عار نفاق والده فلما أراد أن يصلى النبى صلى الله عليه وسلم على جنازة ابن أبى سلول عارض عمر وقال : والله لا تصلى على أحد من المنافقين عند موته . فصلى النبى صلى الله لميه وسلم ثم نزلت الآية ولا تصلى على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره . انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فلم

تنقل الآية عن لسان عمر وانما رأيه الخصوصى رضى الله عنه وافق الحكم الشرعى . فأصلح البشوب الآيتين (المقالتين) بخطه فى خطبته المحفوظة عندى الى اليوم كما أمليته ، ولما كان قد نشرت الجرائد عن القاء هذه الخطبة مرات فى أعمدتها ولم يعترضها أحد ورأيت أنه لا بد أن يلقيها بالاسبتالية التى حدد الميعاد لالقاء الخطبة بها وأنا الذى أصلحتها رأيت لزاما على أن أحضر القاءها حتى لا تلقى محرفة عن ما أصلحت به فحضرت الالقاء الذى كان كما أصلحت . وأتذكر كان من الحضور الشيخ البدرى الريح وعبد القادر أفندى حاج الصافى وبعد أيام جاء أمين أفندى هديب بمدرسة الأحفاد فاستقبلته بالترحاب كزائر من الأعيان وما كان منه الا أن ضربنى بعصاه وضمنى الى صدره يريد صرعى ولكن صرعته ثم سمع التلاميذ حركة المدافعة بالبرندة خصوصا الفصل الذى كانت المدافعة عند بابه فخرج التلاميذ ومعلميهم وانهالوا على الرجل ضربا وما وسعنى الا أن آخذ عصاه وأذود بها التلاميذ عن ضربه وبعد هنيهة جاء يحيى أفندى عمران حكمدار البوليس بأم درمان آنذاك ومعه أنفار من البوليس وطلب منى أن أسعى وغريمى معهللضابطيه لتسجيل الحادث فقلت له أن هذا الرجل الذى هو أمين أفندى هديب قد أضرت به نفسه بحدتها ضررا

أكثر مما يضر به هو غيره لأن أقرانه المتخرجين معه من المدرسة الحربية الآن بعضهم لواءات وهو لم يزل ملازما فى الاستيداع أو المعاش فأنا عفوت عن حق تعديه على لله ورسوله فانصرف يحيى أفندى بعساكره واعتبر المسألة منتهية وبعد قليل جاءنى بمكتبى البكباشا محمد أفندى نور ومعه البكباشا أبو بكر حسن الذى أخبرنى أن أمين هديب مأخوذ عليه ضمان بحسن السلوك منذ أن خرج من السجن فقد تعهد بوفائه صديقك القديم البكباشا محمد نور هذا وأنت تعلم أن الضامن يقوم مقام المضمون وقد تعدى عليك أمين هديب تعديا صارخا لا يحتاج الى برهان وقد جئناك راجين أن تسمح عنه حتى لاينال صديقك محمد نور شيئا من الضرر ماديا أو أدبيا . ضحكت وقلت لهم : أنى قد عفوت عنه وأسفت لما أصابه من الضرب رغم وقوفى موقف المدافع عنه فشكرانى وانصرفا مودعانى بالكرامة ولما حضر السيد عبد الرحمن المهدى من الجزيرة أبا قال لى معاتبا كيف عملت هذا العمل الذى أوصلك الى ما حصل ولم تخشى الناس وما يقولون . قلت لسيادته : انى لا أخشى قول الناس قبل أن يصيروا ناسا . فضحك وقال متى يصير الناس ناسا فى نظرك ؟ . قلت حينما يقولون للمذنب لم فعلت هذا الذنب ويسمعون أما اعترافه به فيحكمون عليه كما يشاءون باقراره وأما أن يسمعون دفعه الحق فيعذرونه أما انهم ما داموا يسمعون ويصدقون فيعتقدون فيعاقبون دون سؤال من رمى عندهم بذنب دون أن يحققوا أو على الأقل أن يسألوا من رمى عندهم بذنب فليسوا هم بالناس الذين يبالى العاقل بقولهم مثل ما قال الشيخ عبد الله عبد الرحمن من أبيات شعر فى هذه المسألة أو ما فعله أمين هديب .

وفى يوم قرأت جريدة السودان التى وجدت فيها أبيات من الشعر قالها الشيخ عبد الله عبد الرحمن الفقيه الأمين يذمنى فيها معتقدا أنى مخطىء فى هذه المسألة ولم يراع شيخوخة جده لى ولا صداقة والده معى ولا أخوة الاسلام بينى وبينه ولا حكم على نفسه بما أكرمه الله به من معرفة أدبية فى نفسه وما أنبته الله به فى بيت علم عريق فيكلف نفسه بسؤالى فاذا كان هذا شأن عالمهم فلم يسع جاهلهم الا الضرب لذلك المذنب المزعوم فى نظرهم بعد أن قرأت الجريدة وألقيتها ضاحكا طلبنى السيد عبد الرحمن بمنزله بالخرطوم

وقال لى بعد أن تناولنا الغداء على مائدته هل قرأت جريدة السودان اليوم ؟ قلت نعم . قال فماذا فعلت فيها ؟ قلت لم أزد على أن ضحكت وأتممت قراءة الجريدة وألقيتها . قال : أولم تغضب ؟ قلت . بل ضحكت . قال ان أعصابك لقوية . قلت الحمد لله هكذا خلقنى الله . وفى ذلك الاسبوع اجتمعت بالشيخ عبد الله عبد الرحمن الشاعر الحصيف فى بيت السيد على المهدى وسلمت عليه بالحضن والبشر كأنما مدحنى بأبياته ثم لما انصرف المجلس أخذته فى عربتى حتى أوصلته بيته وهو ظاهر عليه الكسوف منى وبلغنى عنه فى ذلك الأسبوع أنه ضمن جماعة زاروا مريضا بالاسبتالية المدكية بالخرطوم وكان الحكيمباشى بها آنذاك ابنى الدكتور على بدرى الذى كان يقابلهم بالبشاشة حتى وصل للاستاذ عبد الله عبد الرحمن الذى بالغ له فى البشاشة والترحاب مما جعل الشيخ عبد الله يقول لمن معه من الزوار : هؤلاء الناس كسفونى بمبالغتهم فى اكرامى بالأمس والده بابكر بدرى الذى كنت أظن أنى قد هدمت العلاقة القديمة بين بيتنا وبيتهم فقابلنى أحسن مقابلة ظننت أنه لم يقرأ الجريدة ولم يسمع بما قلته فيه والآن ولده الدكتور على بدرى الذى ظننت أن يقابلنى أسوأ مقابلة قد عكسها رأسا على عقب والحمد لله أنى قد غلطت مع علماء حلماء والعهدة على الراوى .

زرت معهد بخت الرضا بدعوة من مديره ومعى المستر سكوت وبعد أن مكثت ثلاثة أيام سألنى المستر سكوت عن رأيى فى طرق تدريب المعلمين وانتاج المعهد . فقلت لهم اذا رضيتم بربع النتيجة لكل هذا المجهود الكبير والمدة القصيرة فأنتم ناجحون . فقال لى أنت دائما تنتقد كل ما تعمله الحكومة فقلت له أن هذه مسألة حسابية أبرهنها لك أن المعلمين الذين تمرنونهم خمسةوعشرين والمعلم الذى يعلمهم هو على الأقل ضعفهم فى المعلومات والمقدرة وسيعودون ويعلمون خمسين تلميذا فى كتاتيبهم فالمعلم نصف المعلم المدرس والفصل ضعف الفصل فنصف النصف هو الربع !!

فسألنى ماذا نعمل ؟ قلت تأخذوا الخمسة وعشرين معلما هؤلاء لمدة لا تقل عن عام وتأخذوا خمسة وعشرين تلميذا جديدا من خريجى المدارس الابتدائية لمدة لا تقل عن عامين فقال وكيف نسد خانات المعلمين المأخوذين

للتمرين لمدة عام كامل ؟ قلت تأخذوا لكل مدرسة سحب معلم منها للتمرين أحسن فقيه فى الخلوة التابعة لمديريتها أو مركزها ويعطى جنيها علاوة اغتراب ليحل محل المدرس المنتدب للتمرين •

عام ١٩٣٧ :

فى سنة ٣٧ ذهب السيد عبد الرحمن المهدى للندن وجاء الخبر أنه شرب الشاى مع الملك الانجليزى ولما آب منها قابلته بحلة الشيخ ابراهيم الكباشى وركبت معه القطار وقلت له أن حكومة السودان ترتب لك مسألة تنسيك لذة جلوسك فى مجلس ملكهم وشربك الشاى معه وبعد أيام سافر للجزيرة أبا وكنت معه ببيته بالجزيرة أبا ورد له كتاب من عوض سلمان بأبا يقول فيه أن الحاج محمد ابراهيم بك ناظر الجعليين رفع قضية على أحد يسمى ••• ••• بأنه جاء بالمتمة ليقتل ناظر الجعليين و ذلك بأمر السيد عبد الرحمن المهدى الذى أعطاه عشرة جنيهات وضمن له الجنة فلما قرأ السيد عبد الرحمن الكتاب ناولنى اياه وقال وهو ثابت الجنان أن التحقيق سيبين أن هذا الرجل فاقد العقل ولما رجعنا للخرطوم فهمنا أن الرجل سئل عند مفتش شندى : هل قابلك السيد عبد الرحمن بنفسه أم بواسطة ؟ فقال بل بواسطة الشيخ الحسن ابراهيم الدسوقى السرورابى فطلب الشيخ الحسن بشندى بحرس ووضع بين جماعة وقيل للرجل اخرجه من بين الجماعة فعجز عن معرفته ويقال فيما بلغنا والعهدة على الراوى أن الحاج محمد تمسك بقضيته وقال للمفتش أن السيد عبدالرحمن مؤكد أنه أرسل هذا الرجل ليقتلنى فرد عليه المفتش بقوله لا تقل هذا هل السيد عبد الرحمن يرث من مالك شيئا ؟ فقال لا • ثم قال اذا قتلك هل يأخذ وظيفتك ؟ قال لا • ثم قال هو خائف منك أن تقتله ؟ فقال لا • فقال المفتش اذا لأى سبب يقتلك ؟ وبعد انتهاء القضية لم يأخذ فيها مكتب الأمن العام أقل اهتمام بها فتوجهنا اليه وقابلنا أنا والسيد عبد الله الفاضل المستر بنى وطلبنا منه التحرى الدقيق فى هذه القضية حتى يعرف سببها ومن أين نشأت مبدئيا • فقال اسم السيد عبد الرحمن لم يأت فى القضية فقلت أن مفتش شندى قال

للناظر الأسئلة وحكيت له الأسئلة المتقدمة وهذه لا تأتى من رجل مسئول كمفتش المركز الا ردا على مقدمات قد ذكر فيها اسم السيد كخصم أو كمدعى عليه قال ما الذى تريد أن نعمله ؟ قلت أريد أن يؤتى بالرجل المتهم ويسأل عن الذى أغراه بهذا القول فقال لى المستر بنى اذا لم نبحث هذه القضية كما تريدون نرفت من خدمة الحكومة — قلت هذا واجب مكتبكم وكل مستخدم لا يقوم بواجبه يستحق الرفت فضحك وضحكنا معه وانصرفنا بوعد منه انه سيبحث المسألة .

عام ١٩٣٨ :

فى شهر مارس سنة ٣٨ وصلنى خبر من وكيلى برفاعة أن بادى على بادى تعدى على زراعة العشر حبال التى اشتريتها من والده فى سنة ١٩١٤ وزرعها بعد أن تصرفنا فيها أربع وعشرين سنة وفى شهر يونيو سنة ٣٨ ذهبت لرفاعة ورفعت عليه قضية فى المحكمة الأهلية مجاملة لعائلة أبى سن ، على أن القانون يسمح لى برفض الحكم عندهم ولو طلبوه منى فحكم الشيخ محمد عبد الله أبو سن بعد أن أوردت الشهادة بعمه الشيخ ابراهيم عبد الله ومحجوب الفرس فطلب منى الشيخ محمد عبد الله ومجلسه بما فيه طه الفكى محمد أن أتصدق ببيت الحسين مصطفى الذى اشتريته من ورثته برفاعة لبادى ، فهديته له وبعد ذلك سمعت أن بادى قطع شجر العشر حبال وغيرها من جرفى البالغ ثلاثين حبلا فأمرت وكيلى حسين منصور أن يرفع عليه قضية فحكم بوضع المبلغ الذى بيع به الحطب بخزانة الحكومة وكتب جوابا للشيخ محمد عبد الله رئيس المحكمة أن ينفذ حكم الصلح الذى حصل على يده فى محكمته ولكن القضية استمرت معلقة الى سنة ١٩٤٢ حيث ادعى بادى الثلاثين حبلا وباشر الحكم المستر ماكلير مفتش رفاعة الذى قال علنا أن الشيخ بابكر ثبت للمحكمة أنه اشترى الثلاثين حبلا ولكن ما ثبت له فى الزراعة فعلا لم يشمل الثلاثين حبلا ولذا أنا أحكم له بالعشرين حبلا ولبادى بعشرة حبال فاستأنفت الحكم عند نائب المدير الذى أيد حكم المفتش وبعد ظهور القانون الذى يمنع المحاكم الأهلية بعدم التداخل فى قضايا الأطيان الغير مسجلة فأقمت محامى بمدنى ليرفع

القضية عند قاضى المحكمة العليا التى تعاقب عليها ثلاثة قضاة لم يقبل أحدهم أن يفتح هذه القضية بمحكمته وكان أحدهم المستر ماكلفن الذى تعين رئيس القضاء بالخرطوم فذهبت له فى سنة ١٩٤٤ وبحثت معه هذه القضية الذى اعترف لى أنها فرضت عليه ولم يقبلها ولآن يكتب لقاضى المحكمة العليا بمدنى ليقبل هذه القضية فقلت له أكتب الآن وأنا أرسله للقاضى بمعرفتى فكتب لى الخطاب حيث أرسلته لقاضى المحكمة العليا مسجلا وكتبت معه خطابا للمحامى زيادة عثمان أرباب يرفع القضية ولما قابل المحامى قاضى المحكمة العليا أحال القضية الى المحكمة الجزئية وحكم فيها لصالحى على يد القاضى مجذوب على حسيب فاستأنف بادى عند قاضى المحكمة العليا الذى أيد حكم مجذوب أفندى ٠ فاستأنف فى محكمة التمييز بالخرطوم وكان محاميه مبارك أفندى زروق الذى خطب فى المحكمة نحو ربع ساعة وهو واقف ثم قام محامى الذى قابلته ليلا وأصبح فى المحكمة التى تكلم فيها نحو خمسة دقائق وجلس وأنا بجانبه حيث قال لى أظننا لا ننجح ثم طلبت المحكمة مدير الأراضى الذى وقف يخطب نحو نصف ساعة ثم ان المحكمة قامت وكانت مكونة من رئيس القضاء المستر لندسى وقاضى المحكمة العليا بالشمالية ومعهما انجليزى ثالث لا أعرفه ورابعهم أبو رنات فلما خرجت المحكمة قلت لأبى رنات اذا كانت المحكمة لا تحكم لى سأفضحها فقال لى : ان المحكمة أخذت تنظر فى مسألة قانونية عامة وليست فى نقض الحكم أو تأييده فلا تخف وفعلا رتبت على هذه القضية منشورا مركبا من عشرة صفحات ٠ وحكم لى بالأرض ٠

((نشاط اجتماعى فى أمدرمان))

فى تاريخ ٢٥ أكتوبر أخبرنى المدنى أبشر التاجر بأنه يريدون هو ومن معه أن يعملوا شركة أسمنت وكلفونى أن أخبر جناب المفتش المستر والس ليسهل لهم التصريح من الحكومة بالموافقة على هذا العمل فلما أخبرته بمكتبه سألنى هذه الأسئلة :

من أسماء المشتركين ؟

كم رأس المال وأين هو ؟

ثالثا من الأوسطى وما كفاءته ؟ وما شهادته ؟
رابعا من أين يجلب الحجر ؟
خامسا أين مكان الشغل ؟
سادسا هل الأرض بالأجرة أو ملك أو حكر ؟
قلت لجنابه لماذا تسأل هذه الأسئلة ؟

قال لأن المدير سيسألنى عنها قلت لجنابه الذى أقدر أجيبك عليه هو السؤال الرابع والخامس والسادس • نصلح مكان الكمينة بمكوار التى اشتغلت فيها شركة أسمنت الخزان ومن نوع ومكان حجره وسنؤجرها من الحكومة • أما الأسئلة الثلاث الأول فسأسأل عنها وأجيبك بها فلما أخبرت المدنى أبشر سكتوا ولم يردوا على مرة أخرى •

يوم السبت ٣ ديسمبر سنة ٣٨ قدم السكرتير القضائى الذى هو المستر قورمان لأعيان أمدرمان تنازله عن سلطته لجامع أمدرمان واحالتها للجنة تركب من عشرة أشخاص من الذين يأمنهم على المحافظة على الجامع كما كان هو فعينت هذه للجنة العشرة أشخاص ثمانية من المنتسبين للختمية من كبار المستخدمين كالشيخ الفيل وكبار التجار كسيد أحمد سوار الذهب وأمثالهما ولم يكن معهم الا بابكر بدرى وعثمان صالح ولما قابلنا السكرتير القضائى وكان معه نائبه المصرى خليل سالم والمستر والس مفتش أمدرمان وقاضى القضاة نعمان الجارم فحكى السكرتير القضائى صيغة تنازله وقبل أن يتم التسليم رفعت اصبعى مستأذنا فى الكلام فسألنى السكرتير القضائى عن ما أريد أن أقول فقلت أن بأمدرمان حزبين متقابلين وان لم تعترف الحكومة بهما ولكنهما موجودان ففى هذه اللجنة ثمانية من حزب واثنان من حزب رغما عن انى أكره الحزبية انى أطلب أن يكون كل خمسة من حزب ويكون المرجح بينهما اذا لا سمح الله وحصل ما يحتاج لمرجح لمصلحة الجامع يكون السكرتير القضائى بعد عرض ما اختلف فيه كلمته هى المرجح فقال المستر والس للسكرتير القضائى شيخ بابكر بعيد عن الحزبية وهو يكرهها فقال السكرتير القضائى : اليوم الثلاثاء فارجعوا وآتونى متفقين يوم الخميس فخرجنا وعند الباب قال نعمان الجارم بصوت جهور : شيخ بابكر ضرب القنبلة • رجعنا يوم الخميس غير متفقين • عرضت رأيى مرة أخرى • فقال لى السكرتيرعين الثلاثة أشخاص

الذين تريد أن تنتخبهم للموازنة فقلت الشيخ أحمد أبو دقن والسيد عبد المنعم محمد والبكباشى أحمد عقيل ، فقام الشيخ أحمد سوار الذهب وقال هـذا الجامع نحن متولون خدمته مذ كان رواكيب (مبنى من الخشب والخوص) لم يحصل فيه قصور أو تغيير حتى رأسه الشيخ أحمد أبو دقن فأتعبنا ولذلك لا أقبل دخوله فى اللجنة فقال الشيخ الفيل كلاما لا أتذكره ولكنه لا يفهم منه أنه طعن فى الشيخ أبى دقن ولكنه أيد اللجنة الحاضرة كما هى فغضب السكرتير القضائى وقال الشيخ أحمد أبو دقن خدم الحكومة عاملا قضائيا وتدرج حتى مفتش للمحاكم والآن شيخ للمعهد يطعن فيه (وكمان) أمامى .

فى هذه السنة كان مفتش رفاعه هكسويرث وكان رئيس القضاء السير توماس كريد فوصلتنى شكايات كثيرة من سكان رفاعه من ضمنها أن المفتش جعل يحول جروف الأهالى (الأطيان النيلية) حكومة ويعطى صاحب الفدان تعويضا قيمته ثلاثين قرشا ـ فجئت لرئيس القضاء وحكيت له هـذه الظلامة التى أنكر حصولها كل الانكار فحكيت له ما قاله الهدندوى للخليفة عبد الله عندما جاءه يشكو له ظلامته من الأمير عثمان دقنه وفى أثناء الحكاية بكى خليفة المهدى فقال له الهدندوى الشاكى :

« لا ـ لا ـ لا يا خليفة المهدى البكى لا تسو . العدل سو . عثمان دقنه يبكى وحق الناس يأكل »

فضحك السير كريد وقال لى من اليوم يقف العمل وفعلا وقف .

سنة ١٩٣٩ :

٤/١٠ كعادتنا نأخذ كل العائلة المركبة من أولاد محمد بدرى وأولاد مالك وأولاد ميرغنى ذكورا وأناثا صغارا وكبارا لشم النسيم والمقيل بمكانه الى المغرب حيث يتغدون بالخروفين والعيش والبطيخ ويمرح الأولاد . فى هذه السنة شممناه تحت كبرى النيل الأبيض مستظلين بظله فزارنا فيه كثير من الناس .

فى ٦/١١ قمت لمروى مع أحمد بدرى حيث قابلنا على بدرى بكريمه وقد كانا من كبار المستخدمين بمروى حيث أحمد القاضى الجزئى وعلى المفتش

الطبى لمديرية دنقلا . وفى صباح ليلة وصولنا مروى سافر أحمد فى مأمورية من مروى الى الكرمه وبعد يومين سافر على أيضا بوابور الطب كذلك من مروى الى الكرمه وبقيت بمنزل على وكان الجو شديد الحر ولكنى لم أشعر بالوحدة بين أولادى المستخدمين بمروى اذ كان بها وكيل المفتش مصطفى أفندى ندى الذى كان يأتينى نحو الساعة ٦ صباحا بحصان غير حصانه فأركب معه الى الجنينة الواسعة المختلفة الأنواع من الأشجار والخضروات والمناظر كالشوارع .

وبعد أيام شكوت له من ركوب الحصان فصار يأتينى برجليه فنمر أحيانا على الشاطىء وأحيانا شرق البلد حتى قبر جكسن باشا ثم نأتى جائعين للفطور وننام فى بيته وكان قاضى المحكمة الشيخ محمد أبو القاسم مثال توطئة الأكناف والأدب الجم والمأمور محمد أفندى كمال جارنا بأم درمان وصديقى وصديق أولادى . لكن مصطفى أفندى ندى حينما يعلم بزيارتى لكمال فى مكتبه يأتينى رسوله طالبا وصولى له فى مكتبه ولا أدرى ما السبب فى ذلك ونائب المأمور صديق نديم والحكيمباشا الطبى الدكتور على محمد خير ثم خلفه الدكتور محمود على حمدى وكاتب التسجيلات نجيب أفندى عبد الله .

كانوا يجتمعون كلهم ليلا بناديهم الذى ليس كالنوادى التى يزدحم فيها رائدوها خصوصا عند انتخاب الدورة الجديدة مما يفسد فى النفوس حتى يظهر فى أوقات الأنس ونظرات العيون ، لكن مستخدمى مروى كانوا بخلاف غيرهم منسجمين متألفين لم يشك أحد منهم ولم أر تلك اللمزات والغمزات التى أراها عادة فى رواد النوادى مما جعلنى أغبطهم وأعترف لهم بل وأشكرهم على حالهم مما أشكرهم على احترامهم لى وسرورهم بى .

الحرب العالمية الثانية :

أول ما نشر خبر نشوب الحرب بين الألمان والانجليز فى سبتمبر من هذه السنة كان يسكن بالقرب منا ليون بن جورجى بك بغدادى وكان عنده راديو فكنت أتردد على منزله كل مساء لأسمع اذاعات الأخبار الألمانية والانجليزية فمن ضمن ما سمعت من راديو برلين الذى كان يذيع منه يونس بحرى العراقى

أن حركة المهدية بالسودان قد قامت بالنسبة لظلم الانجليز فى السودان وطبعا الواقع غير ذلك فقلت فى نفسى هل ما تسميه الدول المتمدينة الراقية بالدعاية هو الكذب واختلاق غير الواقع ومن يومها صرت لا أصدق خبرا ينشر من اذاعة برلين .

بعد شهر تقريبا من الحرب اشتريت راديو مستعمل بواسطة الشيخ محمد سعيد الكهربجى لم يظهر الأهالى اهتماما للحرب الا بعد ما أعلنت ايطاليا الحرب على الحلفاء فصارت منهم قريبا .

عام ١٩٤٠ :

فى ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ قابلت مستر البشنوت مفتش أمدرمان آنذاك بمكتبه لموضوع يتعلق بمدرسة الأحفاد فقال لى أنا شغلى اليوم بالحرب وانت شغلت بالمدرسة وأعطانى هذه القواعد أولا الجندى الذى يجند حالا لا ينتفع به فى الحرب قبل تمام تمرينه فيما يراد منه . لى صاحبان : ضابط وطيار كلاهما لا ينفع فى مكان صاحبه . عرضت عليه فكرة صرف الحكومة سلاحا للأهالى مؤقتا فقال اذا صرفت الحكومة سلاحا للمدنيين جاز للعدو ضرب مدنهم واعتقالهم كمحاربين .

فى يوم ٢٤ مايو طلبنى السيد بمنزله بأمدرمان وقال لى :

نحن نوينا على ترحيل عائلاتنا للجزيرة أبا فأخبرناك لتضم عائلتك مع عائلاتنا فقلت له : أنت والله لا يمكن أن تنقل عائلتك من أمدرمان لأنى لا أوافق أن يحفظ لك التاريخ ذلك ، فضحك وقال قدوافق رأيك رأيى فقدقد عرض على بعض الأصدقاء نقل عائلاتنا للجزيرة أبا فقلت لهم ما قلته لى بالحرف .

فى ٧/١٦ جاءنى صديقى الشيخ محمد اسماعيل المفتى وطلب منى أن أصحبه للمستر بنى مدير الأمن العام ليكتب لمدير خفر السواحل المصرية ليعزل ولده أحمد من الجندية برئاسته ويرسله لأبيه بالسودان فلما طلبنا من المستر بنى هذا الطلب قال لنا أن معاهدة سنة ١٩٣٦ لا تسمح لى بهذا التدخل فالأحسن أن تطلبوه من ناشد باشا الذى هو رئيس الجيش المصرى بالسودان قبل أن نخرج من مكتبه عرض على أدوارد عطية كتابا مطبوعا للدعاية ضد

الطليان فى طرابلس الغربى فقرأت فيه أنهم يعيرون عليهم بأن لهم مدرسة ثانوية واحدة وعشرة مدارس وسطى فضحكت وقلت له يا مستر ادورد تعيرون أعداءكم بعمل أنتم عاملوه فى بلادنا وتنبهون لمعرفته فالطليان دخلوا منطقة طرابلس سنة ١٩١١ وأنتم دخلتم السودان سنة ١٨٩٨ وللآن لكم مدرسة ثانوية واحدة واحدى عشر مدرسة وسطى منها اثنان نصفيتان • فتناول منى الكتاب وقال لى هل يمكن اصلاحه ؟ فقلت : لا يمكن لأنه قد انتشر فى كل الأماكن التى أرسلتموه لها وخرجنا • وذهبنا أنا والشيخ محمد لناشد باشا الذى أعرفه منذ ما كان مأمورا بمركز الرهد والذى وعدنا بأنه سيكتب لمدير السواحل بمصر •

وفى ٨/٧ زرت مستر اسكوت بمكتبه حينما كان مديرا بكلية غردون الثانوية التى نلقت لأمدرمان بالنسبة لاخلاء دارها بالخرطوم للجيش فأخبرنى مستر اسكوت بأن حكومة السودان عزمت على اخلاء السودان للطليان وعلل اخلاءه لهم بأن لا يجعلوا الخرطوم ميدان حرب يتلف العدو بقنابل الطائرات كل ما عمروه من مبان وكبارى قلت لجنابه : أتتركون السودان بعد اقامتكم به ٤٣ سنة للطليان وتزعمون أنكم ترجعون اليه وتخرجونهم منه ؟ أفلا ترى أنكم ستحاربونهم به أ وتدمرون الخرطوم بقنابل طائراتكم فى حربكم معهم لاخراجهم منه ؟ وتكون العلة التى ذكرتها قد حصلت منكم ! مع لحاقكم من العار بخروجكم والضرر للبلاد فقال لى أنا صغير بالنسبة لواضعى هذه السياسة العليا فخرجت منه •

فى يوم ١٠ يونيو جمعنا الحاكم العام السير سايمز السادة السيد على والسيد عبد الرحمن والشريف يوسف ومعهم نحو سبعة عشر شخصا من أعيان السودانيين بالعاصمة بمناسبة اعلان ايطاليا الحرب وافتتح كلامه بقوله خلاص السودان بعدم اشتراكه فى أربع حوادث وهى حادثة ابن السيد عبد الله • حادثة عبد القادر حبوبه • الحرب العظمى سنة ١٩١٤ • حادث سنة ١٩٢٤ رغما عن رجولتهم المثبوتة فى حروبهم المهدية ، ثانيا الآن أصبح لنا عدوان ، عدو أجنبى وهو قوى يمكنه أن يشغل الحكومة عن ضمان الأمن فى البلاد لأن التلودين وسفهاء العربان يحتاجون الى المقاومة • والمقصود أخذ رأيكم فقال السيد على اخلاص البلد لحكومته مفروغ منه وقال السيد عبد الرحمن ان كان لنا فائدة

من ادخال البلد الحرب أى بعد انهاء الحرب لا مانع من دخولنا الحرب اقتصاديا وبدنيا . أما اذا كان لا فائدة مضمونة فلننظر فى الأمر وقال الشريف يوسف موسليني ود الكلب فتحنا له الحبشة بمالنا وجمالنا ورجالنا حتى حواى الجمال نرسلها له والآن يحاربنا . فاننا سنقاتله فى كل نقطة وبكل آلة ، وأدخلت البلاد فى الحرب وبدأت الطيارات تضرب العاصمة فحفرنا الخنادق واستعد البلد بعمل نقاط اسعاف فى المدن الثلاثة وصرفت الأدوية اللازمة لعلاج الجروح ولكن الحمد لله لم يحصل ما احتاج الى اسعاف ومن ضمن الأماكن التى أصابتها قنابل العدو برندة مدرسة الأحفاد التى حصلت فى شهور العطلة الصيفية حيث اندفعت القنبلة فى الأرض بعدما ثقبت قدر حجمها من سقف البرندة ثم جاء الاختصاصيون وفرقعوا القنبلة حيث انتشرت فكسرت أبواب وشبابيك احدى الغرف وشوهت الجدران فطالبت المصلحة باصلاح ما تلف وما تشوه فكتبت للمالية التى قالت مزاحا أو جدا لا أدرى يطالب الطليان الذين (تلفوها) قلت ان ما أتلفه الطليان هو الثقب بسقف البرندة وهو لا يحتاج الى اصلاح ولكن الحكومة التى فرقعت القنبلة وهى التى أتلفت ما يحتاج للاصلاح فعلى كل حال فان الحكومة قد صادرت الكثير من مال الطليان فى السودان فلتعطينا منه فصدقوا لنا بما أصلحنا به التلف .

عام ١٩٤١ :

فى ٢٧ فبراير الموافق واحد صفر سنة ١٣٥٩ عملنا احتفالا بتمام عمرى ثمانين سنة احتفالا جامعا لعموم عائلتنا المركبة من أولاد محمد بدرى الصادق ومالك أحمد نورى وميرغنى محمد شكاك ذكورا وأناثا بالغين وأطفالا بكل الموجودين منهم آنذاك بأمدرمان ودعوت أيضا غيرهم من الساكنين أمدرمان كل من أعرفهم من بلغ عمرهم سبعين سنة أو يزيدون أذكر منهم الخليفة صالح ابراهيم مخير والخواجه كوركين ورفض الحضور كل من السيد أحمد سوار الذهب والبنباشى محمد نور بدعوى أن عمرهما لم يتم السبعين ، وقد أخذنا صورا للرجال وصورة للعائلة لكل صورتين .

فى يوم ١٣ مارس طلب منى المدرس زكى تادرس عشر جنيهـــات سلفة ليشهل بها زوجته التى أتته بأمدرمان فجأة دون علمه ويريد أن يرجعها للقطر المصرى خوفا أن تشغله عن واجبه الدرسى فأعطيتها اياه ثم طلب فى خمسة ابريل ماهية ابريل مقدمة ليتم بها طلباتها فسعيت معه للسيد الذى تحمل رضاء الأمناء فاستلم زكى تادرس ماهية ابريل وهرب مع زوجته وهكذا أخلاق أمثاله •

فى يوم ٢٢ أبريل خرج حمد السواق الذى ربيناه تقريبا وساعدته بأربع جنيهات فى زواجه بخلاف مرتبه الذى أستلمه عن شهر أبريل فى أوله وحضرت عقد زواجه وأعطيت والدته جنيهين وفى نفس الشهر الذى أخذ أكثر من نصف أجازة لم يعد لنا بعدها •

«مؤتمر الخريجين العام والمذكرة»

عام ١٩٤٢ :

فى ٢ فبراير الموافق ١٦ محرم سنة ١٣٦٠ حضر محمود جلال بأمدرمان وأرسل لنا صـورتى موسى بدرى وبابكر ابراهيم مالك من مصر وزرناه أنا والشيخ ابراهيم مالك بمنزل الشيخ أحمد أبو دقن وكرمه أكثر السـودانيين الذين أنا منهم ثم زرت مصر فى يونيو سنة ١٩٤٣ فجاء عند باب منزلتى محمود بك جلال ومعه بشير البكرى أفندى النحاس وأرسل لى كرتا بدلا من أن يصعد لى فألقيت له الكرت من الشباك وقلت له : لا أقبل الزيارة بالكرت لأنى سعيت لك قبل أن أعرفك بأمدرمان فصعد السلالم وقابلنى واعتذر بأنه مسـتعجل ووعدنى أنه سيزورنى زيارة تمهل فى هذا الاسبوع ولكن الظروف على ما أظن لم تسمح له •

فى الأسبوع الأول من ابريل حضر للسودان على بك الجارم وعملت له حفلة تكريم بكلية غردون دعيت فيها وجئت متأخرا دقائق عن الميعـاد فقال مدير المعارف المستر كوكس مداعبا : أنظروا الى هذا المسـمى بدرى ويأتى وخرى • فضحك الجالسون وضحكت معهم • ثم عملنا لعلى بك الجارم حفلة شاى بالأحفـاد انتخبا لها من الأعيان ستة وخمسين مدعوا احتفاءا وتعـارفا

بسعادة الجارم بك ولما أن زرت مصر سنة ٤٣ قال عبد الحميد أفندى المنوفى أنه تلاقى مع على بك الجارم وشقيقه الأستاذ الكبير الشيخ نعمان الذى كان قاضى قضاة السودان والذى بالغنا فى اكرامه خصوصا عند مبارحته السودان نهائيا • قال لى عبد الحميد انى أخبرتهما بوجودك بمستشفى الدكتور صبحى بك معمول عملية باحدى عينيه فقالا له سلم لنا عليه • ولم يزرنى أحدهما عفا الله عنهما •

قال لى مستر هيلارد أن أهالى أمدرمان قالوا انى أخذت رشوة مالية من قديس لاعطائه أرض السينما ملكه قلت : لم أسمع بذلك ففتح خزنة المكتب وأخرج جريدة السودان مكتوب فيها ما قاله لى • قلت : اننا نعرفك منذ كنت أنت مفتشا بالحصاحيصا حيث تأكدنا من عفاف يدك فأدخل الجريدة وقفل الخزنة •

((مذكرة))

فى هذه السنة قدمت لجنة مؤتمر الخريجين وكان رئيسها ابراهيم أفندى أحمد مذكرة للحكومة بواسطة السكرتير الادارى طالبة فيها من الحكومتين المصرية والبريطانية منح السودانيين حق تقرير مصيرهم بناء على ما جاء فى مادة من مواد ميثاق الأطلنطى المنعقد بين الرئيس روزفلت والمستر تشرشل وقد قابل الحاكم العام هذا الطلب بانكار وجفوة لم يثنيا فى عزم البلاد فى تحقيق أهدافها السياسية فبدأت الاتجاهات السياسية تتبلور ونشأ حزب الأمة الذى كان أول حزب سياسى •

ولما رأيته من اغفال الحكومة لمذكرة المؤتمر توجهت للسكرتير الادارى فى مكتبه وتحدثت اليه فى نقاط أعددتها كتابة قبل الذهاب اليه وهى :

١ ــ هل تفكر الحكومة فى بقاء الناس على حالهم يوم فتحها للبلاد فى مداركهم وآمالهم • ولعل طبيعة الانسان غير متحدة فى التشوق لتناول الفائدة كلما برقت أو سنحت لها فرصة •

٢ ــ فأهل السودان مع اخلاص العقلاء منهم والسذج لحكومتهم الحاضرة اخلاصا لا يبتغون بها بدلا قد سمعوا كغيرهم من الأمم الضعيفة عن

ميثاق الاطلانطيقى سمعوا ذلك فى الراديو وما قرأوه فى الجرائد بأن الشعوب الضعيفة بعد الحرب يؤخذ رأيها فى مصيرها فأملت أملا عظيما فى حكومتها التى اعترفت مرارا من الخرطوم ولندن بثبوت اخلاصها الذى لا يتزعزع وبمساعدتها فى الحرب بكل أنواع المساعدات قلبا ومالا ورجالا .

٣ ـ بذلك تضع الحكومة نفسها بين حالين بالنسبة لهذا الوعد من أعظم الرجال السياسيين فى الوقت الحاضر أما أن تكون معتقدة صدق هـذا الوعد وأن السودان من الشعوب الذى يؤخذ رأيهم فى مستقبلهم خصوصا لوضعه الشاذ الذى لا يوجد فى الأرض كلها مثله (رايتان فى بلدة واحـدة) وأما أن تكون الحكومة كما قلنا معتقدة صدق هذا الوعد من أعظم رجالها فتصبر حتى تنتهى الحرب وتعطى الشعب السودانى المخلص المساعد عطاء يناسب وفاء بريطانيا المشهور مع رعاياها المخلصين وخصوصا وأنهم أى السـودانيين لم يطالبوها بأى تغيير لحالتهم الحاضرة ـ وأما أن تكون الحكومة عالمة بما لا نعلم (وهو ما لا أعتقده) أن هذا الوعد هو كلام حلو اقتضته حالة الحرب الحاضرة للشعوب لتبقى وتستمر هادئة الى أن ينتهى الحرب وقتئذ تساس بحكوماتهـا كما كانت وحينئذ ما على الحكومة الا أن تلزم الصمت حتى ينتهى الحـرب وتستمر فى سياستها ـ على أن السودان لم يطالبها وهـو لازم الهدوء أكثر من كل الشعوب بل مد يد المساعدة ويسأل الله للحلفاء النصر الكامل العاجل وهذا منتهى الرضا بحكومته الحالية .

عام ١٩٤٣ :

شعرت بدوار نتيجة الاجهاد الشديد فى انشاء القسم الثانوى ما أدى الى أن أصاب بارتفاع جسيم فى ضغط الدم وكنت أعـرض نفسى على الدكتور البارع الوديع الهادىء ابراهيم أحمـد حسين وكان حكيمباشى المستشفى بأمدرمان فامرنى بالراحة للمرة الأولى ثلاثة أسـابيع متواليه فاخذنى ابنى يوسف بدرى لمنزله حيث كان يسكن فى المنزل الذى بنيته لعلى بدرى ووضع على سياجا من الحراسة دقيقا تنفيذا لأمر الطبيب حتى وانى لم أستطع السير فى جنازة المرحوم قاسم مخير الذى توفى فى فبراير من هذا العام والذى كنت أحبه وأجله .

رحلتى لمصر بعد خمسين عاما

وفى هذه السنة ذهبت لمصر وعرضت عينى اليمنى التى أشعر فيها بضعف على الدكتور صبحى فقرر لى صلاحها بالعلاج وبعد أيام أدخلنى اسبتاليته بعد أن أخذ منى خمسة وأربعين جنيها لظنه انى غنى لما سبق بفهمـــه من زيارتى للوائين محمد باشا حلمى ومحمد باشا مندور وسؤالهما له عنى وفى يوم العملية عمل لى البنج فى عينى فى فنجان كالغسيل وفى كل مرة يسـألنى الطبيب الذى يستعمله هل عينك تحس بوضع البنج فيها ؟ أقول نعم حتى ما حسسته فيهـا قلت : لا فأخذنى وطلع بى سلما وأدخلنى غرفة العملية وكان معى ابنى الدكتور على بدرى فرقدت وأجريت العمليـة التى كنت أسمع أقوالهم كويس كويس جميل جميل وبعد نحو سبع دقائق خلصت العملية ورأيت من حولى فربط عينى وقال لى قم . فقال على بدرى : أين يذهب ؟ أجابه الدكتور صبحى ينزل سلما آخر حتى ينزل لغرفته حيث ينام على سريره . هذه العين خيطتها أنا وأنا رب العيون يا دكتور بدرى ونزلت فعلا سلمين للغرف الأرضيـة حيث نمت على السرير ثلاث أيام للغيار كانوا يغسلون عينى كل يوم بغسيل لا أحس له بألم ثم قال لى الدكتور صبحى بك اذهب لبيتك ويأتيك التمرجى كل يوم لغسيـــل عينك فتعطيه خمسة قروش عن كل غسلة فذهبت لبيتى . وأخـــذ التمرجى يغسل عينى خمسة عشر يوما ، لكن الدكتـــور صبحى ذهب ليصيف وتركنى لا أبصر تماما فقضيت أكبر مدة اقامتى بمصر لا أتمتع بمناظرها ثم رجع لمصر فقلت له تتركنى أعمى يا صبحى فضحك وقال لى : أنا أعمل نظارة ترى بهـا أفضل من نظرى وفعلا عمل النظارة التى رأيت بها كأنى صغير ولكن للأسف لم أقم بالقاهرة بعد النظارة أكثر من ثلاثة أيام . وقد وردت لى عدة تلغرافات تهانى كان أوقعها فى نفسى تلغراف يوسف بدرى الذى قال فيه : « شفاء بصرك نور لبصائر » .

كنت كتبت لعلى أفندى البرير يحضر لنا منزلا يسع أربعة أنفـار حيث كان معى الشيخ مجذوب مالك وابنتى عديلة زوجته وسيلحقنا ابنى الدكتور

على بدرى فأجر لنا شقة مفروشة بحى المنيرة التى لم يرض صاحبها بأقل من خمس وعشرين جنيها وأن ندفع أجر شهرين مقدما فلم نقم بها أكثر من تسع وثلاثين يوما وتركناها لعثمان أفندى ميرغنى الذى لم يسكن بها الا أسبوعا واحدا وسلمها صاحبها • كانت هذه الشقة بجوار الأستاذ فريد وجدى المشهور بتآليفه الدالة على علمه ونظامه فأرسلت له ابنى موسى بدرى طالبا الاذن منه لأزوره بمنزله وأتعرف بشخصه العظيم كما أعتقد فقال له : يأتينى بالمكتب فقلت لابنى ارجع وقل له أن عينه التى عملت لها عملية جديدة لا تسمح له بوصول المكتب وانه يحب أن يرى شخصك كما أفتنى من كتبك ما أكد له عظمتك فقال له بحدة : قل له يأتينى بالمكتب فحرمنى مشاهدته والأمر لله •

ففى الثلاثة أيام التى فتح فيها بصرى دعانا الأستاذ محمد فريد أبو حديد للشاى بمنزله أنا وعبيد أفندى عبد النور والدكتور على بدرى فوجدنا معه منصور باشا فهمى والكردانى بك ففى أثناء الأنس سألنى منصور باشا فهمى هل انتقدت مصر يا شيخ بابكر فى شيء ؟ قلت انتقدتها فى أمرين الأول بساطة أهلها اذا ركب أحدهم فى الترام مع من لم يعرفه يبسط له شكايته ممن يغاضبه سواء أن كان صديقه أو رئيسه أو شريكه ، حتى من زوجته مع انه يتأكد أن هذا المشكو له لن ينفعه فى شيء من شكواه ولم يضمن انه يبقى معه حتى يتم بثه لشكواه • قال منصور باشا فهمى : هذا صحيح • وما الثانى ؟ قلت : السفور لأن الفتاة التى عمرها لا يقل عن ثمانية عشر سنة أو يزيد ترى بالعتبة الخضراء ممسكة بقصبة سكر أو خيارة تأكل منها حتى اذا استعد الترام للقيام جرت نحوه وأمسكت بعموده وجلست بين رجلين لم تلتفت لهما وهى تأكل فى قصبها أو خيارها • قال منصور باشا فهمى : آه وتوجع • هذه الفتنة التى عملناها ولم نستطع التخلص منها على اننى كنت أشجع قاسما أمينا فى بدعته هذه والآن وزوجتى عمرها فوق الأربعين حجبتها وبناتى أعمارهن نحو العشرين وقوفها حجتهن ولكن ما قدرتى ومقدرة أمثالى فيما شاع واعتبر عادة متأصلة فى البلاد •

لم أزر من متاحف مصر وآثارها الأجنبية الا الحيوانات حيث دعانى عثمان أفندى ميرغنى والمستر فوريكرز الموظف بوكالة حكومة السودان فصليت

الجمعة بجامع الامام الشافعى حيث رأيت فيه الملك فاروق الذى جاء مصليا بهذا الجامع .

فى يوم ما أتانى الصاغ فأخذنى معه الى اللواءات مندور باشا وعلى فؤاد باشا وتحدثا معى بتلميح غير تصريح فى الدعاية للوحدة بين مصر والسودان ولما رأى منى ميلا الى استقلال السودان استقلالا تاما بان لى منهما الفتور وفى ذلك اليوم زرت صاحبى محمد فريد أبو حديد بمكتبه رأيت منه فتورا وكذلك فؤاد باشا أباظة فحكيت للشيخ مجذوب مالك ما رأيته منهم فأخبرنى ان اسماعيل الأزهرى ومعه اثنان قابلوا رئيس الوزارة المصرية مصطفى باشا النحاس بخصوص الوحدة فوعدوه بأنهم يشتغلون لها سرا فى السودان فلقيت اسماعيل الأزهرى وسألته عن ما قاله شيخ مجذوب مالك فجحده بقوة .

المجلس الاستشارى والاحزاب السياسية

عام ١٩٤٤ :

ظهر قانون المجلس الاستشارى لشمال السودان فذهبت للسير نيوبولد السكرتير الأدارى وسألته هل هـــذا كرد من الحكومة على مذكرة مؤتمـــر الخريجين العام أم هو مبادرة منها لعمل شيء نحو ما طلبته المذكرة واذا سلمنا بأن العقلاء والسذج مخلصون كل الاخلاص فهل تنتظر الحـكومة أن يكون الشاب المتعلم الناشيء فى هذه الحكومة المتغلب دمه على عقله أن يكبت عاطفته أو يحكم عقله وهو لم ير ماضيا يقيس عليه هذا الحاضر ولم يصل السن التى يتغلب فيها عقله على دمه فيرد العاطفة الى الحقيقة فلتعتبروه معذورا وان هذا القانون الذى ظهر للمجلس الاستشارى غير مفهوم لدينا تمـاما لا فى حاضره ولا مستقبله فوضعه بلغة السياسة التى يجهلها الســودانيون كل الجهل جعله كالمبهم والذى فهمناه من سير الحكومة العادى ونأمل ألا يتحقق تنفيذه ثلاث نقاط :

الأولى : مسألة الجنوب اذا كانت سياسة الحكومة منذ الفتح مصممةعلى فصله نهائيا من الشمال فلماذا تقيمه وتتم نقصه المالى وتعلمه على حســـاب ميزانيتنا مع علمها أنها اذا فصلته وضمته الى يوغندا يكون مستعمرة انجليزية ودولة بريطانيا هى هى القوية الغنية التى تستطيع الصرف عليه للاســـتفادة منــه •

ثانيا : ألا ترى الحكومة أن تحدد زمنا لمنح البلاد تقرير مصـــيرها أو استقلالها كان تقول اذا عملتم وتعاونتم معنا فستنالون الاستقلال فى ظرف كذا واذا جلستم مكتوفى الأيدى ونحن نعمل لكم كما كنا سنمنحكم الاستقـلال بعد كذا •

ثالثا :ألا ترى ان فى تكوين هذا المجلس أغفل تمثيل مؤتمـر الخريجين وهو فى نظر المتعلمين بمثابة مجلسهم التمثيلى فسكت عنى مدة كان يكتب فيها ولعله دون ما قلته له وقال لى أنه سيتحدث مع دولة الحاكم العام وخرج معى

الى أن أنزلنى من السلالم وانحنى مقبلا يدى ليودعنى ولا أدرى ما الذى دفعه لذلك .

فى هذه السنة توفى السيد على المهدى وشغل موته مؤيدى ابراهيم أحمد عن الفوز فى رئاسة المؤتمر لأن موت السيد على حصل فى نفس اليوم المعين للانتخابات فاشتغل مؤيدو ابراهيم أحمد بدفن السيد على المهدى وخلا الجو لمؤيدى أزهرى وفازوا فى هذه السنة واستمروا فائزين على أن الكثير من الخريجين نقموا على يحيى الفضلى ومن معه لاستعمالهم سبلا غير مقبولة ولا مألوفة لفوزهم فأنفوا وتركوا المؤتمر والمزاحمة فيه فصار السيد اسماعيل الأزهرى ومؤيدوه مستقلين بالمؤتمر ولكنهم عملوا فيه اصلاحات من أهمها الاكتتاب من عموم البلاد للتعليم حيث فتحوا بعض المدارس الأهلية وأعانوا بعضها وشرعوا يعملون قرى نموذجية ولكنهم منعوا أو امتنعوا من عملها ويا ليتهم عملوها .

سنة ١٩٤٦ :

فى هذه السنة اشتد عدم استقرار المعلمين بفتح بعض مدارس أهلية فطلبت من المعارف التصريح لى بفتح فصل معلمين على طريقة الكلية القديمة يتخرجون بعد سنتين وبعد أن أخذت رأى لجان المدارس الأهلية بأن تدفع كل مدرسة مائة جنيه تموينا لهذه الفرقة . فردت المعارف على بأنها ستعمل هذه الفرقة فى سنة ٤٧ وهى السنة التى قررت فتح فصل المعلمين فيها . وكان بداية حديثنا مع المعارف ابتدأ من سنة ٤٤ بأن نعمل اتحادا للمدارس الأهلية من حيث تعيينهم وتنقلاتهم ودرجاتهم وعلاواتهم ليستقروا تحت ادارة محترمة يحترمونها أو يرهبونها .

وفى سنة ١٩٤٧ جاءوا بالمعلم الموعود لفتح الفصل ولكنهم حولوه لتقوية المستخدمين فى اللغة الانجليزية ولم يفتحوا هذا الفصل ولا سمحوا لنا بفتحه.

فى هذه السنة دعى الحاكم العام سير هادلستن جمعا من الأعيان وكبار المستخدمين من الانجليز والسودانيين بسراى الحاكم العام احتفالا بزواج مستر أوين الذى تبرع الحاكم العام بجميع مصروفاته على حسابه الخاص وبما أن الجو كان حارا أخذت كأسا من الداندرمة وتأخرت عن الخروج مع الناس

لأبرد به جسمي وفى أثناء جلستى هذه جاءنى السير روبرتسون السكرتير الادارى لحكومة السودان الذى لم يسبق لى أن تكلمت معه ومشيت معه وبادرنى بقوله : ان المستر لونج أخبرنى انك غاضب بخصوص تأخر ابراهيم بدرى بالجنوب أتختار انت يا شيخ بابكر نقله من الجنوب عن ترقيته به ؟ قلت : أختار ترقيته لأنها لا تحصل له الا منك اما النقل فهذا من حقنا أنا وهو لأن مستخدما يمكث بمكان واحد ، أو مديرية واحدة عشرين سنة ، فله الحق فى النقل متى شاء والى أين شاء .

فى شهر نوفمبر حصل ما أثار حزب الأمة حينما سمع باتفاقية صدقى ـ بيفن فاجتمع عدد من أقطاب الحزب وكتبوا مذكرة تعارض هده الاتفاقيه على القطر السودانى وحمل المذكرة الشيخ أحمد عثمان القاضى الشهير ليناولنها المستر هندرسن مندوب السكرتير الادارى فى الأمور السياسية فقدمها له بهذه الكلمة الحماسية التى ألقاها بحماس قوى للمستر هندرسن وهى : « أنا آسف يا مستر هندرسن أنا وانت زملاء فى مكتب واحد وليس عندى ما أقوله لك غير المكتوب فى هذه المذكرة باللغة الانجليزية غير ان ألفت نظرك الى أن أى طالب من البشر يريد أن يستعبد السودان . لن يصل اليه الا عائما فى موجة من دمائنا »

فى ابريل من هذه السنة كون السير هدلستن حاكم السودان العام جمعية أسماها المؤتمر لتكوين اداة لاشتراك السودانيين فى حكم بلادهم . ومن ضمن هذا الاشتراك السودنة فلما سمعت بالسودنة ذهبت الى السير روبرتسون بمكتبه وسألته هل انتم جادون فى السودنة ؟ قال نعم . قلت : يجب أن تعملوا لها سلمين مقرونيين لكل منهما خمسة درجات يكون المدير للمديرية أو المصلحة طالعا فى رأس السلم ووكيله فى السلمة التى تليها والمفتش الأول البريطانى فى السلمة الثالثة والمفتش السودانى فى الدرجة الأولى مما يلى الأرض فاذا تمت مدة المدير القانونية لا يمد له فينزل للسلمة الثانية ويطلع نائبه فى مكانه ويطلع المفتش الأول البريطانى لدرجة نائب المدير وهكذا حتى تخلو الدرجة الأرضية فيعين فيها سودانى جديد هذا هو الشرط الأول للسودنة وقد وافقنى عليه وقلت له : اما الشرط الثانى فلا يأتى بريطانى جديد من بلاده . قال السكرتير: ان هذا الشرط لا أوافق عليه . فقلت : اذاً لا سودنة حقيقية . فتغيرت سحنة

وجهه وفارقته • جئته مرة أخرى فقلت له ان المثقفين الشبان متذمرون من عدم تطبيق معاهدة سنة ١٩٣٦ عليهم بما يستحقونه من الدرجات خصوصا تعينهم فى وكلاء مفتشين • فقاقل لى : عندى سبعة درجـــات « ا س » وثلاثة عشر مأمور لم أجد منهم من يستحق هذه الدرجات • قلت اذا أعطها الشبان المثقفين قال : اذا تعديت المآمير وأعطيتها الشبيبة يمتلىء على مكتبى هذا بالمحتجين من المآمير قلت اذاً احتفظ بدرجتين أو ثلاثة للمآمير تعطها أقربهم احالة للمعـــاش وكلما أحيل منهم أحد للمعاش انقلها فيمن يلونهم منهم • وأعطى الأربعة الباقية للشبان الذين اعترفتم لهم بالكفاءة فقال : لمن ؟ قلت : مثل مكاوى سـليمان أكرت ومحمد عثمان يس وهناك طريق آخر للمآمير تعملوا امتحانا بالانجليزى وكل من أدى هذا الامتحان يستحق منهم الدرجة اس فعندكم ثمانيــة مآمير لا يعرفون الانجليزى لأنهم كانوا معلمين عرفاء فيبقى خمسة منهم من تجــاوز الامتحان استحق الدرجة فكتب بخطه كتابة لا أدرى ما هى وأخذنى وأنزلنى السلالم مشكورا ورجع الى مكتبه •

فى النصف الأخير من هذه السنة قابلت مستر بنى بمكتبه ووجدت معـــه مستر بكنان الذى كان مفتشا بالدويم آنذاك وكان جالسا بعيــدا فقلت لمستر بنى ان كبار المصريين يجوبون السودان وأنتم ساكتون قال لى : ما الذى تريده أن نعمله • قلت : الحاكم الموجود الآن هو أكثر سابقيه من نوعه اسـفارا فى البلاد فنريده دعاية تقاوم دعاية المصريين فقال منكرا طلبى هذا : أتريد يا شيخ بابكر أن يقول الحاكم العام للنظار والعمد طالبا منهم انضمامهم أليه ؟ قلت : لا وانما أريد منه أن يقول للمدير حينما يجتمع به بالنسبة للمفاوضات الجارية بين حكومتى الحكم الثنائى بمصر الآن فما رأى سكان مديريتك الذى كونته عنهم فلا شك ان المدير يقول لدولته الأكثرية معنا وحينما يبارح دولته المدير لا شك ان المدير يتصل بمفتشيه واحدا واحدا ويقول لكل منهم ما سأله عنـــه الحاكم بالنسبة لسكان مركزه ولا شك ان المفتش يقول للمدير • الأغلبيـــة الساحقة معنا والمفتش حينما يعود لمركزه يطلب بدوره نظار القبـــائل ويلقى عليهم السؤال نفسه والناظر أو العمدة يقول للمفتش الأغلبية الساحقة معنا ، ان لم يقل كل السكان وبدوره يحرض خاصته وعمـــده على ما يحقق قوله

للمفتش ، تكون هذه الدعاية التى أقصدها وتأكد يا مستر بنى ان السودانيين وأنا منهم هذه المرة لا نكون لكم ولا للمصريين كلب الصيد ، فقال : ماهو كلب الصيد ؟ قلت هو الكلب الذى يرسله صاحبه خلف الغزال أو الأرنب فيصطادها ويأتى بها لصاحبه فقال : ماذا تصنعون ؟ قلت : نعمل باحدى اثنين اما أن نكون العبد الذى مات سيده عن ولدين والدنيا حرية فمن أعطاه العطاء الكثير المضمون يتبعه واما أن نكون البضاعة المحمولة على الجمال وصاحبها معها فلقيه قطاع الطريق فهل البضاعة تحارب معه . قال : لا قلت من يغلب صاحبه يغنم البضاعة فنهض المستر بنى قائما وغاب قليلا ثم عاد ولم يكلمنى .

فى نوفمبر من هذه السنة تجمع بأم درمان من وافدى رجال حزب الأمة عدد وفير وحصل فى المدينة بعض حركات غير اعتيادية وكان المفتش الثانى بأم درمان المستر دنيال الذى أخبرنى انه رأى بالاسبتالية رجلا مطعونا بحربة فأنكرت ذلك لعلمى انه لا يسمح السيد عبد الرحمن المهدى لأحد الوافدين من الخارج بحمل حربة بأم درمان ولذلك قلت للمستر دنيال ارجع للرجل المطعون الذى أظنه طعنة مسمار من انقلاب اللورى الذى انقلب بركابه خارج جامع المهدى . وأدخل يدك فى الجرح فان وصل عمق الجرح الى آخر أصبعك فهذا من حربة والا فانه من غيرها ووصلنى أن الجرح لا يمكن أن يبلغ عمقه ما قلته له والكثير من الاشاعات لا يصدق .

سنة ١٩٤٧

يوم ١٠ يناير رجع وفد الاستقلاليين المركب من السيد عبد الله الفاضل والشيخ أحمد عثمان القاضى وأحمد أفندى يوسف هاشم وحسن أفندى محجوب الموفدين للبلاد العربية ولكنهم لم يتجاوزوا المملكة السعودية وكان قيامهم من الخرطوم أقل من شهرين .

فى يوم ١١ يناير زار مدرسة الأحفاد مفتش المركز المستر اكلارك وأهدى لها ثلاثين كتابا انجليزيا تذكارا لزيارته .

فى يوم ٢٨ يناير سمعت من الاذاعة قد أنعم صاحب الجلالة الملك جورج السادس على المذكورين بعد من ضمنهم نيشان الامبراطورية من درجة فارس للشيخ بابكر بدرى دون سابق أمل . فقلت : ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ففى نفس اليوم هنأنى به المستر روبرتسون السكرتير الادارى والسيد توماس كريد والمستر والس مدير الخرطوم والدكتور لورنز مدير المصلحة الطبية والمستر لونج نائب مدير الخرطوم ومن الوطنيين السيد ادريس الادريسى وناظر محطة ربك وعثمان بك متولى واليوزباشى ابراهيم

فى يوم ١٥ فبراير أخبرنى المستر اكلارك مفتش أم درمان بقرب نقل السير هدلستن من السودان ٠

فى يوم ٢٧ فبراير أعلنت الاذاعة بأن محمد أحمد البرير توفى فألمت جدا لموته لأنه من الشباب السودانى الذى نجح فى تكوين نفسه كتاجر استفاد وأفاد فقرات له سورة الاخلاص ألف مرة وأنا بجوار القبر المشروع فى حفره ولكنى لما ذهبت رأيت محمد أحمد البرير يستقبل المعزين ولكنى فوجئت بأن المتوفى المرحوم أحمد البرير وبعد أن عزيت محمد أحمد وأخبرته بأنى قرأت له سورة الاخلاص ألف مرة فقال على الفور ، حولها لأحمد البرير وفحولتها له

فى ٥ ابريل بارح السودان نهائيا السير هدلستم الساعة ٧ صباحا بالطائرة بطريق مصر وكان قد صدر بيان بنقله فى يوم ١٥ فبراير ١٩٤٧ وفى يوم ١٦ ابريل دعانا حسن أفندى الطاهر لشرب الشاى بمنزله مع المستر هندرسن الذى مسندا اليه نيابة السكرتير الادارى فى القسم السياسى وكان بالمجلس مصطفى أبى العلا والعمدة مقبول فاتفقوا على اخبار المستر هندرسن بأن المكاتب الحكومية قد استعمل فيها الرشوة فكان جوابه انه حينما كان مفتشا بسنكات سأل عن المكان الذى كان يمضى فيه السير نيوبولد لرياضته صباح كل يوم فأخبر به فصار يستعمل رياضته فيه كل صباح ٠ فأخذنا ننظر لبعضنا عجبا لهذا الجواب الذى غير مطابق لما كنا ننتظره ردا لهذا الخبر الذى فى صميم اختصاصه ولم يجرؤ أحد منا بانكار ولا استنفسار ٠

فى يوم ١٩ ابريل زرت عثمان ميرغنى بالاستبالية فأخبرنى الدكتور الهادى النقر ان فى قلبه هبوط مشفق وأخبرت مدير المعارف تلفونيا وطلبت منه أن يعطى شقيقه أحمد الذى كان ناظرا بمدرسة شندى الريفية اجازة مستعجلة ليحضر لأم درمان فحضر فعلا وبقى الى يوم ٣٠ ابريل حيث توفى المرحوم عثمان ميرغنى فحزن على موته جميع عارفيه لأنه كان موضع أملهم بنشاطه فى كل عمل مفيد ولأنه الوحيد فى المثقفين قرأ منهم الاقتصاد وأتقنه

وفى يوم ٧ مايو وصل السير هلمو حاكم السودان العام الساعة ٨ صباحا فى احتفال رسمى خلفا للسير هدلستن •

وفى يوم ٢٢ مايو قابلت معالى الحاكم العام السير هاو كغيرى ممن كان يطلبهم فردا وكان المترجم بيننا المستر أوين فاستمرت المحادثة نحو ساعة وأربعين دقيقة بدأت بتاريخ الحكومات السابقة بالسودان وكيف كانت سياسة كل فى أنواع الأحكام من حيث القانون والضرائب والتنفيذات واختيار رؤساء الحكومات ومقارنتها للحكومة الحاضرة ثم دخلنا فى الأفراد البارزين من الوطنيين وعلاقتهم بالحكومة من حيث الاخلاص والفائدة منهم للبلاد ومن ما أتذكرهم انه سألنى عن السيد عبد الرحمن المهدى • وفى آخر سؤاله أخبرنى ان السيد مخلص للحكومة • فقلت له : ان أعداءه يشيعون عنه أنه يخدم الانجليز فى البلاد فلو صح عنه هذا سينفض الناس من حوله وأنا أول من ينفض من حوله وكان هذا آخر كلامنا فسكت معاليه قليلا واستأذنته بالانصراف فقام وقدمنى حتى خرجت من الغرفة الجالسين فيها • وبعدها بأيام قابل ابنى أحمد فى كوستى فقال له انى سمعت من أبيك كلام لم أسمعه من غيره

فى يوم ٣٠ يونية جمعنا السيد عبد الرحمن المهدى نحن أصدقاءه بمنزله بأركويت وجرت مناقشة سياسية فى المقارنة بين حزب الأمة وحزب الأشقاء ومما قلته فى ذلك المجلس ان حزب الأشقاء سيتغلب فى الانتخابات حتى عند الاستقلال ويحوز الكراسى وذلك لتمرينه على العمل اما حكومة الانجليز وشعبه فانهم واقعيون يعتبرون النتائج ولا يبالون بالمودة والمعاونة الماضية ثم سأل السيد عن السبب الذى يفوز فيه حزب الأشقاء فى المجلس البلدى بأم درمان على حزب الأمة فقال أحدنا السبب ان الحكومة جعلت الانتخابات للمجلس البلدى محددة بما يملكه المنتخب من مال فحزب الأشقاء فيه أغنياء جمعوا ثروة فى أيام حكم برمبل بك اما حزب الأمة فأكثر المنتسبين له بأم درمان فقراء فيجب على الحكومة أن تجعل الانتخابات فى المدن مباشرة وغير مقتصرة على من يدفع ضريبة كبيرة حتى لا تجعل الأغنياء بالمدن مسلطين على الفقراء ثم قال آخر اذا كانت الحكومة تريد تأييد حزب الأشقاء وتعتذر لنا بغلبتهم فى المجالس البلدية فلا تفضحنا أكثر من ذلك مع الشعب السودانى والمصرى

فلتظهر لنا بغرضها هذا ونحن أكثرية بالقطر ولا تجعلنا الحكومة أقلية بتغافلها عن أعمال حزب الأشقاء من الدعاية لمصر والاستعانة علينا بمال مصر ومال مصر ومال التعليم المأخوذ من السودان . وقلت لسيادته نحن نتهمك بسر خفى مع الانجليز . فقال « لا والله » فقلت : اذاً نطلب منها ما يأتى : أولا تعطى مديريها اشارة بمساعدة معتنقى حزب الأمة ، ثانيا تعطينا مساعدة مالية للدعاية كالمصريين للاشقاء . ثالثا تعطى المستخدمين معها من معتنقى حزب الأمة ميزة ظاهرة تكبر أعمالهم وتنشط أبدانهم .

فى خمسة أغسطس زرت مستر أوين بمكتبه بالخرطوم وطلبت منه مساعدتى عند المفتش بأم درمان ليعطينى الأرض للداخلية ثم خضنا فى السياسة فقال لى ضمن كلامه اذا لم يمت السيدان عبد الرحمن المهدى وعلى الميرغنى فالحزبية لا تموت لأن كلاهما يريد التفوق على صاحبه فلما قابلت السيد عبد الرحمن أخبرته بقول مستر أوين فيهما فتشبث السيد محمد الخليفة شريف بأن يسأل المستر أوين عن سبب قوله هذا فلا أدرى سبب تشبثه تكذيبا لى فى خبرى أو يريد حصول فتنة بينى وبين المستر أوين ففاجأنى السيد تليفونيا وقال لى : بعض أولادنا قرروا أن يسأل المستر أوين عن ما أخبرتنى عنه فذكرنى بقوله للمستر ديفس يوم ١٩٢٧/٢/٤ كما أخبرته . فرددت عليه بحزم : لا مانع عندى فى أن تسألوا مستر أوين فيما أخبرتكم به فانى يا سيدى أخدمك فى الانجليز ومستحيل أن أخدمهم فيك . فدعا لى بالخير فسألوا مستر أوين الذى قال لى عندما قابلنى : لماذا أخبرت السيد عبد الرحمن بكلامى الذى قلته معك ؟ فقلت له يا مستر أوين اذا قلت لك مثل هذا القول فى السير روبرتسون ألا تخبره به ؟! قال : نعم قلت : السيد عبد الرحمن عندى كالسير روبرتسون عندك فقال عذرتك وافترقنا .

فى ٩/٢٣ دعوت المستر لى المعروف بالشيخ لى والمستر أوين شايا بمنزلى وفى أثناء الأنس دخلنا فى السياسة فقلت لهم : يا انجليز حكومة السودان أنتم ترون الوعى الفكرى فى السودان جميعه والمطالبة بالحكم الذاتى فاخبرونا بعد كم سنة تمنحونا اياها فقال المستر لى ردا على نحن ندخل فى حكم الله ! قلت : لا فاذا أراد الله أن يمد فى أجل ما يغير وعدكم سيقضى بواحدة من ثلاث . أما

أن تحصل حربا عامـة كحربى سنة ١٤ ، سنة ٣٩ ، وأما تأتى بالبلاد كليرا أو حروب أهلية تأخر السير فنحن مستعدين أن نضيف زمن التأخير باحدى هذه الحوادث على زمن وعدكم لنا فى الحكم الذاتى • فقال لى المستر آوين بحدة : واذا لم نعطكم وعدا بذلك فما أنتم صانعون ؟؟ وقفت من الكرسى ورفعت يدى وقلت : اذا نقول شيء لله يا فاروق مستغيثين به ، فضحك الاثنان ومالا للورى حتى خشيت أن يقعا على ظهريهما ثم انتقلنا للأنس البرىء من السياسة •

وفى يوم ٩/٢٦ عمل المستر اكلارك مأدبة عشاء بمنزله دعى اليها الكثير من أعيان أمدرمان أتذكر منهم الشيخ أحمد الفيل ومحمد الخليفـة شريف ومحمد على شوقى ومحمد صالح شنقيطى وحسن الظاهر وميرغنى حمزةوأحمد محمد حامد ومكاوى سليمان والخواجه غالى والمستر قريلو مع حفظ الألقاب والعبد لله وكثير غير هؤلاء • وهى أول مرة دعى فيها مفتش أمدرمان جمعية كهذه من سبقوه من مفتشى أمدرمان وقد تجلى فيها كرم المستر أكلارك حتى جاء بالحلو فى جردل كبير ملىء به فيأخذ كل واحد ما شاء بكبشة (ملعقـة كبيرة) •

رجع وفد حزب الأمة من نيويورك فى يوم ١٤ أكتوبر من هذه السـنة وقوبل بالمطار بأربعة وأربعين لوريا وخمس وستين عربة تاكسى وسبعة وثلاثين عربة شخصية فتوجه الموكب تىا لود نوباوى ثم عرج على دار الأمة ثم توجه للسيد الأكبر

وفى يوم ٣ ديسمبر اجتمعت بالمستر وليمس وذكرت له مسألة المعلمتين نفيسه عوض الكريم وسكينه توفيق اللتين تعينتا مدرستين بمدارس بنـات السودان وعمر كل منهما لا يصل العشرين عاما والآن وعمر كل منهما لا ينقص عن خمسة وثلاثين سنة وهذا عمر يصعب الزواج بعده ولكنهما ولا يجـوز أن يقضى الانسان زهرة عمره فى خدمة الحكومة ثم يتكلف بمعيشـته غيره •

قال : وماذا تقصد من هذه المقدمة ؟ قلت : أقصد ادخالهما فى المعاش كالرجال لأن هذا مستعمل فى بلدكم وفى غيره حتى فى الشرق الأوسط • وكانت مديرة مدرسة البنات الدكتورة بزلى موجودة فاستحسنت الطلب وبعد أيام صـدق عليه فعلا •

فى ٤ ديسمبر سنة ٤٧ قال لى المستر كمنز السكرتير القضائى بحضور المستر ماكلقان : بعد خمسة عشر سنة السودانيون يستلمون مقاليد أمورهم حتى وظيفتى أرى هـذا اذا حصل بعد العشرين سنة التى حـددها السير هادلستن الحاكم للحكم الذاتى للسودان ، أراه قريبا واليوم بعد سبع سنوات من كلامنا أراد الله أن يستلم السودان مقاليد أموره كما شاء .

وفى يوم ١٥ وصل السيد عمر الخليفة عبد الله وحامد بك صـالح الملك أيضا من نيويورك وقوبلا بعربات من التاكسى لم أحصها عددا ولكنهـا كثيرة جدا وأقل من الأولى وحصل بين هذا الموكب وجماعة غير مسئولين من حزب الأمة بعض مناوشات وهتافات بالسقوط لبعضهما .

عام ١٩٤٨ :

فى يوم ١٤ يونيو الموافق ٢٦ رجب تم افتتاح اعادة بناء قبة الامام المهدى (عم) بعد أن ظلت مهدمة منذ الفتـوح فى سبتمبر ١٨٩٨ ومغلقـة الأبواب ومفاتيحها محفوظة لدى الحكومة وقد كان حفلا كبيرا ومناسبة قومية تاريخية وقد خطب فى الحفل السيد عبد الرحمن وقال جملته المشهورة التى ظلت دستورا له طوال مدة أعماله السياسية وهى :

لا شيع ولا طوائف ولا أحزاب وطننا السودان ديننا الاسلام (الدين لله والوطن للجميع)

وليس هذا آخر ما أكتبه عن تاريخ حياتى ولكن تركز كل نشاطى وعملى منذ ديسمبر عام ١٩٤٧ الى أواخر عام ١٩٥٣ فى بناء مدرسة الأحفاد الثانوية للأولاد مفصلا من بعد هذا الباب .

الزراعة أم التعليم

كنت وأنا فى خدمة الحكومة حينما بقى لى ثلاث سنوات من المعاش وكان عمرى اذ ذاك خمس وستون سنة فكرت فى أنى أثناء اقامتى فى المعاش أشتغل بواحدة من ثلاث حرف • أما أن أعمل شركة مع الشيخ عثمان أبى حجل فى وابور كبير نسقى به نخل بلدة الباقير الذى يبلغ ستة وثلاثين ألفا بواقع النخلة كبيرة وصغيرة أربعة قروش فنحصل منه فى السنة على ألف وأربعمائة وأربعين جنيها ثم نسقى القمح فى الشتاء والذرة فى الصيف مناصفة بيننا وبين المزارعين• وقد ضمن لى الشيخ عثمان أبو حجل العمدة آنذاك نفاذ هـذا وأن المتحصل يكون بيننا مناصفة بعد خصم المصاريف وقسط الوابور واستهلاكه وقد قدر ما يخصنى بنحو خمسمائة وأربعين جنيها على أقل تقدير فنويت أن أجمع عشرين ولدا ممن يحفظون القرآن بدار الرباطاب من اللائقين لأن يكونوا معلمين ذكاء وشكلا أبنى لهم جامعة كبيرة لنلقى دروس التربية لمدة سنتين وأعمل لهم مرتبا يتراوح بين ثلاث جنيهات الى جنيهين وأوزعهم فى المحلات التى تليق للكتاتيب كل اثنين لكتاب وكل ذلك يكون على مصاريفى الخاصة حتى يذوق ويرى ولاة أمور التلاميذ ثمرة تعليم المتعلمين بمقارنتهم مع غيرهم ومتى اقتنعوا بالفائدة وظهرت منهم الرغبة فى الحاق أولادهم بالمنافسة أجعل على كل ولد خمسة قروش وتترقى الى عشرة قروش فى الشهر التعليم والكتاب الذى تكثر رغبة الناس فى الحاق أولادهم به من محلات بعيدة أبنى لهم داخلية ، هذه كانت نيتى حتى أبث التعليم فى دار الرباطاب المحرومة منه •

ثانية الثلاثة أن أشتغل بتربية الدواجن لأنها غير موجودة على أصولها ببلدنا السودان ليرى الناس نتيجتها ويستعملونها فتنتفشى فى البلد على أصولها فتكون موردا اقتصاديا •

الثالث أفتح مدرسة برفاعه أسميها مدرسة الأحفاد أعلم فيها أولادأولادى من ظهرى وممن علمتهم برفاعة فقط وكان ميلى للأولى أعظم لولا أن لقينى رجل كبير فى عمره رشيد فى عقله لا أعرفه قبل ذلك جمعنى معه القطار بين أبى

حمد وبربر فلما حكيت له موضوع الوابور قال لى لا تعمله ولا تفكر فى عمله. قلت لماذا ؟ قال لى أنت يا بابكر رجل معروف فى أغلب بلاد السودان وأهلك الرباطاب فيهم الحسد حينما يرون ما تأخذه منهم فى نصيبك يختـارون مضرة أنفسهم ليضروك معهم فيرفضون الاستمرار فى أخذ الماء منك أى من وابورك

ويرجعون لعمل سواقيهم فاذا خاصمتهم عند الحكام معرة عليك واذا تركتهم مضرة فصرت أسأل كل من لقينى ممن يعرفون حالة الرباطاب ممن يخلصون لى النصح يؤكدون لى قول الرجل الكبير العاقل وتركت الوابور وعلمت أن ذلك يقضى بتأخير تعليم الرباطاب لزمن بعيد حتى يعم كل البلاد بطبعه فزاد أسـفى

وتركت أيضا الشروع فى عمل الدواجن من بهائم وطيور ومنتجاتها بعدم تيسير معـداته .

فتح الأحفاد برفاعه

وفى يوم أول ابريل سنة ألف وتسعمائة وثلاثين (سنة ١٩٣٠) فتحت مدرسة الأحفاد بغرفة مساحتها أربعة أمتار فى خمسة أمتار بمنزلى برفاعه بثمانية تلاميذ كلهم من أحفادى لبناتى وأولادى وبينهم يوسف عبيد عبد النور وهو كأحدهم لأن والده تلميذى ووالدته بنت شقيقتى ولما ألح على بعض من علمتهم برفاعة فى قبول أولادهم نزلت على ارادتهم فقبلت فى النصف الأول من السنة تسعة من رفاعة ومن الخارج أربعة بوساطة من لا يسعنى ردهم • محمد بدرى • عمر مصطفى ندى • فؤاد على بدر الدين • ابراهيم مجذوب • عوض يوسف شريف • كمال ابراهيم بدرى • نور الدائم العباسى (مجانا) يوسف عبيد عبد النور • على عبد المجيد على طه • الصادق أحمد بدرى • صلاح محمد مالك •

وفى الخارجية تسعة وهم : أحمد محمد حامد • محمود عربى • عثمان الجعلى • عثمان محمد • يسن على جلى • حسن أحمد جلى • كامل الامام شريف • المبارك محمد سعيد محمد خير • الهادى حاج مكى • محمد محمد الخير عبد اللطيف • محمد عمر عبد اللطيف • ومن المعلمين ابراهيم ادريس • سالم الأمين عبد الرحيم محمد قيلى • ولم يستمر معى منهم غير ابراهيم ادريس لليوم •

بنيت الديوان الصغير وجعلت له ثلاث برندات لتكون كل برندة فصلا مستقلا وغرفة الديوان فصلا •

وبعد أن درسنا نحو شهرين طلب منى المستر لونج مفتش رفاعة صيغة التصريح الرسمى الذى بموجبه فتحت هذا الكتاب ولم يكن عندى تصريح وما كنت أعرف أن فتح كتاب كهذا يحتاج الى تصديق من الحاكم العام مع أنى قضيت عشر سنوات وأنا بوظيفة مفتش بالمعارف (لماذا ينسب سبب هذا الجهل فهل باهمال الوطنيين أم لابعادهم لنا عن سياسة التعليم حتى فى العموميات البدائيات كهذه) مع أن القانون وضع سنة ١٩٢٧ للمدرسة الأهلية • فقال

لى مستر لونج لو كان أحد غيرك فتح كتابا بغير اذن لعرضته للمحاكمة وقفلت كتابه فى الحال ولكن أنت لك خاصة احترام فى التعليم • فشكرته وكتبت له الطلب فى الحال فجاءنى التصديق بسرعة فوق أملى واستمر العمل الى آخر يومه •

وهذه صورة تصديق المعارف بفتح الكتاب للمديرية ولى ولما كان طلب التصديق بواسطة المستر لونج الذى سيرسله لمدير النيل الأزرق الذى سيرسله بدوره الى مدير المعارف ورد لى الرد بواسطة مدير النيل الأزرق :

« حضرة المحترم الشيخ بابكر بدرى برفاعه

الرجا المعلومية بأن صاحب العزة سكرتير المعارف والصحة بالنيابة عن صاحب المعالى حاكم عام السودان صادق لكم بانشاء كتاب برفاعه • مدير النيل الأزرق • ٢٧ مايو سنة ١٩٣٠ »

ثم ورد كتاب من المعارف بتاريخ ١٩/٦/١٩٣٠ هاك صورته :

« حضرة الشيخ بابكر بدرى رفاعه • بالاشارة الى تصديق سعادة الحاكم العام اليك بفتح مدرسة للأولاد والبنات برفاعه أبعث اليك على هذا نسخة من قانون نظام المدارس غير الحكومية وكذلك عدد ٢ أورنيك من الاحصائية السنوية المطلوب تقديمها لمكتب هذا الطرف فى أول ديسمبر من كل سنة ويتوضح بهذه الاحصائية عدد التلاميذ فى بحر شهر نوفمبر وأملنا أن تواظبوا على ارسال الاحصائية المذكورة فى الميعاد المحدد »

ثم قفلنا للعطلة الصيفية على هذا العدد العشرين تلميذا فانقطع عنا عبد الرحيم محمد قيلى وسافرت لأمدرمان وبرجوعى منها فى أوائل سبتمبر سنة ١٩٣٠ قابلنى العمدة محمد على طه ضويو بالحصاحصا ووعدنى بارسال ولديه ليكونا بداخلية كتاب الأحفاد حتى يتمما الكتاب ويلحقا بالابتدائى وهما مستمران بداخلية الأحفاد فشكرته على ثقته بى ولكنه لم يرسلهما كما وعدنى وبعد مدة لقيته بالحصاحيصا وحيثما رآنى بادرنى بقوله منعنى من ارسال ولدى أحد تلامذتك القدامى قال لى أن عمى بابكر بدرى كبر فى سنه وانقطع من تعليم الأطفال مدة طويلة أظنه نسيه مرة واحدة (بهذه العبارة) فلا تضح بولديك مراعاة لخاطره • هكذا أخبرنى والعهدة عليه ولكنى لم أستغربها

من ذلك الذى شرع ليعمل بكل قوة ليخرجنى ن رفاعه التى يأمل أن يكون رئيس المتعلمين فيها حالا ورئيس التعليم فيها وهذا لا يجده وأنا معه برفاعه .

فتحت المدرسة فى ١٢ سبتمبر بعد العطلة الصيفية فجاءنا من مكوار التلميذ عادل أمير طه داخليا وكانت ابنتى السارة معنا برفاعه فاستولت مباشرة غذاء تلاميذ الداخلية وغسيل ملابسهم بواسطة الخدامين وحقيقة أراحتنى عنهم أراحها الله .

نقلنا المدرسة من الغرفة التى كانت بها للديوان الذى بنيناه فوضعنا الفرقة الأولى واعتبرناها سنة ثانية فى بطن الديوان وسنة أولى فى الفرندة القبلية وجعلنا الفرندة الشمالية لراحتنا نحن المعلمين وقت الفسح . مكثنا هكذا حتى نهاية سنة ١٩٣٠ ونجح التلاميذ فى الامتحان النهائى نجاحا باهرا والحمد لله أعطيناهم خمسة عشر يوما أجازة تنتهى يوم واحد وعشرين يناير سنة ١٩٣١ وأخذت معى منهم من أهلهم بأمدرمان .

ولما كان تلاميذ الداخلية الحكومية برفاعه يقلون تدريجيا تمهيدا لقفل الداخلية طلبت من المعارف بيع العناقريب وتخت الدروس التى تخلو بالداخلية (العناقريب) والتخت ذات الدرجين (بالمدرسة) وقد تم ذلك بمساعدة المستر فيلد وفريد بك عطية . وفى يوم ١٢ يناير سنة ١٩٣١ فتحنا الكتاب للسنة الجديدة على بركة الله وحضر الينا السيدان عبد الله الفاضل ومحمد الخليفة شريف ومعهم التلاميذ الهادى السيد عبد الرحمن . كمال الدين السيد عبد الله . اسحق السيد محمد الخليفة شريف . صالح حامد بك صالح . سر الختم أحمد . فصار عدد التلاميذ بالداخلية عشر تلاميذ وهو عدد مناسب لحالتنا آنذاك وزاد عدد تلاميذ الخارجية . وكنت علاوة على اجتهادى فى تعليم تلاميذ السنة الثانية ليكونوا قدوة لغيرهم فى محفوظاتهم المختارة بحسب عقولهم مع مراعاة نظافة خطوطهم وكراريسهم أباشر مع هذا تمرين ابراهيم ادريس وسالم الأمين أثناء تدريسهم وبعد فراغهم مع المحافظة على معاينة غذاء تلاميذ الداخلية كمية ونوعا وزمنا وأدبا حتى أحسست بالفتور ولكن الله سلم ـ ولله الحمد ـ وأكبر سبب فى تعبى هذا هو تغيير ابنتى السارة بدرى المتمرنه

على ادارة المنازل بفاطمة ابنتى التى لم يسبق أن عملت فى منزل قط لأنى طلبت اقالتها فى أوائل يناير سنة ١٩٣١ من المس ايفنس بسبب نقلها من أم درمان لمدرسة برى واستلمت ادارة الداخلية بكتاب الأحفاد برفاعه •

قفلنا المدرسة يوم الثلاثاء ثلاثين يونيو سنة ١٩٣١ للعطله الصيفية وتوجهت لأمدرمان حيث وجدت فكرة نقل كتاب الأحفاد الى أمدرمان تبرز على لسان الكثير ممن أقابلهم وفى مقدمتهم السيد الجليل والسيد اسماعيل الأزهرى الكبير ومحمد أحمد البرير ومحمد صالح الشنقيطى ومحمد على شوقى اللذين آلحا بقوة حتى أمسك كل واحد منهما برجل من رجلى فوعدتهم بنقلها الى أمدرمان بشرطين : الأول أن يعد لها منزل لائق للمدرسة صحيا تستمر فيه حتى يبنى لها مكان ملكا لها • والثانى معرفتى لعدد التلاميذ الذين يلحقون بها • فوافقوا على ذلك ووعدتهم بنقلها فى يناير سنة ١٩٣٢ •

فى يوم ٢٧ فبراير أخذت تلاميذ الداخلية ومعنا أحمد أفندى حسون وفسحتهم فى جنينة الشريف بركات على مسافة نصف ساعة بالعربية ومكثنا فيها حتى الساعة ٥ مساء وفطرنا وتغذينا فى ظلال الأشجار الفارهة على شاطىء النيل ومرح الأولاد بين أشجار الفواكه غير ممنوعين من جنى ما تشتهيه أنفسهم من الفاكهة فأصبحوا نشيطين فى أجسامهم مرحين فى أفكارهم فتذكرت حرماننا فى صغرنا من مثل هذه الفسح ولو فى شاطىء نيل رفاعه •

بعد قفل المدرسة للعطلة الصيفية فتحتها يوم ٥ سبتمبر ولم يحضر أولاد السادة آل المهدى • ثم ورد لى تلغراف من السيد الجليل يطلب حضورى لسيادته بأمدرمان فى نفس اليوم فودعت ضيفىَّ أحمد أبا دقن وعمر عطية اللذين دعوتهما للعشاء وأخبرتهما انى سآتيهما الساعة ٨ مساء اليوم نفسه وركبت القطار •

قابلت السيد الساعة ٤ فأذكر مما قاله لى أن عبيد عبد النور يحبك لأنه قال لى حجزك لأولادك يؤثر على عمى بابكر بدرى أدبيا فتحركت فى حمية الرباطاب وقلت لسيادته بحدة أنا غير معروف فى بلدتى بغير أولادك ؟ والله العظيم ما آخذهم مرة أخرى لرفاعة للتعليم ــ فتبسم سيادته وقال لى : « أنا ما فكرت فى أنى أخاطب من » ثم قال : يا شيخ بابكر أولادنا كانوا جاهلين

فأتونا متعلمين مؤدبين نظيفى الأجساد والثياب لا تحرمهم الفائدة وعاقبنى بما شئت فتخاذلت أمام هذا التواضع فى تلك الرفعة التى يتمتع بها روحا والتى لم تطفى بها نفسه العظيمة • فشكرته واعتذرت له مما قلت ورضيت بأخذى للأولاد وأخبرت سيادته بضيفىّ ووعدى لهما فطلب سائق عربته وأمر باب الله بتجهيز الأولاد تم كل ذلك وودعنا سيادته وفى الساعة ٨ وصلت رفاعه وتعشيت مع ضيفىّ الكريمين •

أنظر يا قارئى لأخلاق السيد عبد الرحمن المهدى المستمدة من الآداب الاسلاميه الحقة واقتد بها •

بناء على رغبة السيد عبد الرحمن والحاج أبنائى محمد على شوفى ومحمد صالح الشنقيطى وصديقى السيد اسماعيل الأزهرى المفتى والشيخ محمد أحمد البرير قررت نقل الأحفاد من رفاعه الى أمدرمان ـ وفى أول يناير سنة ١٩٣٢ توجهت لمقابلة برمبل بك مفتش أم درمان فاستأذنته فى نقلها فصرح لى مسرورا بذلك ووعدنى بمد يد المساعدة فى كل ما يلزم للمدرسة سألنى عن المنزل الذى تكون به المدرسة فأريته منزل عبيد عبد النور الذى اشتراه من الخواجه سليمان عانى تاجر الجلود فأمر بترميم ما رآه جنابه لازما فرممنا كل ما أشار اليه فكلف ثمانية عشر جنيها دفعتها منى وأراد السيد عبد الرحمن المهدى أن يساعدنى بعشرة جنيهات فرفضتها وعرفت سيادته أنى آمل فيه أضعاف أضعاف هذا المبلغ فى بناء دار المدرسة والأيام بيننا •

نقل الأحفاد لأمدرمان

بعد الترميم فتحت المدرسة كتابا بثلاث فرق من أمدرمان والفرقة الرابعة تسعة تلاميذ نقلوا من رفاعه فى داخلية بمنزل لنا تحت اشراف ابنتى السارة . وزاد عدد المدرسين غير أنا وابراهيم ادريس بيوسف بدرى وابراهيم قاسم اللذين تخرجا من قسم المعلمين بكلية غردون وقرر والدهما ارسالهما لبيروت فى شهر أكتوبر سنة ١٩٣٢ وقد ألحق غيرهما من المعلمين أحمد أفندى عمر الشيخ . عبد الرحيم أفندى نمر . عبد الباقى أفندى ابراهيم محيسى . والشيخ مالك ابراهيم . وبعد مكثه ثلاثة شهور زار برميل بك المدرسة فوجده نائما بالفصل وفصله من المدرسة . الشيخ عبد الله بابكر متمم قسم العرفاء . عبد السلام أفندى الخضر . وأكبرهم مرتبا ابراهيم أفندى قاسم الذى يتقاضى جنيهين شهريا مع أن والده غنى ولكنه متبرعا لمساعدتى . والباقون منهم يوسف بدرى لم يتقاضى مرتبا والباقون لا يتجاوز مرتب أحدهم الجنيه ونصف . ومما ساعد حقا لوجود المعلمين بهذه المرتبات الزهيدة حادثة اضراب تلاميذ الكلية آخر سنة ١٩٣١ حينما صدر قانون المرتبات الجديد لمتخرجى الكلية بخمس جنيهات ونصف بدلا من ثمانى جنيهات المعمول به سابقا من ناحية واحجام الحكومة عن تعيينهم بمصالحها بأكثر من الخمسة جنيهات ونصف من ناحية أخرى .

وهؤلاء أسماء التلاميذ الذين فتحت عليهم المدرسة بأمدرمان .

الفرقة الرابعة : ابراهيم مجذوب . فؤاد على بدر الدين . الصادق أحمد بدرى . كمال ابراهيم بدرى . نور الدائم محمد سعيد العباسى (مجاز) . كمال السيد عبد الله . الهادى السيد عبد الرحمن . وألحق بهم من أمدرمان منير محمد على شوقى . مرتضى الشنقيطى وعبد الرحمن امبابى أفندى . توفيق أحمد ابراهيم . الأمين الصديق عيسى . منصور سوركتى . مبارك ميرغنى محمد . وفى السنة الثالثة مهدى السيد يعقوب الحلو . عبد الرحمن عوض الكريم أبشر . شفيق محمد على شوقى . صلاح موسى شوقى . عبد

الحليم موسى شوقى • كامل صادق شوقى • كمال الدين محمد أحمد البرير • عبده معنى • محمد ابراهيم الطاش • على فؤاد • ميرغنى طه القبانى • مرتضى الشيخ أحمد أبو القاسم • عثمان خالد شيخ الدين • يوسف عبيد عبد النور • اسحق السيد محمد شريف • صلاح محمد مالك • عادل أمير طه على عبد المجيد • كمال عوض السيد • وفى السنة الثانية : حسن محمد ابراهيم سلامة • حسن عبد العزيز • مدينة بدرى ابنتى المولودة يوم ١٩٢٣/٦/٦ وأخرجها أخوها أحمد بدرى فى سنة ١٩٣٣ من المدرسة وألحقها بمدرسة البنات •

يوسف حسن أبو العلا • بابكر ابراهيم الطاش • محمد عبيد عبد النور • محمد درويش • عمر طه القبانى • رشيد أحمد جلى • محمد المهدى عبد الرحمن • شريف السيد حسين • حسن ربيع • بهاء الدين السيد الفاضل المهدى • عصمت معنى • زين العابدين محمود أبو غالب • عباس عبد اللطيف السيد • والسنة الأولى : فضلى صادق شوقى • فؤاد الأمين العجبانى • معتصم البرير • شكاك محمد ميرغنى • زين العابدين عوض الكريم أبشر • محمود على حامد البدوى • أحمد السيد ابراهيم التيجانى (مجانا) • خالد محمد على • النابلسى سنهورى • وقد قررنا المصروفات للأغنياء برابعة خمسين قرشا شهريا ، وبثالثة أربعين قرشا ، وبثانية ثلاثون قرشا ، وبأولى عشرون قرشا ، والتخفيض للباقين بحسب حالة الوالد ونباهة الولد • أما من كانوا بالداخلية وهم ستة تلاميذ مرتب الواحد جنيه مصرى فى الشهر للأكل ومصروفات المدرسة •

هذه المصروفات على ارتفاع نسبتها على مصاريف كتاتيب الحكومة لا تكفى مصروفات المدرسة وفى كل شهر أصرف عليها من معاشى البسيط الذى هو ١٣ جنيها و ٣٥٠ مليما ما لا يقل عن جنيهين ولا يزيد عن ستة جنيهات شهريا تبعا لطلبنا للأدوات وما نصرفه على الماء والنور والترميمات كمية وقيمة •

وتوالت زيارة برمبل بك لمدرسة الأحفاد لدرجة أن حسنا ظننا بأكبر أمل لمساعدته لهذه المؤسسة مما دعانا نفكر فيما نقدمه من عبارة الشكر بالفعل فاخترت أن نجعل سعادته رئيسا لحفلة افتتاح المدرسة افتتاحا رسميا وفعلا

طلبنا من الشيخ عبد الله البنا حينما كان مدرسا ببورتسودان أن يجعل لنا أبياتا تتضمن اسم برمبل بك وشكرانه لينشدها التلاميذ فى يوم الاحتفال المزمع . فتكرم الشيخ مشكورا وأرسل لنا هذه الأبيات مسرعا ومعها كتاب لطيف يتنبأ فيه للأحفاد بالنجاح متفائلا لها بحالة نجاح كتاب رفاعه الذى هو من تلاميذه :

برمبل بك هاك الشكر منا ... عن الأحفاد مرفوعا مثنى
عمرت الدار اصلاحا وأمنا ... فمثلك من بسيرته يغنى
برمبل بك أمدرمان فيها ... شواهد من فعالك تزدهيها
صنيعك فى شوارعها وجيها ... وسورك فى مقابرها اطمأنا
برمبل بك للأحفاد ظن ... بفتحك دارهم أن يطمئنوا
فشكرا خالصا ما فيه من ... وحقا شكر من أحيا ومنا
برمبل بك فالعلم المفيد ... هو المنهاج يسلكه الحفيد
فساعد والمروءة لا تبيد ... ضمنا حسن سعيك فأتمنا
برمبل بك نحن بنو الوفاء ... وعشاق المروءة والسخاء
كذاك العرب أوفى الأوفياء ... فأحسن ثم قل ما شئت عنا
لهذا الجمع تلقاه السلامه ... من الأحفاد موفور انكرامه
سرورهم وبهجتنا علامه ... على أنا معا بكم استعنا
فما زالت بهم وبنا البلاد ... تحف بها السعادة والرشاد
سنسعى والجهاد هو اجتهاد ... ضمنا أن نفوز به ضمنا

فعملنا الحفلة يوم ١٤/٣/٣٢ ودعونا لها من رجال المعارف المستر ونتر السكرتير والمستر وليمس مدير الكلية وعدد من أعيان وكبار الموظفين بأمدرمان .

أخذت رأى برميل بك مقدما فى شهر أكتوبر فى عزمى على جعل كتاب الأحفاد مدرسة وسطى من أول سنة ١٩٣٣ فوعدنى فضلا عن الموافقة بمساعدته لى بمصلحة المعارف فبدأت أفاوض سعادة المستر وينتر سكرتير المعارف مرة بعد أخرى كلما وجدت الفرصة سانحة فوعدنى سعادته بأنه سيرفع الأمر

للحاكم العام موصيا عليه وسيعزز وصيته بحسن شهادته فى لما يعلمه عنى حينما رآنى ناظرا لكتاب رفاعه فأخبرت برمبل بك الذى أظهر سروره وارتياحه مما شجعنى ويكبر أملى فى نجاح عملى اذ كان برمبل بك هو الحاكم بأمره فى أمدرمان • فأعددت تسعة من تلاميذى كى أقدمهم لامتحان اللجنة المعتاد ينعقد بمدرسة أمدرمان سنويا وفعلا نجح منهم ثمانية وسقط التاسع •

ولما علم رجال لجنة المدرسة الأهلية بحصولى على التصديق لى بفتح مدرسة وسطى بالأحفاد وهم من خيرة سكان أمدرمان ما بين تاجر غنى ومستخدم كبير اتفقوا على مقاومتهم هذا المشروع حتى لا يبرز فى الخارج فيضاهى مدرستهم التى قامت بمجموعة آراء متفقة وفى حالة نهضة دينية أثارها اشتراط المدرسة الامريكانية بفرضهم تعليم من يلتحقون بها من التلاميذ الديانة المسيحية علما وصلوات حيث ألزمتهم مصلحة المعارف بنشر تعاليمهم وشرط فرضها على التلاميذ المسلمين فى نشرة واضحة تعطى لكل ولد مسلم عندهم نسخة يوصلها لولى أمره وأن يلصق من هذه النشرة بجدران المحلات ذات المجتمعات كالسوق والمكاتب والجوامع والمنازل الظاهرة المكان • فلما رآها المسلمون هبوا بحركة عدائية ضدها ومن أول من فكروا فى انشاء مدرسة أهلية تضم التلاميذ الذين لا يقبل ولاة أمورهم بقاءهم بمدرسة الامريكان هو السيد اسماعيل الأزهرى المفتى آنذاك والشيخ أحمد حسن عبد المنعم الذى تبرع بمنزله الذى هو بجوار سوق أمدرمان لتفتح فيه المدرسة الأهلية • فقاد السيد اسماعيل الأزهرى الحركة وافتتحت قائمة الاكتتاب بدأها السيد عبد الرحمن ثم السيد على الميرغنى وتوالت الاكتتابات بحماس دينى شمل البلاد وافتتحت المدرسة فى الحال كاملة الفصول من السنة الأولى الى السنة الرابعة • وعين لها الشيخ أحمد العاقب ناظرا • والشيخ محمد الأمين اسماعيل • محمد حمزة • محمد الخاتم عثمان • محمود أحمد الشوافعة • هؤلاء الرجال هم الذين أبرزوا أول مدرسة أهلية فى سنة ١٩٢٧ بتلك الغيرة وذلك الحماس رغم حرص حكومة السودان على التدريج البطىء فى التعليم ليكون بقدر طلب المصالح الحكومية لخوفها من عطالة المتعلمين بألا يجدوا عملا فيتعبونها وربما ثاروا فى وجهها •

هؤلاء الرجال العظام انبروا أيضا يقاومون مدرسة الأحفاد فى تحويلها الى وسطى ومما أكد لى ذلك أن الأستاذ حسن أفندى الظاهر ناظر مدرسة أمدرمان الوسطى وهو من أعضاء المدرسة الأهلية الفنيين درج أسماء تلاميذى الذين مروا فى الامتحان ضمن المقبولين بمدرسته وحضرته من أساطين لجنة المدرسة الأهلية الذين بلغنى من أحدهم أنهم فى احدى جلساتهم قرروا أخذ كل تلاميذ كتاب الأحفاد بمدرسة أمدرمان الوسطى ليطمئنوا ولاة أمورهم على مستقبلهم ولذلك لا أجد تلاميذى لأجعلهم نواة لفصل أولى وسطى فيتأجل فتح الوسطى بالأحفاد سنة أخرى يمكنهم الزمن فيها من الاتصال بالحكومة للغو التصديق الذى حصلت عليه منها .

وقد توصلوا لضم رأى صاحبنا برمبل بك لتأييدهم فى هذه المقاومة ولم يذكروا أن الله اذا أراد أمرا هيأ أسبابه مهما كثر العدو وقوى أفراده .

فتح القسم الابتدائى

حضرت بمدرسة أمدرمان فى يوم انتخاب المستجدين بها فوجدت أسماء تلاميذى الثمانية ضمن المقبولين بالكشف وكان مندوب المعارف لقبولهم صديقنا المستر اسكوت . فبدأت أنازع حسن أفندى الظاهر فى قبولهم بمدرسته حتى تنبه المستر اسكوت وعارض فى قبولهم بمدرسة أمدرمان . فرد عليه حسن الظاهر بأن ولاة أمورهم يرغبون فى الحاقهم هنا . فقلت أنا ولى أمر ستة منهم ولم أطلب منك هذا . فقال لى : محمد صالح الشنقيطى ومحمد على شوقى طلبا منى الحلق ولديهما هنا . فقلت : اذا أشطب أسماء الباقين واقبل الاثنين . وهنا قال المستر اسكوت كلمته الحاسمة وهى : نحن لا نقبل أحدا من تلاميذه حيث صدقنا له لفتح مدرسة وسطى . فقال حسن أفندى : نشطب أسماء الستة ونأخذ رأى شنقيطى وشوقى فى ولديهما . فقلت لا مانع لاعتقادى أنهما لا يخذلانى وفى الحال توجهت لشنقيطى بضبطية أمدرمان فلما أخبرته بما حصل قال لى : هذا الولد أخى لغير أمى وله أشقاء وهم مجمعون على الحاقه بمدرسة أمدرمان الوسطى . قلت واذا وافق محمد على شوقى على الحاق أولاده بالأحفاد ؟ قال انى أحمل على اخوانى ببقاء مرتضى بالأحفاد .

ورجعت الى مدرسة أم درمان وخاطبت شوقى بالتلفون وسألته أين يحب أن يلحق ولده بمدرسة الأحفاد الوسطى أم بوسطى أمدرمان . فقال بالأحفاد . قلت له خبر الناظر . وأعطيت حسن أفندى السماعة وشطب اسم منير ثم طلبت المرحوم امبابى أفندى فقال امهلنى ليوم السبت وكان ذلك يوم الخميس . فقلت لا يمكن . الآن تخبرنى . فطلب محمد على شوقى بالتليفون وسأله أين اعتمد درس منير للوسطى فقال كلمته التى أحفظ جميله فيها (بالأحفاد طبعا) فرد على امبابى أفندى (بالأحفاد) فشطب حضرة الناظر اسمه . وفى الحال طلبت محمد على شوقى وشكرته وطلبت منه أن يخبر شنقيطى بما حصل . فأخبره وهو بدوره ــ الشنقيطى ــ أخبر حسن أفندى بالحاق ابنه مرتضى بالأحفاد . وشكرت جناب المستر اسكوت واعتذرت لحسن أفندى الظاهر وخرجت . هذه أول عقباتى التى اجتزتها وهى كثيرة كما ستأتى .

فتحنا فصل السنة الأولى وهى الأولى لمدرسة الأحفاد يوم ١٢/١/١٩٣٣ على بركة الله تعالى وكان عدد الطلبة سبعة عشر تلميذا ٠ وهاك أسماءهم : ثابت حسن ثابت (مجانا) ٠ السيد عبد الله عمر ٠ الرشيد أحمد البرير ولم يتمم ٠ عبد الرحمن امبابى ٠ محمد بدرى ٠ الصادق بدرى ٠ موسى بدرى ٠ كمال الدين عبد الله الفاضل ٠ فؤاد على بدر الدين ٠ ابراهيم مجذوب مالك ٠ منير شوقى ٠ الهادى السيد عبد الرحمن المهدى ٠ مهدى حسن شريف ٠ أحمد الطيب البلولة ٠ سعيد محمد الطيب هاشم ٠ عبد المجيد محمد الطيب هاشم ٠ ابراهيم شبيكه ٠ نجيب أيوب ٠ محجوب محمد زكى ٠ دخل الامتحان الثانوى منهم سبعة عشر وأخذ منهم بالكلية سبعة وهنأنى المستر وليمس مدير الكلية بحسن النتيجة الباهرة ٠

قررت المصاريف السنوية للوسطى ثمان جنيهات لأن المدرسة الأهلية مصاريفها ستة جنيهات ولم يزل الفرق بيننا وبينها الى اليوم فى المصاريف جنيهين لأنها غنية ونحن فقراء ٠

لما رأيت أن ابراهيم قاسم ويوسف بدرى سافرا لبيروت لطلب العلم وأن المعلمين الذين معنا لم يحصل أحدهم على شهادة المعلمين من المعارف وأن الفصل اذا بدأ ضعيفا سيستمر سنين عديدة ضعيفا واذا سقطت أول دفعة تتقدم للثانوى تنحل وتضعف على الأقل عقيدة ولاة أمور الطلبة فى تعليم مدرسة الأحفاد ٠ فتوجهت للمعارف وطلبت منها معلما متخصصا فى التربية ولحسن الحظ وجدت عندهم حسن أفندى أحمد زائدا فعينوه لنا وحضرته نعم المعلم مادة وطريقة وأدبا ولكنهم حملونا مرتبه الذى هو ست وتسعون جنيها سنويا فأرهق ماليتنا فجعلت أفكر فى طريقة أجمع به مالا يحسن أثاثات المدرسة التى اشتريتها من رفاعه وهى قديمة كالتخت للجلوس والطباشير والكراسى ٠

تمثيل رواية تاجوج

جاءنى جماعة نادى الزهراء الرياضى وطلبوا منى طلب تصريح لهم باسم مدرسة الأحفاد من المركز بتمثيل رواية مصرع تاجوج المرأة الحمرابية الشهيرة بجمالها وما جرى بينها وبين زوجها محلق فطلبت منهم أولا عرضها على لأنظر تمثيلهم لها ومتى اقتنعت بكمالها واستحقاق عرضها على الجمهور طلبت لهم التصديق • فلما عرضوها على وجدتها ناقصة حتى فى هيكلها فضلا عن اخراجها

فأخذنا فى اصلاحها كل ليلة بدار مدرسة الأحفاد وكلما وجدت فيها فجوة بين حادثتين أكتب لهم ما يسد المعنى فى هذه الفجوة نثرا فينظمه الشيخ خالد عبد الرحمن نظما ينسجم تماما فى مكانه حتى لاقت للعرض فى ٣٩ ليلة • فاشترطوا لى أول مرة أن يكون للأحفاد الثلثان ولناديهم الثلث فى أول تمثيل وبعد ذلك تقسم الايرادات بالمناصفة • فتحملت كل قيمة الأدوات اللازمة للتمثيل فكلفتنى تسعة جنيهات وخمسمائة مليم من ملابس وغيرها لتاجوج

ورفيقاتها وشعر رؤوس ودقن وسيوف وحراب للرجال • فلما خرج التصريح وطبعت التذاكر بدءوا فى الطمع وجعلوا أمين الصندوق منهم والمصروفات بيدهم وكلفونى بتصريف أكثر التذاكر خصوصا ذات الخمسين والثلاثين قرش فمثلت الرواية يوما بنادى الخريجين بأم درمان الذى أخذ منا سبعة جنيهات أجرة المسرح وقيمة النور وأجرة كراسى وكنبات • وقد ضاعت منى فى تلك الليلة سجادة عظيمة فلما انتهى التمثيل لم نحصل على فائدة تقدبة أكثر من اثنى عشر جنيها لأن شركائى جعلوا ما تحصل بيدهم مما صرف من التذاكر بعد خصم المصروفات نصيبهم كاملا وما بقى أعطونى اياه واستحوذوا على أدوات

التمثيل كلها وبعد أيام توجهوا للمركز وسجلوا الرواية باسم ناديهم ثم جاءونى يساومونى فى ثمن أدوات التمثيل بأن أتنازل عن بعض ثمنها نظير ما أستهلك منها فى التمثيل فقلت لهم خذوها بلا ثمن فشكرونى وعزمت أن لا أشترك فى تمثيل بعدها •

ومما أذكره فى أثناء مرورى على الخرطوم لتصريف التذاكر الكبيرة القيمة

أن زرت الشيخ أحمد السيد الفيل وهو مفتى السودان آنذاك وفى أشتداد الحزبية بينه وبين محمد على شوقى حتى أطلقوا عليهما شوقى وفيلى وصفان للمتحزبين فلما قدمت له التذكرة ذات الخمسين قرشا ليقبلها بقيمتها قال لى أنى أو نحن كنا نتمنى أن تأتى مدرستك فى غير هذا الظرف فنساعدها مساعدة قيمة • فأخذت تذكرتى من الكرسى الذى وضعتها عليه ونهضت قائما فأجلسنى لأشرب قهوة أو باردا فاعتذرت وخرجت وشعرت بأنى ومدرسة الأحفاد زججنا فى الحزبية التى يعلم الله انى أكرهها •

وأكد لى ذلك ما حصل من الشيخ أحمد أبو دقن بمنزله حيث أنه دعانى لتناول غداء خصصه للشيخ مجذوب مالك • فبعد تناول الطعام وتناول الكلام قلت لفضيلته يا شيخ أحمد اذا فكرت فى عمل لجنة لمدرسة الأحفاد هل يمكن أن تشرفها بقبولك لعضويتها أو رئاستها • فأجابنى بجفاف بقوله « أنا أكره مدرستك فكيف أؤيدها بعضويتى أو رئاستى للجنتها • فضحكت وقلت له لماذا تكره مدرسة الأحفاد • قال بصراحة لأنها أسسها انجليزى كبير ليميت بها المدرسة الأهلية ثم يلغى مدرسة الأحفاد فيميت التعليم الأهلى بالسودان • قلت كيف تموت المدرسة الأهلية وهى غنية بمال البلاد وعطفها مع قلة ما تصرف وكثرة ايرادها من مصاريف التلاميذ ومحصول الروايات والتبرعات • قال هذا ماعلمته ممن أثق بهم •

انتقلت فى الحال للغرفة الثانية من ديوانه وطلبت الشيخ أبا شامة عبد المحمود وسألته هل تعرف يامولانا سبب تجبيه الشيخ أبى دقن لى وأنا بمنزله ولم تجف يدى من طعامه • قال نعم ان الشيخ أبا دقن بلغه كما بلغ غيره أنك يا شيخ بابكر لا تطلب من السيد على الميرغنى مساعدة مالية ولا أدبية لمدرستك والشيخ أبو دقن من أساطين مجلس السيد على الميرغنى بالقرابة والمبدأ ان لم يكن بالعقيدة • ورأيى يا بابكر أن تمضى للسيد على الميرغنى وتطلب منه مساعدته لمدرستك حتى تمحى أو تضعف على الأقل هذا الاستياء عند كل من ينتمى لحزب الفيل والعقيدة الختمية وأنت فى تدريج مدرستك فلا تكثر من الأعداء وتعطيهم عذرا فى مقاومة هذه المؤسسة التى ترجو لها النجاح فتفيد البلاد بمجهودك المعروف حينما كنت شابا قليل التجربة بكتاب رفاعه الذى ضرب به المثل نجاحا فقبلت نصيحته •

وتوجهت فى الحال الى منزل السيد على بالخرطوم وخرج لى فى الحال وقمت له وقبلت يده فأجلسنى على كرسى وجىء لى فنجان مغلى من القرفة • وشرعت بقولى : هلا سمعت يا سيد بمدرسة الأحفاد قال لم أسمع بها • لم تسمع بها ؟ قال لم أسمع بها منك • قلت حقك على •

قات : سمعت الآن ان سيدى قد بلغه عنى انى لا أحتاج لمساعدته فى هذه المدرسة فجئت لأنفى ما قيل عنى وأعترف أمام السيد أنى أحتاج لمساعدته بالمال والجاه والرأى والدعوة الصالحة • فابتسم وقال انى أساعدك بالأربعة التى قلتها فشكرته وانصرفت فمشى سيادته معى الى الباب فودعته بتقبيلى يده •

ثم ان محمد أحمد البرير الذى فى مقدمة المطالبين بنقل المدرسة لامدرمان والذى تربطنا به صداقة قديمة وأحمد جلى والشيخ أبا شامة والشيخ أحمد أبا دقن وعثمان حسن خاطر آخرجوا أولادهم من المدرسة فى أسبوع واحد مما لفت نظرى للبحث عن السبب فعلمت أنه قد عقد مجلس بالمدرسة الأهلية يدعون كل من له صلة بهم بمنع الحاق ولده بمدرسة الأحفاد • فوجهت وجهتى للبحث عن من أتأكد من صداقتهم من أعضاء اللجنة لأستعين برأيهم فلقيت ميرغنى حمزه الذى أعرف والده وعمه من سنة ٣٠٧ عربى بمنزل محمد أحمد البرير فعرضت عليه زيارتى له بمنزله لأنفرد به فوعدنى بزمن عينه لى فلما جئته لم آجده فكتبت لسكرتير لجنة المدرسة الأهلية خطابا طلبت فيه توحيد اشراف لجنتهم على أن يبنوا لمدرسة الأحفاد دارا مناسبة على حسابهم أو باكتتاب لهذا الغرض • فردوا على : اذا كنت ترغب فى مساعدتنا لك فالحق تلاميذ ومعلم المدرسة الوسطى حسن أفندى أحمد بالمدرسة الأهلية واقصر مدرستك على أن تكون كتابا يمد المدرسة الأهلية كغيره من الكتاتيب وكتبوا فى الوقت نفسه للسيد عبد الرحمن فى صيغة تشاب بالتهديد وطلبوا منه ألا يساعدنى • ومما جاء فى بعض عباراتهم « لولا مساعدتك للشيخ بابكر بدرى ما كان يجرؤ على القدوم لمدرسة وسطى • فرد سيادته عليهم بعدم استطاعته لاجابة طلبهم الذى يشتم منه عدم رغبتهم فى اتساع التعليم الأهلى من العاملين الأكفاء • ثم طلبنى وشجعنى وشجعنى على السير وضمن لى مساعدتى فى بناء دار للمدرسة مهما كلفتنى •

تكوين مجلس الامناء :

ومنذ ذلك الحين فكرت فى عمل لجنة للمدرسة لتقوى ساعدي وتنفيذ غرضي وأتذكر أول من قابلته وعرضت عليه قبوله مساعدتى بعضويته فى لجنة مدرسة الأحفاد هو السيد مصطفى أبو العلا الذى أجابنى بارتياح ووعدنى بالمساعدة ماديا وبدنيا وقد أنجز حر ما وعد • فكتبت اسمه فى مذكرتى وتشكلت اللجنة فى أسبوعها من المذكورين أدناه مع حفظ الألقاب :

الفنيون : عبيد عبد النور • ابراهيم أحمد • عثمان ميرغنى •

الاقتصاديون : السيد مصطفى أبو العلا • عثمان صالح • السيد عبد المنعم محمد • دفع الله شبيكة •

الاداريون : محمد صالح الشنقيطى • صديق عيسى • أحمد عقيل • بابكر بدرى الذى يكون مباشرا وحلقة اتصال بين مصلحة المعارف ومدرسة الأحفاد فيما يلزم رفعه لمصلحة المدرسة والمسؤول عن تنفيذ طلبات المصلحة وتعليماتها فنيا واداريا • وهو المسؤول للجنة المدرسة عن تحصيل مصروفات التلاميذ ووضعها فى البنك كطلب اللجنة بنظام يومي واضح فى دفاتر المدرسة • وللجنة الحق فى نظر دفاتر المدرسة ماليا واداريا مجموعة أو فرادى وعقدت أول جلساتها يوم ١٢/٦/١٩٣٣ بمنزل بابكر بدرى ووزعت فيها الأعمال على الأمناء •

السكرتارية لمحمد صالح الشنقيطى • وسحب النقود من البنك باسم بابكر بدري وعثمان صالح أما ارسالها للبنك فيكون بامضاء الشيخ بابكر بدري حينما يحصلها كما تقدم •

بسفر يوسف بدري لبيروت أصبح مكانه شاغرا فملأناه بتوصية منه وبوجوده قبل سفره بزميلهم عبد الرحيم نمر الذى أتم السنة الثالثة قسم المعلمين وتحول لقسم المحاسبين فى سنته الرابعة فعيناه فى سبتمبر سنة ١٩٣٢ واستمر معنا الى أوائل سنة ١٩٣٣ وعند عودة يوسف بالأجازة من بيروت ووجد عبد الرحيم قد تركنا صار يفكر فى خلف له فأرسل لنا من حلفا وهو متوجها

لبيروت فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ خطابا أن نعين مكى المنا وهو بأم روابة بدل حسن أحمد الحاج فانه يضمن سداد فراغه بمكى اللنا ان لم يزد عليه .

((اخلاء منزل عبيد عبد النور))

لما انتهت سنة ١٩٣٣ طلب منا عبيد أفندى عبد النور اخلاء منزله ليشرع فى بنائه وبما أننا قضينا به سنين لم يسعنا الا أن أخليناه وأجرنا منزلا منزويا من أولاد عيجى بمبلغ خمسين قرشا ونقلنا بعد أن أخذنا التسريح وفتحنا يوم ١٩٣٤/١/٩ فقيض الله لنا مكى المنا الذى كان نعم الخلف لنعم السلف لأنه متخرج من قسم المهندسين أول فرقته وكان منتخبا لرئاسة الكلية حتى حصل الاضراب العام فى آخر سنة ١٩٣١ ولذا لما بلغ سعادة المستر وليمس مدير الكلية فى ذلك الوقت خبر قبولى لمكى المنا بمدرسة الأحفاد عاتبنى فى تعيينه مدرسا . قال لى سعادته ان مكى المنا لم يساعدنا وهو رئيس التلامذة . قلت لسعادته انى ما قبلته الا بناء على شهادتك فيه لأنك انتخبته رئيسا لعموم اخوانه . فقال ولكنه كان يجب عليه مساعدتنا زمن الاضراب عند اخوانه . قلت : ألم يبلغك أن خمسة من اخوانه أخذوا جوالا وحبلا ومصحفا وطلبوا مكى المنا عند الشاطىء وأقسموا له على المصحف أنهم سيدخلونه فى هذا الجوال ويربطوا هذا الجوال بهذا الحبل ويرمونه فى النهر . أو يحلف لهم على المصحف أنه لا يفشى لهم سرا ولا يتجسس عليهم بكلمة يسمعها أو فعلة ينظرها . فحلف لهم على المصحف حتى نجا منهم فقال سعادة المستر وليمس : لم أسمع بهذا وانه لمعذور . فرضى سعادته عنه .

وفى يوم ١٣ يناير اجتمعت اللجنة بمنزلنا وقررت مباشرة عبيد عبد النور لأعمال السكرتارية وأن يكتب خطابا للأشراف الثلاثة لاخبار كل منهم بتشكيل مجلس الأمناء لمدرسة الأحفاد وأن يكتب خطاب شكر عنهم للثرى ابراهيم أفندى عامر شكرانا على هبته القيمة للمدرسة .

((فكرة بناء المدرسة))

صرت أفكر بعد ذلك كيف أبني للمدرسة دارا وقد ظهر لها أعداء كثيرون متنوعون بعضهم يكتبون ضدها فى الجرائد المقالات المنفرة لولاة الأمور عنها وبعضهم ينشر عنها شفهيا فى المجالس أن التلاميذ الذين يتخرجون من مدرسة الأحفاد من رابعة رسطى لا يقبلون بالثانوى فيجيئنى بعض المستائين لهـذه التقولات ويطلبون منى أن أكتب فى الجرائد ردا على هذه التقولات التى ليس لها أساس تقوم عليه • فأرد عليهم بأننا شرعنا فى عمل فان نحن نجحنا فيه فيكف بنجاحنا ردا واضحا مبرهنا على كذبهم • واذا — لا سامح الله — وفشلنا فلا داعى لكتابتنا فى الصحف • وأقول لبعضهم هؤلاء الذين يكتبون ضدنا هم من أولادنا فلندعهم يتعلمون فينا الكتابة والانتقاد وربما يأتى وقت نحتاج فيـه لأقلامهم تذب عنا • ومن أشد ما كانوا يكتبون ضد المدرسة هو خضر أفندى حمد وما كنت أعرف شخصه حتى زرت مريضا بالاسبتالية الملكية يومافاجتمعت بمن أعرفه فوقف معى وتقدم عنه من كان معه • فلما أبطأ الواقف معى تحرك صاحبه وناداه « أصبر يا خضر حمد » قلت هذا خضر حمد • قال نعم • قلت تعال يا خضرأفندى حمد وكان مؤدبا فلما وصلنى سلمت عليه •• وبعد التحية قلت له مالك تزعجنى بكتاباتك فى ملتقى النهرين • وكانت الجريدة الثانيـة بالبلاد اذ الأولى هى جريدة الحضارة التى أسستها الحـكومة وكان يكتب بامضاء اسم مستعار « طبجى » تحت عنوان فى الهـدف • قال لى انت يا عم بابكر تريد أن تبنى مجدك على أكتاف الناس • قلت له يا ولدى اخرج الانبياء والمرسلين من جميع من اكتسبوا مجدا هل تجد بينهم من لم يبن مجـده على أكتاف غيره ؟ وكان الخضر نبيها عاقلا • أطرق قليلا ثم قال والله صدقت يا عم بابكر وأنا من هذه الساعة كسرت قلمى لا يكتب ضدك حتى ولو كلمة واحدة• فشكرته وافترقنا •

قلت فكرت فى الطريقة التى أبنى بها دارا للمدرسة تطمئن بها ولاتتحول عنها بعد • ففكرت فى أن أقابل صديقى البكباشى نور أفنـدى نائب المفتش

بمنزله لعلى أستعين به على لجنة المدرسة الأهلية مرة أخرى لعلى أنجح فى ضم مدرسة الأحفاد ولجنتها فتتكون وحدة تضم المدرستين حتي لا يتصاربان أو على الأقل يختلفان فى المبدأ والرأى وان اتحدا فى المقصد • فلما وصلت منزله قيل لى انه قد خرج فجلست فى الشارع جلسة من يفكر فى أمر يشغل باله فاذا به يمر على فى طريقه للترام بالشاطىء فصحبته وأخبرته بغرضى فقال لى ما لم أتوقع حصوله منه قال : « اذا كان أحد عنده دكان وجاء آخر يجعل دكان بجانبه بنوع بضاعته ألم يجب على صاحب الدكان الأول أن يمنع هذا الجديد من جواره » فضحكت وقلت لجنابه اذا استطاع منعه • فقال لى بأنفه لم أعهدها فيه : انا اقدر امنعك • غضبت هنـــا وثارت نفسى وقلت يانور افنـدى انت تستطيع فى امدرمان أن تعمل وأنا لا أستطيع أن أعمل اذا (الحشاش يملأ شبكته) منا كالمثل • فضحك وقال لى نحن صديقان أكثر من عشرين سـنـة فلنحتفظ بصداقتنا وتترك الاعمال جانبا • قلت فليكن ذلك وركبنا الترام الى السـوق ونزلت منه وليس بصدرينا حقد وتوجه جنابه الى الضابطيه •

طلبت فى الحال لجنة المدرسة للاجتماع ويئست من لجنة المدرسة الاهلية واخبرت امناء المدرسة بما حصل وطلبت منهم أن يوافقون على أن نعمل اكتتاب فى المدن الثلاث وفى الخارج لنجمع مبلغا يكون جاهزا للبناء حتى تتقدم لبرمبل بك يطلب منـه قطعة أرض نبنى عليها دار المدرسة فوافقوا بالاجماع وذهبت للمستر بن مدير الأمن العام وطلبت منه الأذن لى بطبع خمسمائة دفتر فى كل دفتر خمسين ورقة من ذات القرشين • فاذن لى تحريريا فطلبت من صادق افنـدى شوقى مساعدتى بطبعها ضمن مطبوعاته بسرعة وثمن معتدل فتعهد بدلك وفعلا طبعت •

وذهبت الى برمبل بك الذى ما كنت أعلم أنه قد تنكر لى وطلبت منـه قطعة ارض مساحتها الف متر • قال لى فى أى مكان بعبارة جافة اضعفت املى فقلت لسعادته مكان ما تختاره ولو فى سوق القش • فقال لى بعبارة أشـد جفوة من الأول : « القش محجوز » قلت سعادتك تعرف الاراضى انحالية فاختر لى أى موضع تراه مناسبا • ففاجأنى بقوله : أنا اكره مدرستك • قلت لأى سبب تكرهها • قال • قال : البلد ليست فى حاجة اليها فهى زائدة • قلت : اذا

كانت زائدة لم تجد ما تأخذه وهى ملآى الآن • فكرر قوله انا لا أحبهـا •
قلت : سعادتك وافقتنى على نقلها من رفاعة ووعدتنى بالمساعدة ورأيت المنزل
الذى كانت به فأمرت بترميمه وانا نفذتها كأمرك • ثم قبلت سعادتك أن ترأس
حفلة فتحها رسميا وسكرتير المعارف ومدير الكلية ورئيس المفتشين كلهم
كضيوف وانشد التلاميذ القصيدة بأسمك • فكيف بعد هذا كله تقول لا أحبها
فاذا كنت سعادتك لا تعطينى الأرض مجانا فأعطنا اياها بنصف الثمن • قال لى
لا اعطيك ارضا ولو بكل الثمن فقلت ساعة أبرك من ساعة • كل هذه المحادثة
التى جرت بيننا والشيخ حسين الفيل يذهب لمكتب نور افندى حيث جمع من
كبار لجنة المدرسة الاهلية جالسون بها وكلما جاء منهم لبرمبل بك يمد للشيخ
حسين اذنه يسره بما يريده • فلما رأيت هذه الحالة قلت لا أمـل لى أذن
فالانجليزى لا يمد اذنه فى احداث لم يكن له غرض فى مدها •

فخرجت وذهبت للخرطوم فى الحال وشكوته للمستر وينترسكرتير المعارف
وقلت لسعادته حينما صدقتم بفتح مدرسة وسطى بأمدرمان كنتم تقصدون اننى
أبنى لها دارا فى أمدرمان • قلت برمبل بك قال لا أعطيك للمدرسة أرضـا •
قال لى سعادته أنا أخاطب برمبل بالتلفون فخرجت من عنده وذهبت للمستر
بنى فقال لى سعادة المستر بنى : انا اذهب له بمكتبه • فوفى كلاهما بماوعد غير
أن برمبل بك قام بالاجازة • وخلفه المستر تيلر المساعد والذى كنت أعرفه من
رفاعة • فزرته بمكتبه وجدت معه طلب قطعة الارض لبناء مدرسة الاحفـاد
فغضب وفاجأنى بقوله انت تحتقر المفتشين وتراه صغيرا فى عينيك فتذهب
للناس الكبار بالخرطوم فقلت له ياجناب المستر تيلر نحن تبادلنا مع بعضنا على
رأى المثل السودانى « الملح والملاح » فى منزلينا ولهما حق وانت كما اعرفك
حر الرأى والعقيدة وفيا فيما لا يمنعه القانون فبالله عليك لا تغرس فى موضوع
خيرى شوكة أعالج اخراجها عند المدير فاذا أخرجها يضع مكانها مسمارا اذا
حاولت اخراج هذا اسمار عند السكرتير يخرجه ويضع مكانه مسدسا يقضى
على أملى فى مشروع خيرى مفيد وجنابك تعرفنى وسمعت منى كما اعتقد أن
البريطانى مها كان صغيرا نافذ الكلمة •• فهدأت ثورته وقال لى بعد ان قام من
كرسيه ونظر فى الخرطة انا لا استطيع ان أعين لك مكانا الان الا بعد أن اقرأ

الورق • فلما جئته غدا كوعده قدم لى اسفه بانه لم يجـد توصية من برمبل ووعدنى بعد عودة برمبل من الأجازة سيساعدنى عنده ووعد الانجليزى دين عليه لأنه لا يعد بما لا يستطيع انجازه •

رجع برمبل بك حانقا شكوتى له ولكن المستر تيلر على ما أعتقد أثر عليه، وانقطعت عن مطالبتى المباشرة لسعادة البك الذى اصبح ينفعـل كلما رآنى • فذهب لمكتبه أمناء المدرسة فحينما عرضوا عليه طلبتهم قال لهم اين بابكر بدرى ؟ فرد عليه السيد عبد المنعم كما علمت : الشيخ بابكر بدرى فى المدرسة • فقال برمبل رادا عليه : لا بابكر بدرى راح (ذهب) الخرطوم يشتكينى • ثم سكت قليلا وقال لهم : اذا اعطيتكم أرض الحملة وهى فى أعظم مكان كما تعلمـون • هل عندكم مالا تبنون به المدرسة كما اريد ؟ فرد عليه السيد عبد المنعم : انـا ضامن لك أن نبنيها كالخرطة التى ترسمها لبنائها • فقال لهم قدمـوا طلبا • وحينما خرجوا من عنده قابلته فى الشارع آتيا من المدرسة فحييته فلم يرد على التحية وما زال حانقا على حتى علمت انه بلغه أحد كلاب صيده قولى • وحقا قلته فى مجلس مدح فيه برمبل بك بتعمير امدرمان واصلاحه الشوارع وغـير ذلك من عنايته بمالية البلدية وتحويل صرفها لامدرمان بدلا مما كانت تضاف لتحسين الخرطوم قلت فى ذلك المجلس للمتكلمين : حقا ما قلتم فيه • ولكن بقدر ما عمر المدينة فقد خصا رجالها بجبروته ليته لم يفعل هذا ولا ذاك •

ومر يوما بموكبه الذى يجمع فيه المأمور ومشائخ الارباع ومشـايخ الحارات التى يمر بها فوجدنى جالسا فى ظل منزلى • فلما حازانى قمت اجلالا له فصد بوجهه عنى ولم يقبل تحيتى ولو ببسمة • فلما مر كعادته فى المرة الثانية وكنت جالسا فى مكانى الأول لم أقف له فتعدانى قليلا ثم رجع مغضبا ونادانى باسمى فذهبت له وهو على حصانه فلم أحيه تحية العسكرى كما يريد • فقال أدفن هذه البير أى بيرى • قلت هذا لا يمكن • قال أنا ادفنها • قلت نعم تدفنها سعادتك يوم ان تضعنى فى قعرها وتردمها على • فاغتاظ لسماعه هذا منى امام حاشيته • فالتفت عنى وأمر من قال لى البك يطلب حضورك الساعة ٩ بمكتبه اليوم • فذهبت فقال لى : انا اقفل البير حالا • قلت نعم اذا وضعتنى فى اسفلها فنهرنى وضرب مكتبه • فقلت له هذا لا يخيفنى وتقدمت نحوه خطوة • فقال

لى قف مكانك قلت هل تعرفنى السبب الذى تدفن به بئرا يشرب فيها الجيران المساكين وهى داخل منزلى ليست فى طرف أو وسط الشارع بحيث يخشى من سقوط أحد فيها • فهدأ قليلا ثم قال : بجانب البئر حفر يمكث فيها الماء فيتولد منه الناموس • قلت سعادتك تتهمنى بجهلى ذلك وان اول ما يصاب بالناموس اولادى وعلى كل حال أنا بمنزلى اربع حنفيات ويمكن سعادتك ان تطلب اليمانية الذين يتركون الماء بالحفر تغرمهم وتأمرهم بالا يحفروا حفرا • فقال طيب انا اشوف • وخرجت من عنده ولم يكلمنى فى البئر بعدها واعطانى الارض وبنيت كما طلب •

وحينما تقاعد عن الخدمة اشتريت من مبيعاته بعضا فلما جئته بثمنها بمنزله خرج لى باشا مرحبا فدعوته لحفل بسيط يقام له بالمدرسة اعترافا بجميله عليها بدءا وختاما • فشكرنى • ثم عمل له الحفل الذى حضره مستخدمى مكتبه الكبار وكل امناء مدرسة الاحفاد وذلك قبل مبارحته امدرمان بيومين فقط •

استطردنا بسبب طلبنا الارض من ١٩٣٣ الى ١٩٣٥ حيث تم استلامنا للأرض فى ١٩٣٥ وفى السنة نفسها تم البناء بمعرفة أبى العلا وعبد المنعم ومقاولهم أحمد حسين الذى جعل منزله بالمدرسة ولم يبارحها حتى سلمنا اياها فرحلنا فيها يوم ١٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ فكانت مقرا ميمونا •

جمع التبرعات للبناء الاول

ولنرجع الآن لسنة ١٩٣٣ لتدبير مال البناء وكيف حصلنا عليه وما حصل من عسر وما حصل من يسر فى جمعه •

فى أول جلسة للجنة عرضت عليهم تنازلى عن المدرسة بما فيها من أدوات وأثاثات للبلاد فطلبوا منى تسجيل هذا التبرع كتابيا وظهر من بعضهم ارتياحا عظيما حتى اتفق ذلك البعض على أن يكتب الشنقيطى كتابة قانونية لا تجعل لى ولاولادى طريقا لدعوى تلك المدرسة فشكرتهم وأتى الشنقطى بكتابة هذه صورتها • فقرأتها ووقعت عليها باسمى وخطى وأرسلت حيث طبعت منها ميئات الصور ووزعت على المدن الثلاثة وكبار سكان المدن الكبيرة فى الخارج وهاك الصورة :

حضرة المحترم .....

بعد أن تقاعد الشيخ بابكر بدرى عقب ستة وعشرين سنة قضاها فى خدمة مصلحة المعارف شرع فى تنفيذ طريقة للتعليم لم تكن موجودة بالبلاد من قبل فأنشأ أولا روضة أطفال بمنزله برفاعة سنة ١٩٣٠ وكان قاصرا على أولاده وأحفاده . بعد أن رأى أصدقاؤه ومعارفه نجاح الفكرة أسرعوا بأرسال أولادهم اليه برفاعه لينتفعوا من تجاربه وطريقته الجديدة فى غرس الفضائل والاخلاق فى الطفل من صغره ولم يمض وقت حتى كثر عليه الحاح معارفه بنقل المدرسة الى أمدرمان ليعم نفعه أكبر عدد . وقد رأى من فائدة المشروع أن يجيبهم الى طلبهم . اذ أن أمدرمان والخرطوم والخرطوم بحرى بما اشتملت عليه من معالم ومشاهد تساعده فى طريقة التعليم التى رسمها . وهكذا تحقق الشرط الأول من منهاجه ووجد من الأقبال ما شجعه على اتمام مشروعه فأكمل فتح الكتاب ثم شرع فى انشاء القسم الابتدائى الذى صادقت عليه مصلحة المعارفف وسمحت لمتمميه أن يجلسوا فى امتحان دخول القسم العالى بالكلية التذكارية أسوة بالمدارس الاهلية الابتدائية .

وقد تقدمت أول فرقة من كتاب مدرسة الأحفاد للجنة للامتحان المنعقدة فى أمدرمان الابتدائية للدخول فى القسم الأبتدائى بتسعة تلاميذ فازوا كلهم عدا واحد وكان الفائزون نواة السنة الأولى بهذه المدرسة ، وقد انضم اليهم بعض طلبة الكتاتيب الاخرى .

فمدرسة الاحفاد مكونة الأن من روض أطفال يقبل فيها الولد وعمره أربع سنوات وكتاب وقسم ابتدائى . ويسرنى أن أذكر ان المدرسة ليست فى حاجة الى مساعدة خارجية الا ما تتبرع به مصلحة المعارف من بعض الكتب والأدوات الكتابية تقديرا للمشروع وعطفا عليه . فشكرا لهـا مع العلم ان بالمدرسة ٢٠٪ مجانا و ٣٥ ٪ بالمصروفات المخفضة .

الى هنا كان الشيخ بابكر بدرى قائما بالعمل بمجهوده الفردى ولما ظهر له أن عمله أصبح صالحا لأن يقدمه لا متة لم يتوان فى ذلك .

ولما كانت المدرسة فى حاجة الى دار تصلح لها فقد وهب الاستاذ ثمرة مجهوده لأمته وخلى بينه وبين المشروع وحملها عبىء اكماله . رأى بعض

الأفاضل الانضمام للشيخ بابكرى بدرى للقيام ببناء المدرسة الذى قدر له مبلغ خمسمائة جنيه تجمع بطريقة الاكتتاب العام ، وقد وافق أولو الأمر على جمع هذا المبلغ بتوزيع دفاتر ذات قسائم بفئة قرشين تسهيلا على المكتتبين .

فاليكم أيها المواطنون الاعزاء يتقدم هذا العمل المفيد ويرجو منكم ما عودتموه من تشجيع لكل الأعمال الصالحة النافعة .

فقد طبعت القسائم بالمبالغ المذكورة وكلها تحمل توقيع سكرتير لجنة الاكتتاب الأستاذ محمد صالح الشنقيطى وقيمة القسائم ترسل باسم السيد عبد المنعم أفندى محمد التاجر بالخرطوم . ص.ب نمرة ١٢١ الذى تبرع رغم أعماله الكثيرة أن يقوم بهذه الخدمة والله نسأله أن يوفقنا ويوفقهم لخير بلادهم ونفع أولادهم انه سميع مجيب .

٥/١٢/١٩٣٣ الامضاء

محمد صالح الشنقيطى

سكرتير لجنة الاكتتاب

بمجرد ما طبعنا الدفاتر وذاع خبرها أخذ المعارضون يفكرون فى عدم تصريفها . ففى نفس الأسبوع حضر لى يحى أفندى الفضلى ومعه محجوب عوض الله المهندس مظهرين لى الغيرة على مشروعى ومعاونتى فى تصريف الدفاتر واستلموا منى ثلاثين دفتر يوزعونها على أصدقائهم الواثقين من عطفهم على ، وبعد تحصيل قيمة هذه الثلاثين سيأخذون غيرها . فطلبت منهم توضيح أسماء أصدقائهم فغابوا وأحضروا لى ورقة بهذه الأسماء :

يحى الفضلى ــ طاهر فريد ــ محمود أنيس ــ عبد الرحمن متولى العتبانى ــ حسن عوض الله ــ يوسف الريح ــ معنى محمد حسن ــ ابراهيم عثمان ــ توفيق الماحى ــ سعد صديق ــ الشيخ خليفة ــ محجوب عوض الله

حسن أبو جبل ــ محمد على زمراوى ــ عمر الريح ــ أحمد المتولى وآخرين لم أتبين اسمائهم من الكشف لانها امضاءات غير ظاهرة والكشف محفوظ الى الان فى ملفات الاحفاد .

وباستلام يحى الدفاتر لم أر من احدهم قرشا سوى عبد الرحمن متولى الذى دفع كاملا ومحجوب أفندى عوض الله دفع لى ١٢٥ مليم وأخـوه حسن ٢٥٠ مليم فلما طالبت يحى الفضلى اكثرهم حماسا اخبرنى ان برمبل بك قاوم تصريف دفاتر مدرسة الأحفاد بامدرمان وسنصرفها اما سرا هنا أو فى بلدة اخرى فكن مطمئنا ومع ذلك لم يصلنى منهم قرشا واحدا .

ثم سعيت الى اليوزباشى عبد الرازق افندى خير السيد الذى كان مأمورا للدويم وصديق اولادى وان لنا فى الدويم اصدقاء ومعارف يوثق بهم . طلبت من حضرة عبد الرازق افندى المساعدة فاستلم عشرين دفترا ليصرفها بالدويم . وقد زارنى الشيخ لطفى الذى لم اوفق فى مساعدته لى قط ولم اوفق فى اليأس منه اخبرنى شيخ لطفى انه متوجه للدويم وحكما على نظرية (المصطرم ولـو عاقل) بمعنى صاحب الحاجة ارعن. فاخبرته بدفاتر الدويم وطلبت منه واوصيته لـ... بمساعدة المأمور فى تصريف الدفاتر وقلت له هذه أول قيمة ارسلتها الى الخارج وبنجاحها أتفاءل وبعدمه لا اتشاءم كما تعرف ثقتى بربى وجهـدى لا يفتر عادة . فلما وصل الدويم ووجد تصريف بعض الدفاتر فعلا لم يرق له ذلك فاخذ قاضى شرعى المديرية وذهبا للمستر ريد المدير واخبراه بأن بابكر بدرى لا يستطيع أن يبنى مدرسة ولكنه يريد أن يحتال باسم المدرسة ليحصـل من الناس على ما يبنى به منزلا لنفسه لامرأته الجديدة بامدرمان كما اخبرنى بذلك محمد عثمان افندى ميرغنى وعبد الرازق افندى خبير السيد فماكان من المدير ريد الذى اعتاد تصديق ما ينقله له كلاهما وما ينقلـه له الشيخ منذ أن كان المستر ريد نائب مدير بمدنى مع المستر باردسلى فأمر المستر ريد بارجاع نقود ما صرف من الدفاتر وجمعها مقطعة قسائم وارجاعها لى بامدرمـان فلم اهتم كثيرا لأن الخبر بارجاعها لى سبق وصولها عندى وان السيد عبـد الرحمن جابر عثرات الكرام طلبنى وسألنى كم جنيها تكلف المدرسة التى تريد بنـاءها فقلت تكلف خمسمائة جنيها . فى الحال ثم فى كل سنة نبنى غرفة حتى يتم البناء قال سيادته . وكم تأمل تحصيله ؟ قلت آمل مائتين وعشرين جنيها وأنا أطالب الشيخ شبيكه سبعين جنيها . فقال السيد أنا أضمن لك باقى الخمسمائة جنيها فلا تهتم بها فشكرته وبارحته وأنا فرح بما قال وأثق بانجازه .

وبينما نحن فى اهتمامنا ببناء المدرسة راحت اشاعة وصلتنى من ولاة امور طلبة السنة الاولى وسطى وهى ان متخرجى مدرسة الاحفاد لا يسمح لهم الجلوس لامتحان كلية غردون وهى المعهد الوحيد للسودان للثانوى وشهادة الثانوى هى الباب الوحيد لخدمة الحكومة فى الوظائف المستديمة أنتى لا يقدم ولى أمر التلميذ ابنه الا لها ولا يطلب التلميذ العلم فى الغالب الا لينالها . فلما تواترت هذه الاشاعة ذهبت الى المستر فيلد وكيل المعارف وعرضت عليه ماجئت من اجله فأجابنى بقوله : اذا قبلنا اولاد الاحفاد بكلية غردون تطالبنا الاقباط وكمبونى بقبول تلاميذها ايضا . قلت لجنابه : ما دام فى السودان اليوم ثانوى واحد وان الولد السودانى الأصل من والديه ومولده وحصل على الشهادة الوسطى من مدرسة سمحت له الحكومة السودانية الالتحاق بها فبعد أن صدقت الحكومة لها بالفتح ارى انه يجب على الحكومة ان تسوى بينه وبين غيره ممن يدرسون فى مدارس الحكومة . فلم يرد على . ثم سكت قليلا حتى التفت الى قائلا : انى لن اسوى بين المدارس الحكومية والاجنبية . قلت لجنابه بقى لى سؤال واحد تسمح لى بالاجابة عليه وأعدك انى اقتنع بعده . قال لى بعناية : ما سؤالك . قلت تستطيع جنابك انتشرح لى الفرق بين تلميذ تخرج من المدرسة الاهلية التى سمحت مصلحة المعارف له بالالتحاق بكلية الخرطوم وبين التلميذ الذى تخرج من الاحفاد جلس بجنب اخيه بالمدررسة الاهلية بمدرسة امدرمان الوسطى وحصلا على درجة واحدة . وما عذر المصلحة التى تقنع ولى امر تلميذ مدرسة الاحفاد فى هذا التفاضل ؟ فقال لى أنا لا يمكننى ان اقبل تلميذ مدرسة الاحفاد بكلية غردون . فذهبت فى الحال لسعادة المستر وينتر وحكيت له كل ما حصل بينى وبين جناب المستر فيلد . فقال أنا اقبل تلاميذك للثانوى لأن لا أرى فارقا بين تلميذ الاهلية وتلميذ الاحفاد . قلت أريد عبارة صريحة من سعادتك انشرها فى الحضارة فأمسك سعادته القلم وقال املها على . فقلت : ان مصلحة المعارف مستعدة لقبول تلاميذ مدرسة الاحفاد الوسطى الذين يؤدون الامتحان الذى يعقد للسنة الرابعة وسطى فى أواخر ديسمبر من كل سنة بنجاح يؤهلهم كغيرهم للامتحان بكلية غردون التذكاريه للدروس الثانوية .وبعد سكوت قرأ ما كتبه وناولنى الورقه وقال لى اذهب الى جناب

المستر فيلد يمضيها لك . قلت هل يقبل جنابه امضائها ؟ قال لى قل له وتتر قال لك امضها . اخذت الورقة لجناب المستر فيلد ماشيا راجلا من مكتب السكرتير الادارى الى كلية غردون لأنى لم أجد عربة بشارع كتشنر فلما وصلت المستر فيلد لم يخاطبنى بكلمة ، بل تناول منى الورقة ووقعها بامضائه وناولنى اياها فشكرته مرغما وخرجت فرحا . فلما نشرت هذه العبارة فى الحضارة اطمأن ولاة أمور التلاميذ على مستقبل أولادهم وتركوهم بمدرسة الاحفاد . وقد انجز سعادة المستر وتتر ما وعد وللحظ كان مدير الكلية صديق السودان وصديقى الأخص المستر وليمس الذى هنأنى بنجاح أول دفعة قبل منها سبعة تلاميذ من سبعة عشر تلميذ ممن تقدموا للامتحان الثانوى . والى هنا بدأت المدرسة تتحمل فى داخليتها مقاومة المهدمين .

ولنرجع الى مال البناء وتتبع تطوراته حتى نفرغ منه .

« طوافى على الأقاليم »

قلت فيما سبق أن يحيى الفضلى أخبرنى أن برمبل بك يمانع فى تصريف دفاتر الاحفاد للاكتتاب بامدرمان . فبعد قفل المدرسة بالعطلة الصيفية وفشلى فى التصريف بامدرمان أخذت ستين دفترا وذهبت للجزيرة فأول ما بدأت برفاعة . رفاعة التى قضيت فيها زهرة قوة عمرى وخدمت أبناءها شهد الله بيدى وذهنى وعقلى ومنهم من خدمته والله يعلم بمالى على قلته وبالى على كثرة مشغولياته . بدأت بها وليتنى لم ابدأ بها مكثت بها يومين لم يزرنى منهم أحد ولو مسلما . وفى اليوم الثانى أعلنت سفرى الى مدنى فجاءنى ليلا المشائخ بابكر المليك والنور التنقارى ومحمد حمد نصر وطلبوا منى أن اقيم لهم يوما ثالثا ليجتمعوا فيه بالمدرسة واعتذروا للجميع بأن البلد كان محتاجا للمطر وبقدومك السعيد هطلت الامطار غزيرة فشغل الناس بالزراعة فاجبتهم حرصاً على سترهم وعلى ما اناله منهم وفكرت انى اذا فشلت فى رفاعة بلدى فانى سمحت لغيرهم بل شجعتهم أى الغير وأعطيتهم عذرا فى عدم تشجيعى فبت وفى عصر اليوم الثالث اجتمعوا بالمدرسة اكتتب من أراد حرا فى تفكيره واكثرهم راعوا رئيسهم ... الذى رفض ان يدفع قرشا . وسيظهر لك من اكتتابهم قرين اسماءهم تأثيره على اكثرهم اما التجار فلم يتكرم منهم أحد بقرش واحد وكذلك رؤسار البلد الشكرية سامح الله الجميع . فلما وصلنى كشفهم

وصورته محفوظه ضحكت وقلت لهم حينما جاءونى به: يا اولادى ان ما دفعتموه لا يكون واحدا من الف مما يلزم لبناء المدرسة ولكنى اقبله حرصا على سمعتكم وعلى نجاح مشروعى   وهذه اسماؤهم :

كشـــف
اكتتاب بناء مدرسة الاحفاد الاول
(اكتتاب المستخدمين الوطنيين برفاعة)
سنة ١٩٣٣

الاســـم	التبرع	
	مليم	جنيه
يوسف أفندى شريف	٠٠٠	٣
تحصل منه جنيه و ٥٠٠ مليم يوم ١٢/٥		
الشيخ حسن عبد النور	٦٠٠	
مدة ثلاثة شهور		
الشيخ أبو بكر المليك	٠٠٠	١
تحصل منه ٣٠٠ مليم يوم ١٢/٥ اعتبارا من آخر يوليو ١٩٣٣		
الشيخ محمد ابراهيم مدنى	٠٠٠	١
تحصل منه يوم ١٢/٥		
الشيخ يوسف أبو تركى	٤٥٠	
تحصل منه يوم ١٢/٥		
الشيخ عبد الله الغادنى	٥٠٠	
تحصل منه يوم ١٢/٥		
الشيخ على الحاج	٢٥٠	
فى آخر شهر ٣٣/١٢		
الشيخ أحمد سلميان	٥٠٠	
مدة ثلاثة شهور		

الشيخ ابراهيم محمد نصر	٣٠٠	
شـــهران		
الشيخ محمد سعيد محمد خير	٥٠٠	
فى آخر يناير سنة ١٩٣٤		
عبد الرازق أفندى النقر	٦٠٠	
عن شهرين		
الشيخ يوسف دفع الله	٥٠٠	
فى مدة ثلاث شهور ابتداء من آخر اكتوبر ٣٣		
مبارك أفندى محجوب	٥٠٠	
فى مدة ثلاث شهور ابتداء من أول الجارى		
الشيخ النور التنقاوى	٠٠٠	١
فى نوفمبر		
الشيخ الامام الحاج	٢٠٠	
فى آخر الجارى دفعة واحدة تحصل منه ١٠٠ مليم يوم ١٢/٥		
الشيخ محمد الحاج	٥٠٠	
تحصل منه ٢٥٠ مليم فى ١٢/٨ وآخر ديسمبر ٢٥٠ مليم سنة ٩٣٣		
الشيخ محمد حمد نصر المحيسى	٥٠٠	
قسطين آخر نوفمبر وآخر ديسمبر		
الصادق النور	٣٠٠	
على ثلاثة شهور		
الشيخ الفاضل دفع السيد	٥٠٠	
سأدفعه مرة واحدة فى آخر شهر يناير ٣٤ ان شاء الله		
الصادق عيسى	٣٠٠	
آخر سبتمبر واكتوبر سنة ٩٣٣		
المجموع	٥٠٠	١٣
على ناصف أبو سن	٦٠٠	
على ثلاثة أقساط اعتبارا من آخر اكتوبر سنة ٩٣٣		

عبد الله محمد الفكى عبد الله	٥٠٠	١
على ثلاثة أقساط من أكتوبر ونوفمبر وديسمبر سنة ٣٣		
الطيب جبوره	٥٠٠	
على دفعتين الأولى فى آخر نوفمبر سنة ٩٣٣ والثانية فى آخر مايليه		
المجموع	٦٠٠	١٥
محجوب الخليفة	٠٠٠	١
عبد القادر أفندى شريف	٥٠٠	١
تحصل منه ٧٥٠ مليم		

واستمر التحصيل منهم الى أن سددوا •

من رفاعة عبرت النيل يوم ٣٣/٨/٣١ للحصاحيصا حيث قابلت جناب المستر لونج الذى قال لى ان سعادة المدير يمنع عمل أى اكتتاب بمديرية النيل الأزرق ليصرف خارجها ولذلك يأسف بألا يسمح لى بعمل اكتتاب بالحصاحيصا مما اضطرنى أن أكتب لابنى يوسف بدرى كتابا بطلب التصريح الرسمى من المستر نبى عن السكرتير الادارى • وهاك صورة الكتاب الذى أرسلته لأحمد متضمنا كل ما حصل لى : فى ٣٣/٩/١

أبنائى المحترمين : سلام كثير • وأخبركم أنى قضيت برفاعة يومين وقد تركت الأمر فى اجتماع مواطنيها للشيخان النور التنقارى وبابكر المليك لنزول الأمطار التى حالت دون اجتماعى بهم • وتركت لهم ٣٠ دفتر ولقلة الدفاتر معى وعدتهم بارسال مايطلبونه من أم درمان ــ الدفاتر التى كانت معى ستون دفترا أعطينا أحمد مالك منها خمسة عشر وزعها فاذا كان على أفندى بدر الدين عندكم أعطوه أربعة دفاتر له ولحضرة عبد الرحمن أفندى عابدون والشيخ محمد ابراهيم مدنى دفترا • صرفت بالحصاحيصا ثمانية دفاتر وكان سبب طلبى لصورة التصديق أن جناب المستر لونج لما طلبت منه الاشتراك بورقتين اعتذر بمنع المدير اكتتابا حتى للجوامع ولما رأى التصديق دفع ٤ قروش اشتراكه ودفع مفتش الصحة البريطانى الذى كان معه ٤ قروش ومن ثم تشجع تجار الحصاحيصا ومستخدميها • وهناك بعض النظار والعمد ممكن تصريف البعض لهم فبعد مقابلتى للمستر كنقدن المدير الحالى ومصادقته على الاكتتاب ربما نطلب منكم عددا منها تلغرافيا ليصلنا بمدنى غدا مع الكمسارى • للان لم أقابل

حسين أفندى عبد العظيم ولا عبد القادر أفندى العجبـــانى وسيصلكم منى جواب بيوم الأحد ببوستة الأبيض بنتيجتنا بمدنى والسلام •

صورة التلغراف :

أحمد بدرى ـ أم درمان

ضرورى ٤٠ دفتر لمدنى بكمسارى باكر ـ والدك

قمت لمدنى وقابلت حسين أفندى عبد العظيم صباحا قبل قيامه للمكتب وحدثته بما جاء بى فقال لى بعد شربى فنجان الشاى : ان الذى أستطيع عمله لك هو أن أعرفك بجناب المفتش شخصيا وعمليا • فلما جئته صعد بى للمستر بير وتركنى معه •

قال المستر بعد أن شرحت له موضوعى : أنا لا أستطيع أن أتركك تعمل اكتتابا بمدنى فخرجت منه وأخذت تاكسيا لمنزل المستر كنقـدن الذى قابلنى ببسمة شجعتنى وبعد شرب القهوة سألنى : ماذا تريد منى ؟ قلت : أريد منـك أربعة قروش • قال لى : محمد خير جىء له ب ٤ قروش فلما قبضتهما عرضت لسعادته دفتر الاكتتاب بعد أن قطعت منه ورقتين وطلبت من سـعادته التكرم بتوقيع خطه على أصل الورقتين فتكرم ووقع وهو مبتسم •

أخذت هذا الدفتر وعرضته على المستر بير الذى قال لى هذا خط المدير وهو صاحبك لذا أعطاك أربعة قروش أما أنا فلا أعطيك قرشـــا • قلت : لكن تمنعنى من الاكتتاب بمدنى • قال لا أمنعك • قلت تكرم بطلب العمدة ابراهيم السنى وأذنه جنابك • فطلب العمدة الذى صحبته فى الحال للسوق حيث حصلنا على خمسة عشر جنيها نقدا • ثم مررت على المهندسـين وهم خير من شجعنى باخلاص والشيخ فحل ابراهيم فحل الذى صرف ٣ دفاتر وكتب لى أنه أتمهـــا من نفسه وحول القيمة • اما عبد القادر أفندى حميده العجبانى فقد استلم منى ستة دفاتر ليصرفها أحمد أفندى التيجانى حسن خليفة زارنى بمنزلى وطلب منى أن أرسل له عشرين دفترا ليصرفها بعطبرة فطمعت وأرسلتها له ثلاثين مع ابنى يوسف بدرى • فاستلمها وكتب لى جوابا هذا نصه بالحرف :

« عطبرة فى ٥/٩/٣٣

مولاى العزيز : بعد التحية والسؤال عن صحتكم • أتعشم أن تكون والأهل جميعا بخير • قد وصلنا جوابكم الكريم صحبة ابنكم الكريم يوسف أفندى وقد اجتمعت اللجنة وتداولنا فى طريقة توزيع الايصالات وخلافه • وطبعا فهمتم كل ذلك من يوسف بدرى عند عودته منا • ان شاء الله أطمنكم بأن الكل هنا سيبذلون كل الجهد فى توزيع الايصالات وقبل قيامى للاجازة سأترك النظام الكافى للعمل هنا • أتمنى لكم من صميم فؤادى نجاحا مستمرا فى كل مشروعاتك الجليلة التى يفتخر بها الوطن • فالى الأمام • وكل مثقف ومحب لعمل الخير سيكون عضدك • تحياتى لمن تحب • والله يحفظك •

المخلص : أحمد حسن خليفة »

وصلنى خطاب من ابنى يوسف مكتوبا على ظهر كتاب التيجانى أفندى يخبرنى فيه بأن اللجنة عينت بحضوره وتكونت منه ـ أى التيجانى ـ القاضى الشرعى ـ عبد الله أفندى مسعود ـ العمدة السرور ـ الشيخ الريح ـ الطاهر مخير ـ فضل محمد أحمد فضل ـ وقال انهم خصصوا للسوق عشرة دفاتر وللمكاتب عشرين دفترا تدفع قيمتها كل شهر عشرة جنيهات ان أمكن

كذلك زارنى نوح أفندى عبد الله بك حمزة مأمور كسلا وتبرع بأنه سيساعدنى فى تصريف ٥٢ دفترا موزعة كالآتى :

عدد الدفاتر	الاسم
٣	السيد محمد عثمان المرغنى
٢	السيد الحسن الميرغنى
٢	نوح عبد الله
٢	البدوى عمر
٣	العمدة أحمد جعفر
١	الشيخ أحمد أحمد برسى
١	أحمد فرج الله
١	سيورس يوسف
٢	محمد عثمان المرضى

عدد الدفاتر	الاسم
١	عثمان فقيرى
١	دكتور الفاضل البشرى المهدى
١	الشيخ عبد الله أحمد الأمين
١	عثمان عبد الله
١	الشيخ عبد الاه ابراهيم
١	عبد الله محمد صالح
٢	جعفر على
٢	ابراهيم محمد عثمان
١	أحمد بلال
١	البكباشى عثمان على كيله
١	اليوزباشى محمد أحمد عواض
١	اليوزباشى أحمد ابراهيم أغا
١	اليوزباشى حسن الشلال
١	الصاغ عبد النبى مرجان
١	اليوزباشى حسن فضل الله
١	رزق الله رحمة الله
١	الخواجه جون بريتر
١	الخواجه رامجى سامجى
١	الخواجه بكرين هنشراج
١	هركسنداس خوشال
١	الخواجه كوستى اراكى
١	حسن محمد عبود
١	حنا كلاين
١	الزبير عبد الله
١	محمد عبد الغفار
١	العمده بركات غوينم
١	بشاره عبد الله

١ عثمان احيمر

١ على محمد النمير

١ عبد الله أحمد

١ ــ ابراهيم الجندى

١ محمد مجذوب البحارى

١ محمد حسيب صالح

١ حسن الأمين تروه

بمديرية كسلا وكتب لى كشفا بأسماء الـ ٥٢ شخصا ممن يستحقون دفع واحد جنيه بدون توقف ولا مشقة •

اكتتابه منهم بهذه الاشارة

كذلك أرسلت ستة دفاتر لمحمد أفندى الفضل ابراهيم مأمور كوستى فلما سمع رد المدير بالدويم رد النقود لأصحابها وأرسل لى الستة دفاتر راجعة لخوفه على ماأظن من المدير أو اقتدى به ونسى صداقتى له • اما عبد اللهأفندى ادريس مأمور مركز النهود فقد ارجع لنا الدفاتر دون أنيفتحها وردها للبوستة كما جاءته ولكنه أرسل للشنقيطى أفندى السكرتير جنيها واحدا اكتتابه الشخصى • فلما تأكدت من هذه المقاومة السلبية وأعملت فكرى فى دفعها بالتى هى أحسن اخترت أن أرسل باسم أصدقائى الخصوصين لكل واحد منهم دفتر داخل ظرف مصحوب بخطاب خاص به • هذه صورته تقريبا بالمعنى :

« حضرة •••

أرسل لك طى هذا دفترا قيمته جنيه واحد فى خمسين قسيمة ذات القرشين • من فضلك أرسل الجنيه محولا باسم السيد عبد المنعم محمد • صندوق البوستة ١٢١ • واعرف شغلك فى الدفتر • وممنوع العذر لأنه غير مقبول عندى • ولك الشكر مقدما »

بابكر بدرى

وبهذه الطريقة تمكنت من تصريف باقى الدفاتر فحصلنا منها جميعا ٢٢٣ جنيه ضد تلك المقاومة المنظمة القوية من أناس عظام ومواطنين يؤمل فيهم مديد المساعدة فتنعكس فيهم القضية :

واخـوان حسبتهم دروعا فكانوها ولـكن للاعادى
وخلتهم سهاما صـائبات فكانوها ولكن فى فؤادى

وهاك بعض الردود الواردة من بعض المواطنين تستشهد بها كنمـوذج للاريحية والشعور بالخدمة الجماعية

فأرسلت لدائرة السيد الجليل ١٥ دفتر ولم يمض أكثر من أسبوع حتى ورد لى كتاب من سيدنا هذه صورته :

« عزيزى الشيخ بابكر بدرى • السلام عليك ورحمـــة الله • تناولت كتابك وأحمد الله على سلامتك وكل التوفيق الذى تم لغاية الآن فى سير بنـاء مدرسة الأحفاد ومنتظر أن أعرف بأول فرصة كل النمر وضمان تحصيل مبالغها • علمت هنا من وكيل دائرتى بأم درمان أن عدد ١٥ دفترا وصلتهم وقـد أمرت بصرفها خصما على مرتبات مستخدمى الدائرة وهى قليلة جدا • سلامى للاخوان جميعا ولك تحياتى •

عبد الرحمن المهدى ــ فى ١٩٣٣/٨/٢٦

مولاى بل والدى انحسبته أستاذى الأعظم الشيخ بابكر بدرى دام مجده •

ثم افتتح خطـــابى هـــذا وأنا الذى خالفت ضـــميرى ردحا من الزمن ، ضـــميرى يشـــعر بواجب مقدس وعمل جليـــل أقابل به تلك الصفحات البيض الموشاة بماء الذهب المنقوش عليها رمز اسمك الخـالد فى سويداء قلبى انها وايم الحق هفوة وجريمة لا تغتفرها لى تربيتى الأولية وأساس حياتى المتين الذى لم أزل ولن أزل أسير عليه وأضم اليه كل طريف وتليـد • وما هو غرس يديك فحياتى وجوبا على أن أعتبرها وقفا لذاتك الكريمة

مولاى ــ مدرستك الأحفاد وأنا من الذين يؤمنون بنفعها ويقدرونهـا قدرها لا لوحدى فحسب بل يشعر بذلك كل من غرف غرفة بيده من سلسبيل علمك واختبارك لكل أسلوب يتمشى بالطفل من سنة لأخرى فأمالى لها عظيمة وأرجو أن تبلغ الغاية القصوى التى من أجلها سهرت على رفاهيتها

منذ ثلاثة شهور كنت برفاعة كأجازة ثم بأم درمان وكنت مشغولا بها لم

وصلنى كتابك الكريم وعليه فقد حولت اليوم قيمة ١ جنيه مصرى برسم
السيد عبد المنعم محمد بالخرطوم أى اشتريت دفتر لنفسى وان أردتم ارسال
الدفتر عينة فيدونى لأرسله والا ان فضلتم بقاءه عندى حتى يتسنى لى بيعه كأن
لكم ذلك والسلام عليكم ورحمة الله

كوستى ١٩٣٣/١٢/٧

ابنك
أحمد كوكو

ملكال : ١٩٣٤/١/٣١ م

سيدى ومولاى الأجل

السلام عليكم ورحمة الله وبعد

فقد تشرفت بدعوتكم الخاصة على تشجيعكم أشرف وأعظم أنواع البر فنشكركم جزيلا على حسن ظنكم بى لقدر ماأسفت للظروف القهرية التى حالت دون كتابى هذا وارسال الاشتراك الزهيد بالنسبة لهذا المشروع الجليل قبل اليوم • وكان بودى أن أحظى لشرف زيارتكم وأقدم الاشتراك بنفسى ولكن أبت المقادير الا ما شاءت حيث قد تأخر نقلى لغاية مارس القادم بسبب عدم لياقة خلفى الآن فلله الأمر من قبل ومن بعد •

طى هذا كبون بقيمة الدفتر (١ جنيه) والله تعالى أسأل أن يتم المشروع كما رجوت وكما رجونا لك وان يطيل لنا فى بقائك القيم ونضاعف بك الأجر •

هذا وأرجوكم ابلاغ جزيل تحياتى لكل من حواهم مجلسكم الطاهر الفكه الرحب خصوصا السادة محمد على أفندى شوقى وشنقيطى أفندى وعبد المنعم محمد ولأشقائى أنجالكم وختاما تحياتى لشخصك المحبوب ودم لمحسوبك

ابنك المخلص المستديم
شرف الدين محمد

كسلا فى ١٧/١٠/٣٣

حضرة الفاضل العم الشيخ بابكر بدرى المحترم

سلام واشتياق لرؤياك وعشمى أن تكون بصحة جيدة التى دوامها عليك ما شاء الله أنا الحمد لله بخير وعافية ولا مؤاخذة لتأخيرى عنك الجوابات وذلك لكثرة أشغالنا فى هذه الأيام وجوابك وصلنى وأشكرك • جميع الدفاتر توزعت حسب الكشف الذى عندى ما عدا ثمانية دفاتر أعنى الذى توزع ثلاثة وأربعون دفتر ومجتهد جدا لتصريف الثمانية حتى اذا عجزت سأوردها لكم وتقريبا كل الناس الذين مسكوا دفاترهم مجتهدين فى التحصيل وتقريبا تحصل عندى ثمن ٦ دفاتر منها اثنتين خاصتى واثنين خاصة العمدة وواحد خاص مع عثمان أفندى فقيرى وواحد للصاغ عبد النبى أفندى وأرجوك اذا عندك خبر بناس حولو لمحل عبد المنعم ففيدنى بهم لأمل أن أعمل تآشير فى كشفى وتجدنى مستعد لأى خدمة تطلبها منى وتجدنى مكسوف جدا لتأخير الثمانية دفاتر الباقية وبعون الله عند وجود الفرص أجرى توزيعها مع سلامى لعموم الأهل ومن هنا الجميع يقروكم السلام والأخ أحمد أفندى عباس بخير وأيضا شرعنا وكونا لجنة ملجأ القرش وان شاء الله تكون ناجحة تمام باذن الله حالة البلد فى هذا العام طيبة من جهد الزراعة أغلبية الناس بعد قطع مزارعهم يكونوا مرتاحين وستعدين لأى خدمة وفى الختام سلامى لك كثيرا •

ولدك

نوح عبد الله حمزه

باره فى ٣٠/١٢/١٩٣٣

سيدى الوالد المحترم

أحييكم تحية طيبة وأسأل الله لكم الصحة والعافية • تشرفت يا مولاى باستلام دفتر الاكتتاب لمشروعكم الخيرى العظيم وقد حولت المبلغ اليوم لحضرة

أمين صندوق اللجنة والله أسأل أن يوفقكم لما فيه الخير ويبقيكم حتى تروا بأعينكم ثمرة مجهودكم العظيم .

تحياتي لأخي العزيز الشيخ أحمد والدكتور البارع على بك وتفضلوا يا مولاى بقبول عظيم احترامى

ابنك المخلص

أبو البشر أحمد حميده

حضرة المحترم والدى الشيخ بابكر بدرى

بعد تقديم واجب التحية والاحترام ـ أرسل اليكم مع رافعه ابنى محمود الكمالى مبلغ واحد جنيه مصرى وهو عبارة عن قيمة الدفتر الذى أرسلتموه الى بنيالا لتوزيعه لمدرسة الأحفاد وأسأل الله تعالى أن يمدكم بعونه وتوفيقه فيما أنتم بصدده من العمل الخالد النافع وأن يسهل لكم كل ما تقصدونه لنجاح هذا المشروع ودمتم .

٢٦/٤/١٩٣٤م

المخلص

أبنكم محمد أبو القاسم

سيدى الأستاذ الشيخ بابكر بدرى

تحية وسلاما وبعد

فقد سرنى ما اعتزمتم من تشييد بناء يناسب السمعة الحسنة التى حازتها مدرستكم بقسميها الأطفال والكتاب وأتمنى للقسم الابتدائى الجديد كل نجاح وتوفيق كسابقيه . فى اعتقادى انما اتصفتم به من اجتهاد وقوة ارادة وما تحليتم به من محبة للخير لناشئة هذه البلاد هذه الصفات كافية لنجاحكم فى كل مساعيكم وابراز كل مشروع تطلبونه الى حيز الوجود ناضجا ومفيدا .

ناشئة هذه البلاد فى حاجة الى تقوية روح العمل ومحبته واحترامه ، فى حاجة الى قوة الارادة وفى حاجة الى الاعتماد عدى النفس . انكم تحوزون هذه

الفضائل وفى استطاعتكم غرسها فى نفوس الناشئة وفقكم الله لكل خير .

ملحوظة :

تجدون طيه اذن بوسطة قيمة الدفتر نمرة ٣٤٤ (١٧٥١ الى ١٧٢٠٠) وهذا المبلغ يعتبر اكتتابا منى للمشروع وسأجتهد فى بيع كبونات الدفتر . وأورد لكم المبلغ المتحصل فى النهاية . وفى النهاية لك منى ولأفراد عائلتك ألف سلام .

المخلص

الفاضل البشرى

فى هذه السنة اشتريت من مصلحة المعارف كل كتب المطالعة التى أبدلت بغيرها ومن ضمنها كتاب المطالعة الوطنية الذى تكرمت المصلحة وأعطتنى كل نسخه مجانا . وهذه محمدة أحفظها للمستر فيلد . وكل الكتب الأخرى كالمطالعة الرشيدة للوسطى والكتاب بثمن اسمى فساعدتنا اقتصاديا وشكرناه . وكما أصدر المستر يودال وفريد بك عطية سماحهم الى وتسامحهما معى فى مشتراى عناقريب الداخلية وتخت الوسطى ذات الدرجين بوسطى رفاعة من ذات الأرجل الحديد الزهر والخشب مما كان لى أثاثا للمدرسة والداخلية

لم أتعظ بفشلى فى رواية تاجوج فعرضت على رواية تاجوج مرة أخرى فاضطرتنى الضرورة لقبولها وذلك فى الأسبوع الثالث من شهر أغسطس ١٩٣٣ فما جنيت منها ما يواسى تعبى وأتعابى لشيخ العرب كنتباى أفندى مأمور مركز الخرطوم ومن معه فى بيع التذاكر بالخرطوم من تكليفنا الناس فى دفع قيمة ما نقدمه من التذاكر .

وفى ١٩٣٣/٨/٢٧ أرسلت عشرين دفترا للقضارف

بيد حضرة عبد المحميد أفندى عبد الله بك حمزةمأمور القضارف ليوزعها بمعرفته فوزعها وكتب هذا الخطاب بتاريخ ١٩٣٤/١/١ ردا على كتابى المصحوب بـ ٤٨ دفتر ليوزعها بمعرفته . ما معناه وصلتنى الدفاتر الثمانية

والأربعين وأن العدد الذى صرفناه وتحصلنا على قيمته من العشرين دفترا التى حملتها بيدى لا يشجع الأمل فى تصريف كمية كهذه وذلك لأن عدد المقاومين لمشروعك الخيرى كما أعلم ـ والله يعلم ـ أكثر وأقوى تأثيرا فى القضارف ورأيى أن تحضر بنفسك فى أول فرصة(١) .

اجتمعت اللجنة فى شهر يناير بالنسبة لطلب عبيد عبد النور منى اخلاء منزله ـ الذى قدمه لنا مشكورا ـ وذلك لاحتياجه لكسره وبنائه من جديد . فعرضت للجنة فى اجتماعها منزلا للخواجه عبجى ولما لم نجد غيره وافقت اللجنة عليه واستلمت التسريح بالرحيل له يوم ١٩٣٤/١/٢ . وحولنا أدواتنا يوم ١٩٣٤/١/٨ . وبعد أن رممناه وبدأنا الدرس به يوم ١٩٣٤/٢/٩ .

((تجربة البرنامج المصرى التعليمى))

طلبت من المستر وينتر السماح لى بعمل تجربة للبرجرام المصرى بواسطة أولاد يختار ولاة أمورهم هذا البروجرام بمدرسة الأحفاد فسمح لى سعادته وفتحته فعلا باثنين وعشرين تلميذا كلهم من أولاد الضباط السودانيين وفى أكتوبر من هذه السنة ورد لى أمر من جناب المستر فيلد بلغوه فذهبت لجنابه لأراجعه لاحتياج المدرسة لمصاريفهم الكثيرة فى قيمتها المضمونة فى دفعها ووجدت معه سعادة المستر وينتر فأملت نجاح حاجتى ولكن جناب المستر فيلد فأجانى بقوله ((الضباط السودانيين معاشهم مصرى فهم يعتبرون مصريين)) . فبدر منى ما لم أتصوره وقلت له : ((لو كانوا فى نظركم مصريين لماذا لم تطردوهم فى سنة ٢٤ مع الضباط المصريين)) وليتنى لم أقلها لأنها حولت عنى عطف سعادة المستر وينتر الذى كنت آمله ورجعت أتعز بخيبة أملى وألغيت البرجرام المصرى من مدرسة الأحفاد . فى هذا استطراد قبل أوانه فلنرجع من أول سنة ١٩٣٤ .

---

(١) روى الوالد قصص عن المقاومة فى كسلا وعطبره والقضارف بطريقة صراحته المعروفة وأثرنا تركها .

((السيدان مصطفى أبو العلا وعبد المنعم محمد))

في يوم ١/٢٦ انعقدت اللجنة للبحث في كيفية جمع المال لبناء المدرسة ولم يكن لنا متحصل سوى ٢٢٣ جنيها من مال الدفاتر وسبعون جنيها مني وأتممتها بسبعة فصارت ٣٠٠ جنيه ومئتا جنيه وعدني بدفعها السيد عبد الرحمن اعانة للبناء • فلما تضاربت الآراء انفردت بعبيد عبد النور لوحده بصفته السكرتير الجديد وقلت له يقول للسيدين عبد المنعم ومصطفى أبو العلا يرهنان منزلي في مائتي جنيه ليكون عندنا ٧٠٠ جنيه بمائتي السيد عبد الرحمن • فكان ردهما له : قل لعمنا بابكر يساعدنا باستخراج تسريح من المدير ومفتش الخرطوم ونحن يمكننا تحصيل مبلغ ان لم يكن مائتين فانه لا ينقص كثيرا فسررت جداء

وفي ضحى يوم ١٩٣٤/١/٢٧ ذهبت لسعادة المستر سرسفيل هول بمكتبه وبعد شربي القهوة اكرامه قلت له : انني جئتك لتساعدني في عمل اكتتاب بالخرطوم لبناء دار مدرسة الأحفاد • فلا أنسى لسعادته أنه نهض قائما وأدخل يده في جيبه الذي سمعت منه رنين النقود وقال لي : تريد مني نقودا قلت لا وانما أريد من سعادتك التسريح للجنة المدرسة باكتتاب بسوق الخرطوم • فشق نصف فرخ وكتب فيه التسريح وناولني اياه قائلا (والله البحر لا يقف قدامك يا شيخ بابكر) كل هذا وهو واقف وتناولت بيد الشكر التسريح ودعوت له وجسمي مقشعر عجبا وطربا •

ذهبت بالتسريح للسيدين عبد المنعم وأبو العلا بمكتبيهما وناولتهما التسريح فغابا يومهما وفي مساء الغد جاءانا بأربعمائة جنيه وحكيا لنا أنهما أول ما ذهبا للخواجه ماتكساس الذي أنتخب تلك الأيام رئيسا للجالية اليونانية وكانا كما قالا يأملان منه نحو عشرين جنيها • فطلبا منه مائتي جنيه فأقسم لا يزيدهما على مائة جنيه فطلبا منه شيكا بها لئلا يراجع نفسه فكتبه ولما استلما الشيك جاءا به الى المستر كونتوميخالوس رئيس الجالية الأول فكتب شيكا بمائة وخمسة وعشرين جنيها ووعد أنه يرتب ٧٥ جنيها سنويا للمدرسة حتى تقوم ايراداتها بمصروفاتها وأوفى بما وعد حتى انفصل من رئاسة الشركة • ثم أخذ السيدان شيك كونتميخالوس لشركة جلاتلي هانكي فأعطوهما شيكا بمبلغ

مائة وخمسة وعشرين جنيها • ثم مرا على محمد مدني يحيى أعطاهما خمسين جنيها وأخذا من خواجات لم يذكرا أسماءهما كمالة الأربعمائة جنيها • ففاجأنا بما لم نأمله والله يرزق من يشاء بغير حساب •

كانت لى مع المرحوم ابراهيم باشا عامر صداقة عقدتها حالة البؤس بيننا من سنة ١٩٠١ لم تنقضها حالة ايساره غير الاعتيادى واعسارى الاعتيادى مهما بعد المدى بيننا وكنت أزوره كلما جاء السودان فزرته فى سنة ١٩٣٣ فى مكتبه بالسوق فلم يزدنى على أن حيانى مكتئبا • لم أسمع منه كلمة ترحيب ولا بشاشة استقبال كعادته فظننت وبعض الظن اثم انه تنكر لى فخرجت مغضبا وقلت لوكيله رضوان الخفاجي وعوض جبارة أخبرا ابراهيم أفندى عامر أنى مستاء جدا لترحيبه الفاتر لى وأكدا له أن هذا آخر لقاء بيننا وذهبت • فلما جاء فى سنة ١٩٣٤ لم أذهب له حتى جاءنى بالمدرسة خليفة رحمة الله الياس العامل بدكانه قائلا أرسلنى ابراهيم أفندى عامر بطلبك لمقابلته بدكانه • فرفضت السعى معه فقال لى أنى سمعته يقول لوكيله رضوان الخفاجي لقد بلغنى عن عمى وصديقى بابكر بدرى أنه عمل اكتتابا لبناء مدرسته ولم أجد فى حساباتكم مبلغا باسمه فالأحسن أن تقابله فذهبت معه تحت ضغط حاجتى الملحة لجمع مال البناء فلما دخلت عليه قال لى الجماعة أخبرونى بوصيتك لغضبك منى لفتور مقابلتى لك • فحينما دخلت على فى سنة ١٩٣٣ كنت رميت من يدى التلغراف الذى وصلنى باحتضار زوجتى ولذلك لم أستطع البشاشة مجاملة فعزيته وجرت بيننا هذه المحادثة •

(أ) ابراهيم
(ب) بابكر

(أ) ماذا عملت فى بناء مدرستك ؟
(ب) لم أتحصل من الاكتتاب ما يشجعنى •
(أ) لماذا ؟

(ب) برمبل بك لم يعطنى قطعة أرض ولم أجد الا ما يملك الشيخ محمد شبيكة من قطعة مساحتها ١٠٢٤ م٠م ويوجد بلصقها جارتها بمساحتها وصاحبها عارضها للبيع وقيمتها ١٥٠ جنيه وهو مبلغ أكثر من طاقتى •

(أ) اذا كنت تسجل القطعتين باسم المدرسة أنا مستعد أدفع ثمن القطعة الثانية مهما كانت •

(ب) هذا الوعد لا يمكن أن يكون محصورا بيننا وسأخبر به لجنـــة المدرسة •

(أ) أخبرها فقط الشرط تسجيل القطعتين باسم المدرسـة فرحت منـه مسرورا وذهبت توا للسيد عبد الرحمن الذى سر سرورا عظيما وعزم فى الحال على زيارة ابراهيم أفندى عامر لتعزيته فلما وصلنا منزله وانتهى واجب العزاء قال السيد يا ابراهيم أفندى الشيخ بابكر أخبرنى عنك بما سرنى منك • قال ابراهيم يا سيد عبـد الرحمن أنا أعرف عمى بابكر وقد ســمعت من المستر كرى أنه يقول بابكر بدرى أحسن معلم بالسودان وأنا يا سيد الألف جنيـه فى موضعها تسهل على كالمليم والمليم فى غير موضعه لا يسهل على اخراجه وفى الحال كتب لنا الشيك بالمائة وخمسين جنيها فكانت فاتحة باب لمـا تلاها من الاكتتاب حيث دفع الأمير عمر طوسون بواسطة فؤاد باشا أباظة مائة جنيــه ودفع السيد عبد الرحمن ستمائة وسبعين جنيها وأثرت وساطة المستر بنى وونتر فى برمبل بك حيث قدم لوفد اللجنة أرض الحملة فبنيت عليها المدرسة بأحسن شكل فى أبرز مكان برسم رئيس المهندسين وأحد أعضاء اللجنة ابراهيم أفندى أحمد الذى كلفنى سعادة المستر هول أن أهنئه على توفيقه لهذا الرسم فى هذه القطعة ، أحب أن ألفت قارئى الى أن للسيد عبد الرحمن اليد البيضاء فى بنـاء هذه المدرسة بفلوسه ونفوسه كما له اليد البيضاء فى الأخذ بيدها سنى عجزها الثلاثة حيث رتب لها مائة جنيها سنويا جزاه الله خيرا أمده بمدده الذى لا ينضب ولا ينقض • فى ١٩٣٤/٣/٢١ انجازا لموعـدنا للمأمور عبد الحميد عبـد الله قمت للقضارف بمعية الفاضلين الأمير كنتباى أبى قرحة وعبيد أفندى عبدالنور فى طريقنا لها وجدنا من الخليفة مصطفى بقرية أم ضبان والجيلى ٥ جنيه ومن الشيخ ابراهيم مدنى برفاعه ٣ جنيه ومن أهل الحديبه ٢ جنيه و ٧٠٠ مليم ومن المغازة ٤ جنيه ومن بيلا السوق بواسطة أحمد محمد أبو سن ٥ جنيه ومن قلع النحل من الناظر موسى يعقوب وتجار السوق ١١ جنيه ومن قرية بان ٢ جنيه ثم وصلنا القضارف فاكتتبوا لنا بـ ٨٠ جنيه لكنا حصلنا منها ٥٤ جنيه وبرجوعنا حصلنا على ٢ جنيه من العمـدة عايس ولد عبد الجليل بالمسلمية (حلة عبـد

الجليل) وحولنا كل ما حصلنا عليه للسيد عبد المنعم • فى يوم ١٩٣٤/٤/١٩ تفضل سعادة المستر وينتر بزيارة مدرسة الأحفاد رسميا لأول مرة رغم طلبى الملح عليه بهذه الزيارة فلما خرج منها بعد مكثه للتفتيش ساعتين وزيادة وأنا أشيعه حامدا شاكرا قال لى • ان المستر فيلد قال لى لا تزر الشيخ بابكر لأنك ان تزره يطلب منك أشياء فقلت له المستر فيلد لا يعتبر نفسه ملكا لأن الملوك يعملون لزياراتهم أثرا فسمح لنا بخمسة عشر جنيها سنويا نأخذها أدوات من مخزن المعارف سنويا استمرت الى سنة ١٩٣٧ حيث علمت أن اعانة المدرسة الأهلية صارت ٧٥ جنيها سنويا • قررنا زيارة المستر وينتر بكل أعضاء اللجنة بمكتبه ليزيد الاعانة فلما قابلناه بجمعنا سمح بعملها ثلاثين جنيها • لما خرجنا من المكتب وودعت الأعضاء المحترمين ورجعت لسعادته وقلت له يا سعادة السكرتير يزورك أحد عشر رجلا منهم من يملك مائة ألف جنيها أو أكثر ومنهم العين المحترم ومنهم من يشغلون مركزا ساميا بمصلحتك تكرمهم بخمسة عشر جنيها • فرد على بقوله أنت لماذا جئت بهم • قلت الآن جئت لسعادتك منفردا طالبا العدل ان لم أطلب الفضل وذلك بمساواة الأحفاد بالأهلية رغم زيادة تلاميذ الأحفاد على تلاميذ الأهلية • سألنى كم جنيها مساعدة الأهلية قلت ٧٥ جنيها • قال لا أعلم ذلك • قلت سعادتك ممكن تنظر دوسيه الأهلية وأنا راضى بمساواتها • لما جاءه دوسيه الأهلية تبسم وقال لى رفعت اعانة الأحفاد الى ٧٥ جنيه • قلت قرر ذلك بدوسيه الأحفاد فى هذه السنة • فنفذ ذلك مشكورا فلما أخبرت أعضاء لجنة الأحفاد سروا جدا • فى هذه السنة قرر لى مرتب قدره اثنا عشر جنيها من أول مايو وهو أول نقد تناولته من مدرسة الأحفاد • ولذلك فى آخر هذا العام نقص الايراد مائة جنيه من المرتبات دفعتها الدائرة سلفة على المدرسة وأظن الكاتب لم يقيدها لأنى لما أرجعتها ولم يجدوا لها أثرا عندهم فى تاريخ لم أحفظه أنتقدنى سعادة المستر وليمس بتأخير دفع المرتبات الى اليوم الرابع من كل شهر فقلت لسعادته تأخير أربعة أيام فى السنة لا يضير المعلم • قال جنابه فى كل شهر أربعة أيام لا فى السنة كلها • قلت : اذا صرف فى يوم ٤ يناير ثم صرف فى كل شهر اليوم الرابع وقد عرف هو وزوجته ومن يستجر منه من التجار أنه سيقبض مرتبه يوم ٤ من كل شهر فأصبح الكل ينتظرونه بدون تزمر فضحك جنابه وقال صحيح • فى أكتوبر من هذه السنة

تعين الشيخ شبيكه مدرسا بالأحفاد وتعين معنا مكى أفندى المنا بدلا عن حسن أفندى الحاج الذى طلبته مصلحة المعارف بالحاح • قررت اللجنة أن تكون النسبة المجانية لا تنقص عن ٣٢٪ ولا تزيد عن ٤٠٪ وتوالت منهم كتابة الوساطة لى بأن أخفض فلان وأعفو فلانا من المصاريف الكاملة وهى ثمانية جنيهات فى السنة وأتذكر أنه وصلنى كتاب من السيد عبد الله الفاضل يطلب فيه تخفيض مصاريف تلميذا أو معافاته مطلقا لفقر والده فرددت على سيادته بقولى اذا كان المتوسطة له فقيرا فان الواسطة غنيا • سيادتك يمكنه أن يدفع للفقير ما يطلب تخفيضه من المدرسة الفقيرة فدفع سيادته كل مصاريف ابن الفقير الى أن تخرج من رابعة وسطى ولما قابلنى ضحك ضحكا عاليا بخلاف عادته وشكرنى على صراحتى ومن ذلك اليوم صرت أصارح كل من يطلب منى تخفيضا من أعضاء الأمناء وأعتذر له بردى لطلب السيد عبد الله الفاضل •

سنة ١٩٣٥ :

من أول يناير سنة ١٩٣٥ ستفتتح فرقة ثالثة وسطى بالأحفاد لذلك أجرنا منزلا بلصق البيت الأول وعينا زين العابدين أفندى الطيب مدرسا لأن وساطتى له عند جناب المستر فيلد لم تنجح ولكنه لم يبق معنا غير سنة واحدة • فى يوم ٤/١٧ زار المدرسة المستر هنفرى مفتش أم درمان فانتهزت فرصة زيارته وطلبت منه ضم الزقاق المتصل بجنوب سور المدرسة والذى لا ضرورة لوجوده لعدم وجود باب منزل مفتوحا فيه والزقاق الذى غرب المدرسة يغنى عنه المارين فوعدنى بأنه سينظر فى أمره وبعد أيام جاء المساح فى الزقاق القبلى فأخبرنى بأنه سيمسحه ليضمه لمنزل الشيخ مدثر أبى القاسم هاشم فقابلت

فى يوم ٩/٧ رحلنا بالمدرسة الجديدة رغم أن بناءها لم يكمل لضيق البناء الذى كان به الكتاب ببرنامجيه السودانى والمصرى والوسطى من ثلاثة فصول ضيق الغرف وعدم الراحة للتلاميذ وقت الفسح وضيق الأدبخانات • غرفها كانت ٧×٥ م•م وقد أجرنا منزل أولاد الكمالى هاشم ومنزل ابراهيم مالك شغلناه حتى كمل بناء المدرسة ولمساعدة تلاميذ ثالثة عملت لهم هذا الجدول المختصر ليساعدهم على حفظ المقاييس وتحويلها •

بمكتبك محمد ابراهيم هاشم • فقال لى وقد تغيرت سحنته قدم لى طلبا بهذه الصفة فقلت له أعطنى باقى الزقاق وأترك أمرى معه فأعطانى من باقى الزقاق ثلاثة أمتار على طوله فقط • هكذا يعمل بعض الناس مستخدمين وظائفهم فى أغراضهم الخصوصية عفا الله عنهم •

فى يوم ١٢/٢٤ قابلت المستر اسكوت طالبا تعيين الطيب شبيكه ومعه واحد أو اثنين ممن تمموا دروسهم التربوية ليقودوا التلاميذ مع مكى المنا فوعدنى بالطيب شبيكه ومعه واحد •

فى يوم ١١/٢٦ زار المدرسة طلعت حرب باشا ومعه عبد المجيد سماحه وتبرعوا للمدرسة بـ ٢٥ جنيه فنشكرهم •

وبعد أن تم البناء زار السيد مصطفى أبو العلا المدرسة فوجد أثاث مكتب الناظر لا يتناسب والبناء الجديد ففى الحال ذهب للخرطوم وأرسل لنا متبرعا دستة كراسى خيزران ودولاب وتربيزة مكتب جزاه الله خيرا •

« حفل الافتتاح »

فى يوم ١٩٣٦/٢/١١ أحتفل بافتتاح بناء المدرسة الجديد رسميا فى حفل ضم نحو ستمائة شخصا من أعيان وكبار موظفين وطنيين وانجليز وغيرهم وقد تصدر المجلس صاحب السيادة العظمى السيد عبد الرحمن المهدى كما ألقى الخطبة الرسمية وقطع الشريط المستر سرسفيلد هول مدير الخرطوم نيابة عن الحاكم العام وقد مررت مع سعادته الغرف وبعد الانتهاء منها سألنى عن الأدبخانات فأريته مكانها الذى ستكون به والمزيرة وقد وصلها وأبدى ملاحظات نفذناها •

ونبهنى لمطبخ وبوفيه الذى لم أكن منتبها لضرورته الملحة للأولاد والمعلمين • ولما رجعت للجمع بمكان الاحتفال قدم الشنقيطى أفندى دفتر الزيارة لكبار الزائرين بمكتب الناظر فكتبوا أسماءهم وأنفض الحفل وبقى

السيد حفظه الله الذى طلب أولادى أحمد وعلى ويوسف وهنـأهم ودعا لهم
ولوالدهم بطول العمر وبلوغ الآمال وطلب منهم أن يقتـدوا بوالدهم الذى
سما بهذه المدرسة من روضة أطفال الى حالتها التى وصلت لها الآن فرد عليه
أحدهم أن هذا السمو لهذه المدرسة ينسبه كله والدنا لسيادتك فى كل مناسبة
ونحن معترفون به قلبا وجسما ولا شك أنه يكون أقوى رباط بيننا وبين سيدنا
رباطا لا يحله حال مهما حال أو حيل ثم دعا سيادته لنا مرة أخرى وخرج لعربته
مشيعا منا بما يستحقه من التجله والاكرام ٠ وفى صباح يوم ١٢/٢ بلغنى أن
بعض الموقعين أو الحاسدين أو المفسدين كما يسمون وأمثالهم قالوا لسيادته
أن المدير لم يذكر اسم السيد فى خطبته ولا شىء من احساناته المتعددة المتنوعة
على المدرسة وربما أن يكون للشيخ بابكر أصبع فى ذلك فرد عليهم سـيادته
أما سمعتم ووعيتم ما قاله الشيخ بابكر فى خطبته التى ألقاها فى الحفل الحافل
واعترافه بأعمالنا وأنه نسب كل نهوض المدرسة لنا مما لا يدع شـكا فيه أو
قبولا أو اتهاما مما وجهتموه للشيخ وفى اليوم زرت سيادته بسرايه بالخـرطوم
فلم أجد أثرا لما بلغنى وأكدت أن مبلغى غالبا هو الكاذب أو المحتال للقطيعة
ومن هنا بدأت الحملات على تظهر لى من بعض الناس حتى المتلصقين بى داخل
المدرسة شأن الناس الذين يختفون وقت تأسيس الأعمال النافعة خوف المشقة
الشاقة فى بنيـانها فمتى كملت وآن جنى ثمرها تنبهت فيهم غريزتا الحسـد
والطمع ونشطوا فى تقديمها أو الاستئثار بفائدتها وفى نسبتها لهم وأبعـاد
البـانين منها فى حياتهم أو بعـد موتهم سنة الله فى بعض خلقـه فمن
الملتصقين بى الذى ضم اليه الثلاثة معلمين وبدأ
يقول هؤلاء المعلمون الثلاثة يجب أن تعمل لهم ميزة دون أخوانهم لأنهم اذا لم
يميزوا لا يخلصون فى أعمالهم ولما كرر هذه العبارة وألح فى تنفيذها لفت نظرى
لأبحث عن السبب فبلغنى والعهدة على المبلغ أنه جمعهم بمنزله وأغـراهم بأن
يتحدوا فيما بينهم فى عدم تنفيذ أوامر المدرسة التى كثيرا ما يستبد بها الناظر
ويرسلها جزافا فبدأوا يعارضون فى قبول الأوامر فينتهز الفرصة الشيخ
ويبدى لى تهديدا فى قالب نصيحة يطلب منى موافقتهم على ما يقترحون لأنهم
ملمون بطرق التعليم الجديد فقلت له يوما أتريد أن نسلم أمر المدرسة لأطفال
تخرجوا هذه السنة مجهولة معلوماتهم وطريقة تعليمهم حتى سيرهم الخـارج

ونجهل تجاربنا الطويلة هل هم أحسن من مكى المنا وأمثاله وهل تضمن استمرارهم معنا سنين طويلة تمكنهم من اصلاح غلطهم حينما يتضح لنا ولهم أنا يا شيخ مهما أجلك لجليل عملك الرسمى لا يمكن أن أقبل هذه النصيحة أو أنزهها من غرض سيء فسكت ولكنه ظهر لى أنه مستمر فى الكيد من ذلك أنه صار اذا أرسلت ادارة المدرسة تعليمات يطلب من الفراش عرضها عليه أولا بصفته كبير المعلمين فيمضيها حالا ويتوجه سريعا لغرفة المعلمين يحرضهم على رفضها اقتداء باخوانهم الثلاثة الذين رفضوا الامضاء ولكنى رغم ذلك يجب على التمسك به لجودة أعماله ورقى معلوماته وانجاز أعماله فى أوقاتها مهما كثرت .

وفى يوم ما زار المدرسة الأستاذ ادوارد عطية ومر على الفصول كطلبى منه وأنا معه فوجد حسن زروق يدرس انجليزى بثانية وسط فلما خرجنا نصحنى بألا أعطى هذا الأستاذ دروسا انجليزية لأنه يجهل طريقة تدريسها وضعيف فى مادتها فاتفق أن المدرسة الأهلية تطلب من المعارف مدرسا حائزا على شهادة المعلمين الجدد فتبرعت لهم بحسن زروق فتخلصت منه وأنا مشكور وعين بدله مالك ابراهيم . وفى يوم وصلنا القرار من مصلحة المعارف بأخذ درديرى منا من أول سنة ٣٧ وأخذ فعلا . بقى الطيب شبيكه لسقوطه طبيا فى البصر ولكنه أخذ يحاول لقبوله ففى يوم لا أذكره أخبرنى أنه عنده راحة من الدكتور لألم بباطنه ولكنى ذهبت لمصلحة المعارف فلقينى الطيب نفسه خارجا منها ولما رآنى اضطرب وبسؤالى له ثانى يوم علمت منه ومن غيره أنه يحاول التحاقه بالمعارف ولو أخبرنى لساعدته .

فى يوم ٣٦/١١/١٢ طلبت للحضور بسراى السيد بالخرطوم فوجدت مجلس الأحفاد لمدرسة الأحفاد منعقدا فعرضوا على منحى علاوة ٣ جنيهات لمرتبى ليكون ١٥ جنيها وأتنازل عن طلبى ٥ جنيهات علاوة لبعض المعلمين فرفضت وقلت لهم أنا لا أعلم بمفردى ولو كنت أنا أحد المعلمين وأجد نفسى محروما مما أستحقه من العلاوة حينما يأخذ رئيسى علاوة كهذه لا أشتغل معه بأى حال فاذا فكر الأربعة معلمين تفكيرى هذا وخرجوا هلا يقف عمل المدرسة برهة طويلة وتقبح سمعتها ان لم تصدقوا بهذه العلاوات فسأتنازل بها من

مرتبى وأكتفى بالسبعة جنيهات الباقية منه فقال السيد حفظه الله هذه نبالة منك يا شيخ بابكر وسنصدق بالعلاوات كطلبك وفعلا صدق بها .

فى آخر السنة وجد عجز بلغ مائة جنيها استلفناها من الدائرة وارجعناها لها من ايراد سنة ٣٧ .

ظهر فى آخر هذه السنة أن المبلغ الذى جمع لبناء المدرسة يقل عن تكاليفها وهو كالآتى :

	جنيه
جمع من التذاكر	٢٢٣
ابراهيم أفندى عامر	١٥٠
بابكر بدرى	٧٧
السيد عبد المنعم	٥٠
شركة حسنين أبو العلا	٥٠
الأمير عمر طوسون	١٠٠
اكتتاب الخرطوم	٤٠٠
السيد العظيم	٣٠٠

والمجموع ألف وثلاثمائة وخمسون جنيها . فقال السيد حفظه الله أكملوها وحاسبوا الدائرة فكان ما تمم بها ستمائة وسبعين جنيها على أن كانت الأسعار هكذا ألف الطوب الأحمر أربعة وستون قرشا . جوال الأسمنت الكبير ثلاثون قرشا . ألف الطوب الأخضر ثمانية قرش ومتر التراب ٦ قروش . عربية الرملة للأسمنت ثمانية عشر قرشا . مصنعية البناء المتر المكعب ثمانية قروش . حفر الأدبخانات طول عشرة أمتار وعرض متر ونصف المتر عمقا خمسون قرشا لعمق عشرة أمتار . هكذا كانت الأسعار أعجب يا قارئى وقارن بينما كان وصار .

ويجب أن أسجل هنا المجهود العظيم والفن المعمارى الجميل الذى قدمه المهندس البارع الأستاذ ابراهيم أحمد فى رسم خرطة المدرسة فى قطعة الأرض المعوجة هذه وقد قام بهذا العمل تبرعا دون مقابل .

كما يجب الاعتراف من الأجيال القادمة للسادة مصطفى أبو العلا وعبد المنعم محمد اللذان فتحا خزنتهما لاكمال المدرسة وأشرفا على بنائها ماديا وأدبيا

حتى اكتملت بهذه الصورة المرئية للجميع والتى ستبقى ذكـرى لهم على مر الأجيال •

((سنى العجز المالى))

لما رأيت أن ميزانية المدرسة مرهقة منذ عام ١٩٣٦ وازدادت نقصا فى عام ١٩٣٧ فكرت فى عمل سوق خيرى كبير فعرضت فكرتى هذه على السيد الذى شجعها ووعد باحضار مصنوعات من الجزيرة أبا وانه يشترى من المعروضـات الأخرى بمبلغ كبير • عرضت الموضوع على المستر والس مفتش أول أمدرمان آنذاك فوافق مسرورا ووعدنى بأنه سيسمح للسيدة قرينته بتشجيعه واختار مكانه بالأحفاد فشكرته فلما حضرت له فى تعيين اليوم أحالنى الى مسـاعده المستر تيلر الذى قال لى ان المدرسة الأهلية طلبت منه عمل سوق خيرى طلبا شفهيا قلت له أنا كنت طلبت من المستر هنفرى الزقاق الواقع قبلى أى جنوب المدرسة (الأحفاد) ليضم لها فقال لى أن الشيخ مدثر طلبه تحريريا فيقــدم الطلب التحريرى على الطلب الشفهى والآن جنابك تقدم الطلب الشفهى عـلى التحريرى وقلت له أنى أرضى أن تكون نتيجته مناصفة بينى وبين الأهلية قال لى اذا احتج أعضاء لجنة الملجأ قلت له نقسم المتحصل أثلاثا متساوية • قال لى جنابه لا تتفقوا فى المكان قلت له أنتم الذين لا تتركونا نتفق وأنا أقول لك اذا أرادوا قيام السوق فى المدرسة الأهليـة أو فى الملجأ أو فى الأحفاد أنا أقبـله بارتياح واذا اختلفنا بعد كل هذا فسنأتيك فأهزأ بنا فسكت وعمل السـوق فحصلنا منه على ألف وثلاثمائة جنيها كان نصيبنا بعد المصاريف ٣٦٧ جنيـه لكنه لم يقم لنا بتسديد العجز الذى استلفنا له من السيد عبد الله الفاضـل ١٢٠ جنيه سددنا ماله من أوائل مصاريف سنة ٣٨ • فى هذه السنة خرج من المدرسة والكتاب اثنا عشر معلما وهم حسن الطاهر زروق ، الدرديرى عثمان ، حسن أحمد خوجلى ، أحمد مصطفى بتى ، عبد الله محمد عبد الله ، كامـل ابراهيم لطفى ، عوض صالح ، سعيد محمد الطيب هاشـم ، الطيب شبيكه ، عبد الله حمدنا الله ، على عبد الرحيم ، أحمد عمر الشيخ • منهم ثمانيـة من معلمى الوسطى وأربعة من مدرسى الكتاب فعوضناهم بهاشم أفندى الكمالى ،

محمد فضل المولى ، محمد النزير عبد الله ، سعيد دسوقى القبانى ، الشيخ محمد عبد القادر ، صلاح الدين عبد الله،مالك ابراهيم مالك . وللكتاب حسن عبد الحفيظ ، سيد أحمد محمد عبد الرحمن . واكتفينا بتخفيض فرقتى رابعة كتاب الى فرقة واحدة وفى هذه السنة ارتفعت سمعة المدرسة بقبول سبعة تلاميذ بكلية غردون حيث هنأنى مديرها صديق السودان وصديقى المستر وليمس لهذه النتيجة الحسنة . لكن انبرى لنا ناظر مدرسة أم درمان الأميرية صار يسحب الأولاد منا بدعوى أن آباءهم طلبوا منه نقلهم من الأحفادللمدرسة الأميرية فنجيبه بعدم المانع خصوصا المبرزين منهم فتدهورت نتيجة المدرسة حيث قبل منهم فى سنة ٣٨ نحو ١٢ ولد .

واستمرت المدرسة فى هبوط ماليا ونتائج لولا أن السيد حفظه الله صار يعطينا فى آخر كل سنة مائتى جنيه لتسديد العجز . فى هذه السنة ضم لأمناء الأحفاد السيد عبد الله الفاضل ففى جلسة عملوا حساب الكتاب بالمدرسة فوجدوه يعجز ٤٥ جنيها فقرروا لغوه ولما كنت أحصل منه على تلاميذ ناجحين فى دروسهم قبلت عجزه بعد هذه الحجة على حسابى الخاص فقبلوا ذلك بدفاع السيد عبد الله . وفى هذه السنة حمل على بعض أعضاء اللجنة سامحهم الله حملة شعواء حتى مضيت للسيد وقلت لسيادته أنت قلت لى جملة ما كانت لها فى نفسى قيمة لكنى الآن أخذت أشعر بأثرها قال لى ما هى . قلت طلبتنى مرة وقلت لى نغير اسم المدرسة قلت لسيادتك احفظوا لى اسم الأحفاد واسبقوه بما شئتم من الأسماء فقلت لى سيادتك أنا أحسن أتيك فى هذا الطلب بواسطة أفراد اللجنة فالآن أقول لسيادتك أنهم أتعبونى لدرجة أنى فكرت فى أحد أمرين أما أخرج من المدرسة وأتركها لهم أو أعرض الأمر على الحكومة لتفصل بينى وبينهم قال لى سيادته من هذا اليوم لا يتداخلون فى شخصك ولا ئ أعمالك المدرسية وفعلا خفت وطأتهم على . زرت مرة السيد بمنزله بالعباسية فوجدت معه السيد محمد الخليفة شريف فلما رآنى قال للسيد يا سيدى عمى بابكر ملأ المدرسة كلها من الرباطاب معلمين قلت للسيد نحن بالمدرسة من المعلمين الرباطاب ثلاثة ونصف فضحك السيد وقال أفى الناس نصف قلت نعم أنا وعبد الكريم أخى والشيخ شبيكة ـ نحن رباطاب ـ وابراهيم ادريس والدته بنت أختى ووالده عمرابى وأن حاجة المدرسة لكل واحد منا أكثر من

حاجته اليها ٠ فضحك السيد وصرف الحديث الى ما فيه مصلحة المدرسة ثم قلت للسيد محمد الخليفة شريف خرجوا من المدرسة ثمان معلمين بالوسطى وأربعة معلمين بالكتاب ولو كان ناظرها غيرى لقفلت المدرسة ٠

فى مرة قال لى السيد المدرسة قالوا نتيجتها ضعيفة فالأحسن نحول اعانتها منا لمدرسة غيرها ٠ فقلت هذا تهديد يا سيدى ألا تذكر قولى لسيادتك سنة ١٩٣٦ أنا داخل المدرسة وأنت خارجها والباقون غيرنا لا يعلمون عنها شيئا ففى هذه السنة نتيجة المدرسة رغما عن استبدال كل معلميها عدانا أنا والشيخ شبيكه وابراهيم ادريس وعبد الكريم بدرى فوق الوسط بالنسبة لمجموع المدارس بالمعارف فاذا كنت فى شك فأرسل لسيادتك كشف ترتيب المدارس المرسل من المعارف فقال كلامك عندى أصدق من رؤيتى للكشف ٠

فى يوم ٣٨/١١/٥ حضر المستر لين ليفتش المدرسة فعرضت عليه حسابات المدرسة بعجز ١٦٠ جنيه بعد اعانة السيد المائتين جنيها فقال لى أطلبها من المعارف قلت المعارف أعانتها للمدرسة ٧٥ جنيه وهذا العجز بعد خصمها فقال لى المستر لين المصلحة تعين مدارس الارساليات بالجنوب بما يزيد عن عشرة آلاف جنيها فاكتب لها وبعد أن حصلنا مصاريف شهر ديسمبر سنة ٣٨ فلم تزد عما قدرناه لها عملت حساب المدرسة العجز من اثنى عشر صورة الـ ١٦٠ جنيه وزعت عشر صور لأمناء المدرسة وصورة للمعارف وصورة للدائرة فلم يصلنى خبر من أحد فاستلفتها من السيد عبد الله الفاضل أتممت بها ماهيات ديسمبر سنة ٣٨ وأكبر سبب فى هذا النقص خروج التلاميذ للمدرسة الأميرية بالدعاية لأولياء التلاميذ ضد الأحفاد (أنا فى هذا الاضطراب المزدوج ونفسى تنزع لانشاء فصل ثانوى) ولذا سمعت بأن فى أتبرا رجل قبطى يتكلم الانجليزى كأهله لأنه مكث بانجلترا ١٧ سنة وعارض نفسه ليكون مدرسا بالمدارس الوسطى بأى قيمة ليظهر معلوماته أولا حتى يطالب بقيمة عمله فذهبت لأتبرا وتعاقدت معه بمرتب ١٢ جنيه فى الشهر وفعلا جاءنا مدرسا بالأحفاد من ٣٩/٢/١ ولكنه خرج منا فى ١٩٤٠/٤/٤ ٠

((تفكيرى فى انشاء قسم ثانوى))

صورة أول خطاب أرسل لمدير المعارف بطلب فتح فصل ثانوى بمدرسة

الأحفاد • ولم يصادف الطلب قبولا بل صار عند بعض النـاس حتى بعض من أمناء المدرسة أضحوكة خيالية •

الأحفاد فى ٢٠/٦/٣٩

سعادة مدير المعارف

بما أن القطر فى حاجة ماسة الى التعليم الثانوى فقد رأيت أن أسـاهم بانشاء قسم ثانوى وغرضنا أن نساعد أبناء السودانيين وهو نفس الغـرض الذى فتحت لأجله قسما لروضة الأطفال ومدرسة أولية وأخرى وسطى وهذه الأقسام تنضم تحت اسم مدارس الأحفاد بأم درمان •

وانى أطلب الاذن بفتح هذا القسم ابتـداء من أول سنة ٩٤٠ بالشروط الآتية :

١ ــ لا يزيد عدد تلاميذ الفصل عن الثلاثين •

٢ ــ المصروفات السنوية للطالب ١٥ جنيها وفى حالة انشاء قسم داخلى فأنها تكون كمصروفات الطالب الداخل بكلية غردون •

٣ ــ لا نطلب أى منحة مالية لهذا القسم الا اذا رأت الحكومة داعيـا لذلك •

٤ ــ سوف لا نحتاج لأى مدرس من مدرسيكم ولكن يمكن أن نحتاج بهم كمرشدين اذا أذنت لهم الحكومة بذلك •

٥ ــ ان البروجرام هو نفس البروجرام المتبع بكلية غردون ونشـكركم اذا تكرمتم بارشاداتكم عن الكتب التى تستعمل فى كل فصل •

٦ ــ قد قررنا أن نأتى بالمدرسين مع ملاحظة أخلاقهم ومؤهلاتهم من مصر أو سوريا •

٧ ــ ان انشاء قسم ثانوى مصرى لا تأثير له حسب اعتقادى فى انشـاء هذا القسم لأن بروجرامنا يختلف كليا عن بروجرامهم ولأن تلاميذنا الأذكيـاء يمكنهم الالتحاق بالمدارس العليا والحكومة لامتحان السكرتير الادارى •

٨ ــ وفى حالة عدم وجود العدد الكافى من الأولاد الذين يستطيعون دفع المصروفات الكاملة سنترك فكرة فتح هذا القسم لأنه من البديهى لا يمـكن ايجاد مدرسة بدون طلبة ومدرسين ومال كاف وبناء ــ أرجواعطائى هذا الاذن

حتى أستطيع أن أتحصل على المدرس الكفء الذى يدرس الرياضة بالقسم الثانوى .

المدرسون : تحتاج السنة الأولى الثانوية الى مدرسين أحدهما زكى أفندى تادرس الذى حصل على شهادة الـ الماتر كلوشن من جامعة لندن سنة ١٩٢٢ والذى قضى مدة ١٨ سنة بين انجلترا واسكوتلندا وله خبرة عظيمة بمهنة التدريس وكان مدرسا للانجليزى بالسنتين الرابعة والخامسة ثانوى بالمدارس المصرية وهذه الفصول توازى الفصول التى تؤهل لنيل شهادة الـ الماتر كيولشن بالسودان ولهذا الأستاذ أيضا المام تام بعلمى الطبيعة والكيمياء ـ والمدرس الثانى نحتاج اليه لتدريس الجغرافيا والتاريخ بالعربى وأرفق لكم من طيه ميزانية مقدرة لأربعة سنوات راجيا أن ينال قبولكم .

المخلص

بابكر بدرى

حيث لم يصلنى خبر من أحد سنة ٣٩ وأعملت فكرى فى تحسين مالية المدرسة التى أصبحت مدينة بالمائة وستين جنيها ومهدده بقطع اعانة السيد التى هى مائة جنيها وكل المعلمين القدامى الأربعة يستحقون علاوة فوجدت أنه ليس لى طريقة أخلص بها من هذا المأزق غير انى أرفع المصاريف لفصلى أولى الجديدين سنة ٣٩ لعشرة جنيها بدل ٨ جنيه وأن أفتح فصلا ثالثا لأولى فى سنة ٤٠ اذا وجدت تلاميذ يكونون فصلا وفعلا عند قبول فصلى أولى الاعتياديين . قبلت بكل فصل ٤٥ تلميذا بواقع عشرة جنيهات فى السنة وما زال سيل التلاميذ راغبى الالتحاق لم ينضب توكلت على الله تحت هذا الضغط المالى وفتحت فصلا ثالثا لأولى فى سنة ٤٠ كما سيأتى دون شورة أمناء المدرسة الذين لا آمن من اختلافهم فيه ولا طلبت الاذن من المعارف التى ستوقف التصديق أن لم تمنع . وفى يوم ١٢/٣/٤٠ جاءنى سعادة المستر وليمس وكيل المعارف قابلته عند باب المدرسة الخارجى فلم يحيينى ببشاشته المعتادة ثم قال بحزم أين الفصل الذى فتحته بدون تصديق . قال لى هذا هو ووقفنا عند بابه فقال لى نحن لم نعترف به قلت أطرد التلاميذ قال لى أنا لا أستطيع طردهم قلت أطلب مفتش أم درمان يطردهم قال هو أيضا لا يملك طردهم قلت له ومن يملك طردهم . قال أنت الذى تملك طردهم ويجب عليك أن تطردهم . قلت ياسعادة

المدير أنا قبلت أربعين تلميذا وأخــذت منهم مصاريف شــهرين وبدأت فى مصاريف الشهر الثالث وأحضرت لهم غرفة ومعلمين وأدوات وأطردهم فى ثالث شهر . أولياء أمورهم يشتكونى بأنى حرامى محتال عـلى أكل أموالهم دون وجه جائز قال لى سعادته لم أزل أقول أن المصلحة لا تعترف بهذا الفصـل . قلت لسعادته ما دام المصلحة لا تملك طردهم فعدم اعترافها بماذا يضرنى قال لى ما نقبله فى الاعانة قلت أعانتكم سبعة عشر جنيها وأنا آخذ من هذا الفصـل أربعمائة جنيها أسدد منها دينى البالغ ١٦٠ جنيه وأسدد منهـا مواهى المعلمين الذين منهم من مرتبه ١٢ جنيه واثنان منهم ١٠ جنيه لكل واحد ثم قلت لسعادته أمشاك نشرب قهوة فتبعنى متكرما لمكتب الناظر وبعد شرب القهوة ودعته وقد نصح لى بأنى لا أعود لمثل هذا .

لم يجد طلبى للثانوى فى العام الماضى عند المستر كوكس مدير المعـارف قبولا حتى ولا ردا كتابيا وأنكره كثير من الناس . فعرضت مرة أخرى للمستر روزفير الذى خلف المستر كوكس طلبى فأجابنى عليه بضحكة عالية .

فى يوم ١١/١٩ عرضت على اللجنة رغبتى فى تعيين معلمه متخصصـة فى تعليم أطفال الروضة بمدرسة الأحفاد فرفضوا دخول أى امـرأة مع الرجال بالمدرسـة وكان نظرى أن الأطفال ذا الأربع سنوات الى خمس سـنوات لا يتحملون تعليم متخرجى قسم العرفاء من المدرسين فوافقتهم .

فى يوم ٢/٢ طلبنى السيد وقال لى أكتب لمجلس الأمنـاء اخبرهم رسميا بسبب تأخير المدرسة فى مستواها العلمى ونتيجتها عن المدرسة الأهلية فقلت لسيادته أنا معترف لسيادتك بأن لك الحق أن تشرف على مدرسة الأحفـاد وتسأل عنها لأنك دفعت فى بنائها الحالى ستمائة وسبعين جنيها من جيبـك الخاص ودفعت لها أربعمائة جنيها فى سنتى ٣٧ ، ١٩٣٨ لسد عجزها ولكنى لا أعترف لأمناء المدرسة بهذا الحق وقد أخبرت سيادتكم بأن السبب خروج ثمان مدرسين من الوسطى فى عام ١٩٣٧ ولو كان القـائم بها غيرى اوقفت حركتها لأن خروج ثمان مدرسين فى عام واحـد والحصول على غيرهم ليتولوا جداولهم لأمر صعب لأنه اذا وجدا لكم لا يوجد الكيف أى اذا وجد العـدد لا توجد الكفاءة التى تنطبق تمام الانطباق بين القدامى والمستجدين فسـكت

سيادته مقتنعا بحجتى فى يوم ٤٠/٣/١٧ زار المدرسة المستر هيلارد مفتش المركز وأخبرنى انه حصل على أمل كبير من الحكومة العليا على التصديق بما يقرب من ستمائة مترا من الأمتار المربعة تضم الى أرض المدرسة لتوسعتها وبعد مدة أخبرنى بأن هذا الأمل خاب بمعارضة قوية لأنهم أرادوا أن يبقى هذا الشارع دون أخذ منه فطلبت منه المثلث الذى شرق شارع الموردة وغرب الشارع المار بالجامع المحصور بينهما لنبنيه لكتاب فقال لى هذا المثلث محجوز لعمله منتزها كما قال المستر والس قلت لجنابه هناك قطعة أرض كتب عنها اللورد كتشنر بخطه لتكون منتزها وجاءت ظروف بنتها سينما (أقصد سينما قديس) ومستر هيلارد هو الذى صرح بعملها سينما لقديس فنهض قائما وقال والله يا شيخ بابكر أنا لست ضدك ثم التفت جنوبا وأشار لى للمحل الذى بنينا به المدرسة الثانوية وقال لى ان المثلث به ثلاث عيوب الأول محصور بين شارعين كبيرين يخشى على الأولاد الصغار من صدمات العربات وغيرها الثانى انه منخفض جدا يكلفك ٣٠ جنيه ترابا فى مساواته للشارعين الثالث انه رقيق جدا فى جنوبه ثم أشار للجنوب وقال لى اذا أعطيتك فى هذا المكان تكون مبسوطا قلت أكون مبسوطا جدا . قال تريد كم مترا قلت ألف مترا قال بكم تشترى المتر قلت لجنابه آخذه مجانا قال لى جنابه أكتب طلبا . تناولت من مكتبه ورقة وبقلمه كتبت له الطلب فى الحال فدار الطلب دورته الرسمية وجاءنى التصديق بالألفى متر — فى ١٩٤٠/٤/٤ جاءنى زكى تادرس المدرس بمدرسة الأحفاد القبطى الجنس وطلب منى سلفة عشر جنيهات ليشهل بها زوجته لمصر وقبض ماهيته عن شهر ابريل مقدما على أنه مقيم بالمدرسة ويخصم المبلغ من مرتبه ثم سافر مع زوجته بلا وداعنا فهذه أخلاق القوم ثم أخذنا فى سبتمبر سنة ١٩٤٠ المعلمين عبد الحميد أفندى المنوفى وقبله فى نفس الشهر جابر بشاى القبطى وكلاهما من مدرسة الأقباط الثانوية رجاء أن أعلمهما نواه لمعلمى الثانوى المزمع فتحه عبد الحميد للعربى وجابر للرياضة وكنت معتمدا على زكى للانجليزى ولكن زار المدرسة مستر هيبرت وبعد تفتيشه على ذكى فى رابعة وسطى قال عنه انه يتكلم الانجليزى كأحدنا ولكنه لا يعرف كيف يدرسه للتلاميذ . فأعطيت هاتين الفرقتين لمحد فضل المولى فى ٤/٢٦ قابلت مستر سكوت وكان ناظرا للثانوى الأميرى بأم درمان أخبرته انى أنوى فتح قسم

ثانوى بالأحفاد ٠ فقال يقف أمامك وجود المعلمين له قلت له يا مستر اسكوت انت ألحقت ٠٠٠٠ مدرسا بالثانوى فأنا أعجز من وجود مثله فسكت ولكنه أخرجه من الثانوى فى عامه ولم يقل لى معه كثيرون أكفاء ٠

فى يوم ٤١/٢/١١ اجتمعت بسعادة المستر وليماس ليلا بمنزل الرى المصرى بالخرطوم بعد العشاء ففاجأنى بقوله لى انت ما عندك بمدرستك لجنة قوية كلجنة المدرسة الأهلية وكان كلامه بحزم كالمغرى به فقلت له سعادتك ألا تعرف الفرق بين ناظر مدرسة الأحفاد وناظر المدرسة الأهلية قال ماهو الفرق بين الناظرين قلت لجنة المدرسة الأهلية كونت المدرسة كاملة وعينت الناظر مستخدما عندها وناظر الأحفاد كون المدرسة بمفرده ثم عين لها اللجنة فقال صحيح والله وسكت ٠

فى يوم ٣/١٣ عرض على عبد الحميد أفندى المنوفى فكرته فى تمثيل رواية عبد الرحمن الناصر لحساب المدرسة وبعد أخذ ورد وافقته فوزعها على معلمين اختارهم حضرته لها فحفظت ومثلت فى يوم ٣/١٨ فنجحت ووفرت بعد مصاريفها الكبيرة القيمة وفرت ٤٢ جنيه اثنان وأربعون جنيها ٠ فى شهر مارس حضرت زوجة زكى أفندى تادرس وهى غير معترف بها زوجة شرعية ولما أتعبته وشغلته من عمله طلب منى عشر جنيهات يسفرها بها وأخصم منه جنيهين شهريا فلما سلمها العشر جنيهات أو لما استلمها منى جاءنى مرة أخرى وقال لى ان المرأة رفضت السفر بنفسها فأعطونى اجازة أسبوع أوصلها الشلال واصرفوا لى ماهية ابريل مقدما فأخبرت اللجنة بطلبه فصدقوا له فاستلم المبلغين وسافر ٠

عزت طلبى كتابة بالتصديق لى بفتح قسم ثانوى فقال لى المستر روزفير المدير انت مدرستك لا عندها مستوى علمى ولا مستوى مالى فكيف تطلب فتح ثانوى فلا أخفى عليك يا قارئى انى خجلت وسكت فى شىء من المفاجأة ٠

الصراع مع مصلحة المعارف بشأن فتح الثانوى

مصلحة المعارف بالخرطوم

الخرطوم فى ١٥أغسطس ٣٩

حضرة المحترم الشيخ بابكر بدرى ــ ناظر مدرسة الأحفاد بأم درمان

بالاشارة الى الطلبين المقدمين منكم الى سعادة مدير المعارف عن :

(ا) الاذن لكم بفتح قسم ثانوى بمدرسة الأحفاد (ب) زيادة الاعانة المالية التى تمنحها الحكومة لمدرسة الأحفاد

قد طلب منى مدير المعارف المستر كوكس أن أخبركم انه فيما يختص بالطلب الأول أى فتح قسم ثانوى فى سنة ١٩٤٠ فهو يأسف لعدم تمكنه من التوصية على طلبك لدى صاحب المعالى الحاكم العام باعطاء التصديق بفتح قسم ثانوى بأم درمان . أن اعداد التسهيلات للتعليم الثانوى أمر يهم الحكومة المركزية ان كان هناك حاجة ملحة له وان مستوى التعليم سيكون عاليا والمستر كوكس يأسف انه لا يعتبر الأحفاد فى الوقت الحاضر فى حالة تمكنها من ادارة قسم ثانوى بكفاءة — وقبل اعادة النظر فى هذا المشروع ليست من الضرورى فقط رفع مستوى التعليم فى مدرسة الأحفاد بل يجب أن تسير المدرسة الوسطى على قواعد مالية أمتن مما هى عليه الآن — وهو يتعشم من أن تمكن لجنة المدرسة من أن تقوم بدور أنشط فى رقابة المدرسة وأن يكون فى مقدور مصلحة المعارف مراقبتهــا عن كثب فى المستقبل — أما فيما يختص بالطلب الثانى وهو زيادة الاعانة للمدرسة الوسطى فسعادة المدير يأسف انه لم يتمكن بعد من عمـل توصيات نهائية . ولكن ثق أن الموضوع حائز لديه عناية وانك ستفاد بالنتيجة بأسرع ما يمكن .

نائب مدير المعارف

و. ب. الا جيمسون

وصلنى هذا الرد لكتابى الأول ولم اقتنع ولم ايئس بل كتبت طلبا آخر فى تاريخ آخر فى ١٣ يناير سنة ١٩٤١ بعد أن قرأت هذا الرد مرارا وفحصت نقاطه فحصا دقيقا سلطت العقل فقط لم اجعل للحظ ولا لتهمة الامر به ولا للكاتب له يشوب نفسى وقت فحصه بدقة بريئة رغم ما بلغنى من أن بعض مـواطنى عفى الله عنهم طلبوا المستر كركس بمنزل أحدهم فى وليمة شاى وحملوه من ناحيتى بأنى آخذ من ايراد المدرسة لنفسى فى بناء بيتى ومصاريفى فوق مرتبى وانى ممستبد بالمدرسة والله يعلم انهم يكذبون وبلغنى انه لما سمع الشيخ احمد عثمان القاضى ماقاله هؤلاء من اتهمنى بأنى آكل من ايراد المدرسة قال هل الشيخ بابكر بدرى يريد أن يجعل فى طعامه لونا ثالثا فيأخذ قيمته من ايراد المدرسة كذب من اتهمه بذلك جزاه الله عنى خير الجزاء فليته زاد فى قوله أين كان هؤلاء

المتهمون له حينما كان يدفع من معاشه الضئيل ما بين جنهين الى ست جنيهات لتمام مرتبات المعلمين .

فى ١٩٤١/١/١٣ .

صاحب السعادة مدير المعارف السودانية

أرجو أن تسمحوا لى بالتحدث من جديد مع سعادتكم فى شأن القسم الثانوى الذى طلبت منذ ٢٠ يونية سنة ١٩٣٩ انشاءه فى مدرسة الأحفاد بأم درمان والذى جرت بخصوصه عدة محادثات شفوية بين كبار رجال المعارف وبينى فى مناسبات مختلفة .

ويدعونى الى العودة لهذا الحديث ما أراه وما لا أشك ان سعادتكم ترونه من حاجة الأهلين الى تعليم أبنائهم وحيرتهم الشديدة لضيق مجال التعليم أمامهم وسعادتكم تعلمون الرغبة الأكيدة التى تعم نواحى البلاد فى نشر التعليم وتنوير الأذهان وقد سايرت الحكومة هذه الرغبة وخصوصا فى الأعوام الأخيرة ولكنها لم تستطع أن تفتح الباب الا لعدد ضئيل من راغبى التعليم واضطر أكثرهم كارها الى الوقوف عند نهاية التعليم الابتدائى واضطر آخرون الى الالتجاء الى المدارس الأجنبية التى تسير على مناهج تعليمية قد لا تتفق مع حاجة بلادنا واتجاهها الثقافى

ورجل مثلى اشتغل بالتعليم وساير تطوره منذ نشأته فى العهد الحاضر وعاون الحكومة وأهالى البلاد على تحقيق رغبة الجميع فى رقى التعليم وتقدمه وفكر فى انشاء الخلوات وتعليم البنات وأرضى الناس فيما يختص من ضرائب التعليم وانشاء مدرسة كبيرة هى مدرسة الأحفاد شملت ثلاثة أنواع من التعليم العام روضة الأطفال والتعليم الأولى والتعليم المتوسط أقول ان رجلا مثلى هو أول ما يحق له أو يجب عليه أن يفكر تفكيرا جديا فى انشاء قسم ثانوى لصالح البلاد ولمعاونة الحكومة وتخفيف الضغط عليها لذلك كنت قدمت طلبى الأول فى يونية سنة ١٩٣٩ ولا زلت حين أقدم هذا الآن معتمدا على ثقة سعادتكم فى ماضى الطويل ولحاضرى الناجح فى شئون التعليم المختلفة واننى والحمد لله لست أخاف الفشل فى مشروعى هذا الذى أطلب الى سعادتكم موافقتى عليه مادام رائدى قبل كل شيء المصلحة العامة وخدمة البلاد وحمل جزء من أعباء الحكومة فى نشر التعليم وقد فصلت لسعادتكم فى طلبى الذى قدمته فى يونيو

سنة ١٩٣٩ التقديرات المالية التى أتوقعها لهذا المشروع ويزيد فى ثقة من الوجه المالية أن الحكومة زادت المصاريف لتعليم الثانوى الخارجى الى ١٨ جنيـــه وسأفتدى بالحكومة طبعا فى هذه الزيادة ولذلك يزداد أيراد هــذا القسم ٩٠ جنيها عن الصغرى للسنة الأولى وتتضاعف هذه السنوات الثلاثة التى تليهـا ولذلك سأعنى كل العناية بجعل التعليم فى هذا القسم فى مستوى عال جـدا حتى يتمشى مع مثيله فى كلية غردون وحتى تنال سمعة طيبة وثقة كبيرة بنجاح تلاميذه فى الامتحان النهائى وفى امتحانات النقل التى ستكون بالطبع بمعرفة كلية غوردون ومع تلاميذها سنويا ثم اننى سأعنى بتنفيذ السياسـة التعليمية والادارية التى تضـعها الحكومة تنفيذا دقيقا وسأتبع فى ذلك توجيهـــاتها وارشاداتها تحت اشراف سعادتكم والمفتشين الذين تنتدبونهم لذلك وسأتصل دائما كما يتصل معلموا هذا القسم اتصالافعليا بأساتذة كليةغردون ليسترشدوا بعلمهم ومتى توفرت كل هذه العوامل وهى متوفرة والحمد لله فلا خوف مطلقا من الفشل على اننى أعتقد ولعل سعادتكم تعتقدون معى اننى اذا فشلت لاقدر الله فمعنى هذا أن غيرى من الناس والهيئات لن يتقدم اليكم مثل طلبى لأن رجلا فى مثل خبرتى أقدر على النجاح وأولى به ففشلى يسد الباب على كل طامح الى مثل هذا العمل يا صاحب السعادة أن التعليم من المسائل التى يجب أن يتعاون فيها مع الحكومة كل من يرى فى نفسه الكفاءة لذلك كضريبة عليه لبـلاده ولن تستطيع الحكومة وحدها أن تسد حاجة النـاس كلهم الى التعليم فاذا ألححت طالبا التسريح لى بفتح قسم ثانوى فاننى مؤمل بأن حكومتنا الحكيمة لاترفض هذا الطلب بل تؤيده وتشجع عليه لتتمشى مع سياستها المعقولة فى نشر التعليم ولتخفف من الكلية ضغط طلبات الجمهور الملح فى تعليم أبنائه وليبرهن عمليا على رغبة الحكومة الحقة فى نشر التعليم وما دامت الحكومة تسمح بأن يتعلم أبناء السودان فى كلية كمبونى وكلية الأقباط وغيرها فليس من المعقول أيضـا أن يحرم أبناؤنا من تعليم المنهج الوطنى ليلجئوا الى معاهد أجنبية تعلمهم مناهج غريبة عنا ويهمنى أن أبلغ سعادتكم فما يختص بالمعلمين اننى قد عينت ٠

١ ــ جابر أفندى بشاى من حملة الباكلوريا المصرية علمى وأدبى وبشهادة المتروكليوشن وقد قضى اثنى عشر سنة مدرسا بالمدارس المصرية منهـا ثمان

سنوات بكلية الأقباط بالخرطوم حيث كان يعلم فيها الرياضة والعلوم بالفرقة النهائية القسم الثانوى ٠

٢ ــ عبد الحميد ابراهيم من خريجى القسم الثانوى بالأزهر الشريف وله عشرون سنة مشتغلا بتدريس اللغة العربية منها ١٧ سنة فى كلية الأقباط بالخرطوم وقد كان المدرس الأول للغة العربية طول هذه المدة ٠ هذان المعلمان هما نواة التعليم فى هذا القسم وسنعين غيرهما حسب الحاجة بعد الاسترشاد برأى سعادتكم فى كل ما يختص بتعيين المدرسين على أننى لن أطالب المعارف بأن تساعدنى بمعلمين من عندها وعلى حسابها لهذا القسم الا اذا سمحت لبعضهم باعطاء حصص محدودة فى أوقات فراغهم بأجر ندفعه لهم ما دامت كلية غردون فى أم درمان على فرض احتياجنا لمثل هذه المساعدة وعلى أن تكون هذه المساعدة مؤقتة كذلك أتعهد بألا أطلب من المعارف اعانة مالية لهذا القسم ٠

يا صاحب السعادة أرجو أن أكون بهذا البيان المفصل قد أقنعت سعادتكم بضرورة التسريح لى بفتح هذا القسم مبتدئا بالسنة الأولى سنة ٤٢ ثم بالتدريج فيه سنويا حتى يتم خلال أربع سنوات وتفضلوا يا صاحب السعادة بقبول احترامى العظيم ٠

بابكر بدرى

بعد هذه الايضاحات ورد لى بعد ثمانية أيام هذا الرد الجافى الذى يدل على الغضب والتحامل :

مصلحة المعارف

نمر ٩ ــ ٨ ــ ١٦

الخرطوم فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤١

حضرة الشيخ بابكر بدرى ناظر مدرسة الأحفاد بأمدرمان المحترم

أفيدكم باستلام خطابكم الثانى المؤرخ فى ١٣ــ١ــ١٩٤١م بخصوص انشاء قسم ثانوى بمدرستكم وأخبرك أن الرد عليه يماثل تماما ما جاء بجوابى نمر ٩ ــ ٨ ــ ١٦ بتاريخ ١٥ــ٨ــ١٩٣٩م بانتظار بحث آخر عن التسهيلات لموضوع التعليم الثانوى بأكمله ٠ الوقت الحالى ليس ملائما لكى ننظر فى مثل هذه المواضيع العامة ولكن نأمل أن تدرس بدقة فى بحر هذا العام مسألة

المدارس الغير حكومية من حيث الموقع والمستقبل والقوانين التى تسير عليها واعانة الحكومة المالية .

لما قرأت هذا الرد تيقنت أن المكاتبات لا تعمل فى الموضوع عملا حاسما فابتدأت مع المستر روزفير مدير المعارف والمستر وليمس صديق السودان محادثة شفهية كلما سنحت لى فرصة اجتمعت به فيها خارج مكتبه ففى بعض المحادثات كرر لى قوله ان مدرستك ليس لها مستوى علمى ولا مستوى مالى فخجلت وسكت وكان ذلك فى يناير سنة ١٩٤١ فلما بدأنا دروس فبراير سنة ١٩٤١ صرت أعطى فرقتى رابعة وسطى درس عربى قبل دخول التلاميذ للحصة الأولى صباحا وفى العصر حصة حساب على التناوب أى ما أخذنا صباحا عربى نأخذ أختها العصر حساب وبالعكس فى اليوم الثانى أما المال فعندنا وفرا نحو ألفى جنيه وفى ابريل سنة ١٩٤٢ قابلت صديقى البكباشا محمد أفندى نور بصفته رئيس لجنة المدرسة الأهلية فقلت له قدموا للمعارف طلبا يصدقون لكم بفتح قسم ثانوى بالمدرسة الأهلية لتساعدوا البلاد فى تعليم الأولاد المشردين كل سنة لضيق الثانوى فقال لى حضرته نحن لا نريد فتح قسم ثانوى بالأهلية قلت له قدموا طلبكم ليعزز طلبى ولتقنع مصلحة المعارف بضرورة فتح قسم ثانوى أو قسمين ثانوى بأمدرمان . قال لى طيب وقدموا الطلب فعلا فى شهر مايو ١٩٤٢م فلما ألححت على المستر روز فير فى المحادثة الشفهية كتب لى الجواب ليثبط عزمى ولينفذ رغبات من يرمونى عنده وعند غيره بأنى مستبد على اللجنة وآكل مال المدرسة وهاك صورة الجواب بالحرف .

نمرة ٨ ــ ٩ ــ ١٦

الخرطوم فى ٩ فبراير ١٩٤٢ م

حضرة المحترم الشيخ بابكر بدرى ناظر مدرسة الأحفاد بأمدرمان

بالاشارة الى طلبك الأول بتاريخ يونيه ١٩٣٩م المكرر فى يناير ١٩٤٢ عن السماح لك بانشاء قسم ثانوى فى مدرستك وايماء الى ردى عليك بتاريخ ١٥ أغسطس ١٩٣٩م وبتاريخ ٢١ يناير ١٩٤١م وأخيرا للمحادثة التى دارت أخيرا بينك وبين مساعد مدير المعارف فى هذا الموضوع . دعنى أبدأ بالتأكيد لك أولا عن تقديرى العظيم للخدمات الجليلة الماضية والحالية التى قمت بها ولم تزل تقوم بها نحو التعليم فى هذه البلاد وثانيا عن رغبتى الصادقة فى

التعاون مع الأفراد المختبرين المسئولين فى المجموعة أمثال حضرتكم لترقية مشاريع التعليم الأهلى التى قمتم بها من النوع الجيد المفيد ثالثا وقد تذكروا حضرتكم ان جناب المستر كوكس لم يكن مستطيعا فى أغسطس سنة ١٩٣٩م ليوصى لدى صاحب لمعالى الحاكم العام بالتصديق لكم بفتح قسم ثانوى بمدرستكم للاسباب الآتية :

(أ) لم ير أن المدرسة فى ذاك الوقت كانت فى مركز يخول لها ادارة قسم ثانوى بكفاءة .

(ب) انه قبل اعادة النظر فى المشروع كان من الضرورى أن يرفع مستوى التعليم فى المدرسة الوسطى وأن يركز على دعائم مالية أكثر مما هى عليه .

(ج) أيضا قد أوضح لك أمله فى أن تشترك لجنة المدرسة بطريقة جدية فى ادارة المدرسة وفى أن يكون فى وسع مصلحة المعارف زيادة الاشراف عليها فى المستقبل .

(ح) وانى لآسف كل الأسف اذ لم يكن فى مقدور هذه المصلحة القيام بهذا الاشراف على مدرستكم نظرا لمطالب الحرب .

(خ) وبالنسبة للمهام الرئيسية للجنة فانى ألاحظ أولا أن مدير المعارف قد صادق فى ٢-١-١٩٣٤م على تسلم ادارة مدرسة الأحفاد بتمامها الى لجنة من عشرة أشخاص مع وجودكم بمركز ناظر معين بمرتب .

ثانيا : أن من أهم ماوصى به مفتشوا هذه المصلحة الذين فتشوامدرستكم وكتبوا تقريرا عنها فى ديسمبر سنة ١٩٣٨ وهو تكوين لجنة قوية فعالة يكون أول واجب لها اعادة وضع نظام كامل للمدرسة ومراقبة ماليتها بيد أن هذه اللجنة أو الجمعية لا يظهر أنها مؤدية وظيفتها الآن وعليه فأكون مسرورا اذا تكرمت بافادتى عن الموقف ازاء هذا الأمر .

(د) أما اضافة قسم ثانوى الى مدرستك مما يزيد من مسئوليتها حتى فى حالة ما اذا كانت تؤيدها لجنة قوية نشطة ذات خبرة ومسئولية كتينك اللجنتين اللتين تديران المدرسة الأهلية بأمدرمان ومدنى بنجاح وانى أهيب بك أن تعطى هذه النقطة عناية تامة .

(ذ) هأنذا أرفق لكم من طيه صورة الجواب الذى سلمته الى ممثلى

لجنة المدرسة الأهلية بأمدرمان ردا على طلبهم بفتح مدرسة ثانوية ورجائى أن تتكرم بدراسة محتوياته •

(ر) فى الوقت الحاضر انى مقتنع بشأن المستوى والمدرسين والمالية والادارة فى القسم الأوسط من مدرستك وسأعمل فى بحث هذه النقط جيدا فى المستقبل القريب ولكنى لست مستعد الآن أعيد النظر فى قرارى بشأن اضافة القسم الثانوى الى أن ينتهى هذا البحث ويكشف الوقت عن حالة مرضية وانى أتعشم أن يجرى تفتيش مدرستك فى أوائل الشهر القادم •

عن مدير المعارف

جمسون

لما قرأت هذا الرد قابلت المستر اسكوت بمكتبه وأخبرته بمضمون هذا الرد وعرفته انى لا يمكن أن أتنازل من أخذ التصديق مهما هددونى ومهما كلفنى من مشقة • فقال لى المستر اسكوت ان مستر روزفير يحتاج فى نظرى الى تخويفك له بمثل هذا الكلام • فتوجهت للمستر روزفير بمكتبه لأول مرة بخصوص المفاوضة فى الثانوى فقال لى بحزم وتهديد اننى غير مقتنع باستحقاق مدرستك لهذا الطلب لا ماليا ولا فنيا ولا استعدادات لمقومات الثانوى • قلت له سعادتك ارسل مندوب يفتش المدرسة من حيث المحتويات العلمى والمالى أما الاستعدادات فانا نحن الشرقيين وأنتم الغربيين نختلف فى الاستعدادات للأعمال الكبيرة فأنتم الغربيون لا تشرعون فى عمل الأعمال الا بعد انجاز كل ما يحتاج اليه من مقومات ونحن الشرقيون نبتدىء فى أعمالنا مهما كانت كبيرة بما نحصل عليه من مقومات وكلما عرضت لنا صعوبة نقف عندها حتى نزيلها ثم نسير بعملنا فى السهل حتى تبدو الصعوبة نذللها بما يلزم لها وهكذا حتى تتم أعمالنا • فأنتم الغربيون تتأخرون فى الأول للاستعداد بما يلزم للأعمال قبل الشروع فيها ونحن الشرقيون نتأخر فى سير العمل لنذلل الصعاب ولكننا نصل فى زمن متقارب لكمال أعمالنا فاتركوا الشرقى فى عاداته والغربى فى عاداته لأنه لا يمكن تحويل الغربى شرقى والشرقى غربى الا بتعليم شاق فى زمن طويل وبارحت مكتبه ولكنه بوجهه غير تعبيسه اعجابا على ما أظن وكما أخبرنى المترجم بيننا حينما قدمنى وبعد أيام حضر لنا بالمدرسة صاحبنا القديم المستر هيبرت للتفتيش وقبل أن يبتدىء فى التفتيش قال المستر هيبرت لى أنا

يا شيخ بابكر جئت لتفتيش مدرستك مجبورا فى هـذا الظرف • قلت له لأى سبب خايف من المجىء ؟ قال لأن المدير أخذ خبر كالمؤكد أنك أكلت ماليـة المدرسة حى أفقرتها وأن التعليم فيها منحط جدا ولذلك لا أريد أن ترفـع للمدير هذه الحقيقة على يدى • قلت له فتش بتدقيق ولا تخف على فمن جهة مالية المدرسة فألفا جنيها رصيدا ومن جهة المستوى العلمى فهى الثانيـة فى الترتيب فبدأ يفتش باطمئنان فوجد عندنا بدائرة المهدى ألف ومائتا جنيهـا أمانة كنا قدمناها لهم ليدخلوها لنا فى مشاريع القطن باسم الأحفاد وفى البنك الأنجلو ثمانمائة جنيها فهز يده فرحا وابتهاجا وقال لى سأسـاعدكم على فتح الثانوى فى أول سنة ١٩٤٣ وبارحنا مسرورا وفى شهر مايو سنة ١٩٤٢ ورد لى هذا الكتاب من مدير المعارف •

مصلحة المعارف ــ حكومة السودان

رقم ٨ ــ ٨ ــ ١٦

الخرطوم فى ٢٨ مايو سنة ١٩٤٢م

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ بابكر بدرى ناظر مدرسة الأحفاد بأمدرمان

سيدى العزيز :

١ ــ اشارة للطلب المقدم من حضرتكم بشأن انشاء قسم ثانوى بمدرستكم الوسطى الحالية وللمكاتبات والمفاوضات التى تبودلت بيننا فى هذا الصـدد يسرنى أن أنهى الى حضرتكم أن حضرة صاحب المعالى الحاكم العام قد صادق على أن تسيروا فى الاستعدادات اللازمة لتنفيذ مشروعكم بشروط ستذكر فيما بعد مع ملاحظة أن هذا التصديق مبدئى فى هذا الطور وأن انشاء الفصـول فعلا يتوقف على تنفيذ الشروط •

٢ ــ أن بظهور الجيل الثانى وعما قريب انشاء الله تعالى الجيـل الثالث وهم أبناء أولئك الذين نالوا نصيبهم من التعليم الثانوى والأوسط تصـبح الرغبة فى زيادة التسهيلات للتوسع فى التعليم الثانوى طبيعيا وان أقـدامكم على المساهمة فى تحقيق هذه الرغبة لما يحمد لكم ويدل على صدق وطنيتكم وحبكم للخير العام وانى من جهتى سأبذل قصارى جهدى فى مسـاعدتكم ومعاونتكم على تحقيق هذا الغرض على أن مهمتكم ليست بالهينة بل وليس من السهل انجازها وبكتابتى رقم ٩ ــ ٨ ــ ١٤ بتـاريخ ١٩ــ١١ــ١٩٤١م

المعنون للجنة المدرسة الأهلية بأمدرمان الذى أرسلت صورة منه فيما بعد لمدرسة الأحفاد شرحت موقف الحكومة ووجهة نظرها نحو مثل اقتراحكم وذكرت اجمالا المشاريع المستقبلة والتزامات الحكومة بصدد التعليم فى مراحله الأولية والوسطى والثانوية وأبديت فيه بعض الصعوبات والعوائق التى تعترضها والتى ينبغى التغلب عليها قبل تنفيذ اقتراحكم بنجاح •

٣ ـ والآن أنتقل الى ذكر الشروط التى يجب تنفيذها وسأوضح بعضها تفصيلا :

(أ) تطبيق الشروط والتعليمات الواردة فى مايو من المعارف للمدارس الغير حكومية الصادرة فى سنة ١٩٢٧م •

(ب) تحديد عدد الفصول الواحد فقط فى السنة وأى زيادة فى هذا تفتقر الى تصديق آخر وعدد تلاميذ كل فصل ثلاثون وأن يكون نظام الدراسة بقدر الامكان على أساس برنامج المدارس الثانوية الحكومية وادارة شئون المدرسة تكون فى يد لجنة أو مجلس معترف به •

(ت) لا تقدم الحكومة أى اعانة مالية للمدرسة وهذا الشرط قابل للتعديل فيما بعد بعد موافقتكم على شروط أخرى خاصة بنسبة المصاريف الى التكاليف بما فى ذلك اعتماد ماهيات المدرسين وشروط استخدامهم وتأمين مستقبلهم •

(ث) قبل انشاء أى فصل جديد يجب أن يقتنع مدير المعارف بما يلى :

١ ـ أن تكون المبانى والفصول والأدوات مناسبة •

٢ ـ وجود الاعتماد اللازم للتكاليف الحالية والالتزامات السنوية •

٣ ـ عدد وصلاحية ومؤهلات الموظفين المقترح تعينهم أما المؤهلات اللازمة للمدرسين فهى درجة جامعية أو ما يعادلها وعلى الأقل خبرة عشر سنوات فى التدريس فى المدارس الابتدائية للأغلبية وشهادة ثانوية مع خبرة خمس سنوات فى التدريس للأقلية وألا يتغير المدرسون بغير علم مدير المعارف •

٤ ـ بالنسبة الى الفقرة ٣ ـ ا ـ الآنفة الذكر فليس فيها ما تحتاج الى ايضاح ـ ب ـ ينطبق عليه نفس الشىء وسأشير فيما بعد الى موضوع البرنامج ـ جـ ـ هذا الشرط سبق استيفاؤه ومن المهم عقد اجتماعات متوالية

واظهار اهتمام الأعضاء بشئون المدرسة ، سأتناول فيما يلى من هذا الكتاب موضوع نسبة المصاريف للتكاليف •

٥ ــ أما بخصوص بند ٣ ــ هـ ــ فأرى لزاما على أن أطلب من حضرتكم موافاتى ببرنامج تفصيلى للأربع سنوات القادمة على أساس تكوين تدريجى لمدرسة ثانوية ذات أربع فصول مع تدبير الاعتمادات اللازمة لاستمرارها فى المستقبل وأهم النقط الخاصة بهذا لجديرة بالنظر ما كان متعلقا بالمال والموظفين والمبانى والبرامج أما فيما يختص بالناحية المالية فأحتاج الى دليل على أن الاعتمادات اللازمة لاعداد المبانى اللائقة والأثاثات والأدوات الأخرى بما فى ذلك المكتبة وغرفة المدرسين والمعامل وما شاكلها وما هو الضمان لوجود المال اللازم وأما عن المصاريف الجارية فيلزمنى الاقتناع بما يأتى :

(أ) أن المصاريف التى تفرض يجب أن تكون ذات نسبة معقولة للتكاليف وفيما يتعلق بهذه الأدوات أشدد فى تحديد مستوى معين لها فى البداية ولكننى أرى الافضل ان أمكن أن تكون المصاريف الكاملة التى تفرض تغطى التكاليف الجارية •

(ب) فى حالة عجز المصاريف المتحصلة عن تغطية التكاليف يجب وجود ضمان لسداد هذا العجز •

(جـ) ان مالية المدرسة يجب أن تسمح باستخدام المدرسين ذوى الكفاءة وأن يوضع لاستخدامهم نظام يكفل مستقبلهم كنظام مال التأمين باستشارة مصلحة المعارف على أن يتم ذلك قبل التفكير فى أى اعانة مالية من الحكومة •

(د) أن يكون القسم الثانوى المقترح انشاؤه قائما بذاته فى تكاليفه وأن يكون مستقلا ماليا عن المدرسة الوسطى وألا محل الأول من الثانى وهنا يجب ألا يغيب عن البال أن تكاليف القسم الأوسط ستزيد كلما حل مدرسون ذوو كفاءات أحسن محل المدرسين الحاليين وأن يعين الآن مدرسون من ذوى المؤهلات اللازمة وعدد المدرسين اللازمين يزداد باطراد بينما يحتاج الى أماكن ومعدات جديدة لتحسين المناهج وادخال مواد جديدة فى مبادىء العلوم والاشغال اليدوية وكل خطه مما يزيد فى العبء المالى الملقى على عاتق المدرسة فى هذا الطور •

٦ ـ المبانى ـ أشرت اليها آنفا فيما يتعلق بالتكاليف الأساسية والأقل ما يلزم هو أربعة فصول ومكتبة ومكاتب وحجرة مشتركة للمدرسين وفى الوقت لمناسب معامل للعلوم مع ما يلزمها من أثاثات ومعدات ويجب أن تكون غرف الفصول فى حجمها وتصميمها وفقا للقواعد المقررة بالمدارس الحكومية على أنه نظرا لظروف الحرب قد يسمح بشىء من التساهل فقد يتعذر الحصول على كل المعدات اللازمة فى الوقت الحاضر .

٧ ـ الموظفون والمستوى والمناهج ـ كلنا مجمعون على ضرورة توخى مستوى عال فى التدريس والمحافظة عليه ولا سبيل الى ذلك الا اذا كنتم قادرين ومصممين على اختيار مدرسين حاصلين على المؤهلات اللازمة ومنحهم ماهيات ومستقبلا وشروط خدمة تغريهم على العمل معكم والاستمرار فيه ما داموا مطمئنين الى أن فى عملهم معكم ضمان كاف لمستقبلهم وقد بينت ذلك فى الفقرة ٣ ـ هـ ـ آنفا وهنا أيضا من السماح بشىء من التساهل فى بادىء الأمر بهذه المناسبة أقترح أن ندعو ممثلى لجان المدارس الأهلية الوسطى السودانية ومن يهمهم أمر التعليم قريبا الى اجتماع بى للبحث فى الأمور الخاصة باستخدام الموظفين اللازمين للمدارس الحرة كاختيارهم وتدريبهم وتحديد ماهيتهم وتأمين مستقبلهم وتوزيعهم توزيعا مرضيا بعد تأهيلهم للقيام بالتدريس فى المدارس الغير الحكومية .

وفيما يختص بموضوعى البرامج والمناهج وعن الهدف الذى تضعونه أمامكم لست حتى الآن مدركا تماما وجهة نظركم عنها ويسرنى أن أحصل من حضرتكم على معلومات أدق بشأنها وأن أعرف مدى استطاعتكم تطبيق برامج المدارس الثانوية الحكومية ولما كان التدريس فى السنين الأولى والثانية سيكون باللغة العربية فيما عدا مادة اللغة الانجليزية وبأى كيفية سيكون تدريس مبادىء العلوم وأى امتحان سيعقد فى نهاية مرحلة التعليم الثانوى وهل سيكون فى استطاعة الطلبة أن يتقدموا لامتحان المدارس الثانوية النهائى وهل يسعهم حينئذ منافسة زملائهم طلبة كلية غردون التذكارية بنجاح الذين يمتازون بنصيب أوفر من التعليم بواسطة الأساتذة البريطانيين وكان الجانب الأكبر من دراستهم بواسطة اللغة الانجليزية فان الصعوبات الكبرى ستصادفكم فى تعليم

اللغة الانجليزية وتدريس مبادىء العلوم .

وانى اذ أبلغكم موافقة الحاكم العام المبدئية على قرار اقتراحكم قدذكرت لكم الأسباب التى بنيت عليها وطلبت من حضرتكم تقديم برنامج تفصيلى بالمشروع وضمانات من جهة المالية والمكان وقدمت لكم نصحى ومعاونتى وتوصياتى ووضحت لكم ما سيعترضكم من الصعوبة . قبل أن أختتم كتابى أود أن أوجه نظر حضرتكم لكتابى رقم ٩ ـ ٨ ـ ١٤ بتاريخ ٩ ـ ١١ ـ ١٩٤١م وما اقترح فيه من امكان الاكتفاء بتأسيس مدرسة ثانوية صغرى مدة الدراسة فيها سنتين ذات تخصص .

أولا ـ تخفيض الأعباء المالية .

ثانيا ـ أرجحية استكمال الفصول للمدرسة الصغرى .

ثالثا ـ زيادة الفائدة العامة فى الوقت الحاضر .

وأخيرا : أود أن أعبر مرة ثانية عن تقديرى لمشروعكم وأقدم لكم أحسن التمنيات لبلوغه بنجاح مع تأكيدى لكم مرة أخرى برغبتى الصادقة فى معاونتكم بشتى الوسائل التى فى وسعى لتحقيق الفائدة المنشودة .

المخلص مدير المعارف

عنه : وليمس

مدرسة الأحفاد

أمدرمان فى ٦ـ٨ـ١٩٤٢م

حضرة صاحب السعادة مدير المعارف السودانية المحترم

بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن أعضاء مدرسة الأحفاد وفى مقدمتنا الجميع سيادة السيد عبد الرحمن المهدى نرفع لسعادتكم شكرنا على المجهود العظيم للحصول على التصديق المبدئى من معالى الحاكم العام لمدرسة الأحفاد الثانوية بفتح قسم ثانوى عام سنة ١٩٤٣م يتدرج سنويا حتى يكمل القسم الثانوى تحت الشروط المشتمل عليها كتاب التصديق . وسيحفظ لكم التاريخ هذا العمل المجيد .

أما عن الشروط فسنقوم انشاء الله بادائها كما هى وسنبيها فى صورة

واضحة فى كتابنا هذا بحسب نصوصها بكتاب سعادتكم بتنفيذ تعليمات المعارف طبق قانونها للمدارس الغير حكومية نظاميا واداريا لا تتعدد فصول أى فرقة بمدرسة الأحفاد الثانوية الا بتصديق جديد له اذا لزم حسب الظروف فى المستقبل • وعدد تلاميذ الفصل لا يزيد عن الثلاثين تلميذا • وسنحفظ للمدرسة الحق فى انه اذا خلا محل بفرقة ما وطلب أحد أن يملأه ممن يليقون بتلك الفرقة أن يقبل بها •

ان للمدرسة مجلس أمناء نشط فى أعماله تحت اشراف السير السيد عبد الرحمن المهدى بخصوص اعانة الحكومة المالية سنقوم بكل ما يرضيها ويكسبنا عطفها بمساعدتها ماليا وأدبيا وفنيا • أما المصاريف فقد قرر أعضاء مجلس المدرسة أن تكون ثمان عشر جنيها مع بقاء ١٠٪ مجانا •

١ ــ أما المبانى للفصول ستكون الآن فى البناء الحالى حتى ينتهى الحرب ومثلها الأدوات الأساسية لفصول الدراسة مع تحسينها تدريجيا •

٢ ــ كل ما يختص بالمال اللازم بعد الحرب للبناء والعمل والعجز فى الميزانية وكل الاقتراحات المستقبلة سيأتى الكلام عليها فى بند ٥ •

٣ ــ حصلنا على معلمين أكفاء أحدهما ذو درجة جامعية وهو فتحى أفندى امبابى والثانى الشيخ محمد أحمد مختار المعروف لدى سعادتكم ولا ينفصل أحدهما الا بعلم مدير المعارف بعد انتهاء مدته • ومدة فتحى امبابى خمسة سنوات ولم تحدد مدة للشيخ مختار •

أما البرنامج التفصيلى للأربع سنوات فمن ناحية المالية أرفق لسعادتكم مع هذه الميزانية التى وضعت بواسطة الأعضاء • وقد التزم السير السيد عبد الرحمن المهدى حفظه الله بسداد كل العجز الذى يحصل فيها أو يطرأ عليها ــ كما أن مجلس الأمناء يضم عددا من البيوتات المالية الكبيرة التى تعطف على هذه المدرسة وتضمن لها البقاء • وسيادته سيفاوضكم بهذا الخصوص شخصيا •

أما الموظفون من حيث رواتبهم فواضحة فى الميزانية • وأما من حيث

اختبارهم فان كانوا من المصريين فسيكون انتخابهم بموافقة وكيل حكومة السودان وان كانوا سوريون فبواسطة الجامعة الامريكية نيابة عن مصلحة المعارف السودانية ٠

أما المبانى فى المستقبل فستكون فى الحجم بمقاييس المدارس الحكومية ٠ أما التصميم فسيكون بالقشرة ٠ وأما عدد الغرف فسيبنى بقدر ما تطلب الحاجة فى عامها تدريجيا الى أن يتم التأسيس ٠

قدرت فى الميزانية مواهى المعلمين وسيعمل لهم مال تأمين كما تشير مصلحة المعارف بمقداره وهو النظام الذى سيكفل مستقبلهم ٠

سيقوم الثانوى بتكاليفه غير ما يلزم للمبانى والأثاثات اللاتى سنأخذ بعض قيمتها من وفر المدرسة الوسطى الذى حصل فى الماضى وأما فى المستقبل فسنجعل كل قسم منهما مستقلا عن الآخر ماليا ومثلهما الكتاب ٠ أما فى الأحوال الاضطرارية لأخذ جانب من مال احداهما للأخرى فسيكون ذلك بطريق السلفة مع وجود للتعاون الذى يقتضيه حال مؤسسة واحدة ٠ وأنا متصورون ما ستؤول اليه المدارس الوسطى من الحاجة الى المال فى المستقبل القريب وللمبانى وزيادة المعلمين ٠

بخصوص المناهج فسيكون هدفنا اعداد التلميذ بمعلومات تؤهله للكفاح فى مستقبل حياته بطريق شريف منتج يراعى فيه الأخلاق والأرزاق ويكون صالحا لمعترك الحياة فى الأعمال الحرة والحكومية مترسمين فى ذلك خطى كلية غردون الثانوية فى كل أقسامها ٠

أما التدريس فى السنتين الأولى والثانية فيما عدا مادة اللغة الانجليزية ومبادىء العلوم فسيكون باللغة العربية ٠ وسنرسل فى كل آخر سنة تلاميذ ثانوى الأحفاد ليمتحنوا مع اخوانهم بكلية غردون كل فرقة مع نظيرتها من أول سنة ومتى ظهر لنا ضعف من قصور أو تقصير من أحد المدرسين أو بعض التلاميذ سنجتهد فى ملافاته أثناء السير الدراسى ٠

وبما أننا سنستعير معلما انجليزيا من كلية غردون يعطى الطلبة ٣ حصص انجليزى فى سنتى ثالثة ورابعة كما هو موضح فى الميزانية ونغرى المعلمين بما

ويرضيهم عملا ومعاملة فلنا وطيد الأمل أن ينافس تلاميذنا اخوانهم بالكليـــة فى جميع أقسامها •

وختاما نشكر سعادتكم على نصائحكم الثمينة وتسهيلاتكم القيمة تبعــا لظروف الحرب الحاضرة ورغبتكم الصادقة لمساعدتكم للمدرســة فى شــتى الوسائل بما فى وسعكم ماليا وفنيا • والله نسأل أن يعجل نهاية الحــرب وفى صالح الحصن الديمقراطى آمين •

المخلص

بابكر بدرى

حضرة المحترم رئيس لجنة المدرسة الأهلية جناب الكباشى محمد نور

انى آسف لتأخير الرد على جوابكم بتاريخ ٢٩ مايو ذلك التأخير الذى يرجع للأسباب التى وضحتها لكم خلال اجابتى هذه والى ضرورة رؤية التوسع المحتمل حصوله فى المستقبل القريب فى البرنامج الحكومى المرسوم • وقبــل الاجابة على طلبكم اسمحوا لى أن أدلى لكم ببيان حكومى عن الموقف الحاضر ازاء ذلك : ـــ

أولا : أود أن أقول أن الحكومة ملمة كل الالمام بالعمل المجيد الذى تقوم به المدرسة الأهلية بأمدرمان والمدارس الأخرى الغير حكومية • وأنهــا تتوق لتشجيع الرغبة البادية فى هذا القطر نحو التعليم بجميع نواحيه بأى وســـيلة تعتقد صلاحيتها •

ففى التعليم الأولى التزمت الحكومة بتنفيذ برنامج واسع النطاق سيكلف البلاد متى تواجد المدرسون نفقات كبيرة فى السنين المقبلة كما سيكلفها أيضا تعليم البنات • ونشر الكتابة والقراءة بواسطة تعليم الرجال بالغى الرشـــد (المدارس الليلية ونحوها)•

وفى مرحلة التعليم الأوسط فان توسيع أنصاف المدارس الحالية وجعلها كاملة وانشاء مدرسة جديدة منها على الأقل فى القريب العاجل وتمرين عــدد كبير من المدرسين الجدد لتدريس المواد الجديدة ـــ كل ذلك ســيلتزم زيادة مستمرة فى المصروفات التى سوف لا يشعر بها تماما الا فى سنة ١٩٤٦ ومع ذلك فقد بذلت الحكومة فى كلتا الحالتين كل ما فى وسعها ماليا لمساعدة مجهــودات

اللجان المحلية المصرح بها بادارة مدارس ملاحظة فى ذلك ضمن اعتبارات أخرى ضرورة الحصول على نوع جديد من المدرسين ـ وهى أى الحكومة ترى من المناسب أيضا تشجيع المدارس الوسطى التى فى هذا النوع فى المدن كجزء من مشروع واسع المدى فى نهضة التعليم ـ وهى فى هذا الوقت تدرس :

أ ـ كيف يمكنها أن تساعد فى تمرين المدرسين .

ب ـ الى أى مدى يمكنها أن تساعد ماليا اذا دعت الضرورة كى تمكن هذه المدارس من رفع مستواها الى درجة مستوى المدارس الحكومية المتزايد .

وفى التعليم الثانوى يختلف الموقف بعض الاختلاف اذ تبلغ تكاليف الطالب الواحد فى كلية غردون فوق الخمسين جنيها بينما متوسط ما يدفعه الطالب فى السنة يتراوح بين ١٤و١٢ جنيها ، وقد تنطبق نفس النسبة على طلبة الداخلية . ومعنى ذلك ال ١٣٠ طالب الذين يلتحقون بالكلية من كل المبرزين وهم عادة . فمن هؤلاء يستمد ٤٠ـ٥٠ طالب فى التعليم العالى ومن الباقين أى ٨٠ ـ ٩٠ طالبا يدخل البعض فى وظائف حكومية لدرجة مساوية لتعليمهم ويبحث فى البعض الآخر على وظائف خصوصية أو ينافسون تلاميذ المدارس الوسطى فى وظائف أدنى .

وبالنظر الى كل هذه الحقائق تشعر الحكومة أنه ليس هناك مبرر فى الوقت الحاضر لصرف أى مبالغ أكثر على التعليم الثانوى بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وترى الحكومة الواجب اللائق بها الآن أن تستخدم مواردها الحالية فى توسيع التعليم فى مراحله الاولى وهى تنشىء فى السنة المقبلة نوعا جديدا من المدارس أى مدرسة ثانوية صغرى بالدويم وأخرى بأمدرمان .

والغرض من هاتين المدرستين هو أن تعطى دراسة سنتين بعد المدرسة الوسطى ، وأن ترمى الى اعداد الطلبة الذين هم أقل مقدرة من سواهم لحياتهم المستقبلة فى المدن أو فى الارياف بشكل يدعو الى الارتياح أكثر مما اذا كانت دراسة ثانوية علمية محضة من شأنها أن تمكن الطالب المقتدر حقا من الوصول الى المدارس العليا . وقد أرسلت التفصيلات الى نظار المدارس الوسطى كما ستنشر فى الجرائد المحلية قريبا ، وفى السنة القادمة ستكون المدرسة الثانوية الصغرى بأمدرمان بمثابة تجربة ، وسيتمكن المستر هارتلي وهو الموظف

البريطانى المسئول عنها من الحصول على اختبارات قيمة نوع هذه المدرسة ـ وقد اتصل منذ قبل بكثير من أشهر الشركات التجارية واسترشدهم بحاجياتهم .

وأنى أعود الآن الى طلبكم أى فتح مدرسة ثانوية فى سنة ١٩٤٣ (حيث ان فتحها قبل هذا التاريخ قد لا يكون ممكنا الآن) وفى المرحلة الحاضرة لا أشعر انى مستطيع أن اوصى بوثوق على مثل هذا الفتح الى صاحب المعالى الحاكم العام ـ وقبل أن يحصل ذلك أدعوكم الى النظر فى الحقائق الآتية :

١ ـ انه نظرا لما قلته لا يمكن أن تحصل هذه المدرسة على اعانة مالية من الحكومة .

٢ ـ انه اذا كان مستواها من جهة المدرسين والمواد التى تدرس مبررا لهذه التوصية فيظهر أن تكاليف الطالب الواحد وان لم تكن مرتفعة كما هى بكلية غردون الا انه سيصعب مع ذلك على متوسط الآباء دفعها دون مساعدة مالية محسوسة من مصادر أخرى .

٣ ـ وبحسب ما أرى فان الطلبة الذين أتموا دراستهم بها سيكونون أقل مستوى ـ وكما يظهر فى الغالب ذلك ـ ممن التحقوا بالكلية سيواجهون خيبة أمل فيما يؤول أمرهم فى النهاية .

٤ ـ انه مع رغبتى الأكيدة فى ذلك سيكون من المستحيل على أن أساعد فى الوقت الحاضر فى اعطاء أو تمرين مدرسين أكفاء .

وبخلاف ذلك فهنالك تسوية أخرى (وهى اقتراح مدرسة ثانوية صغرى) مدة دراستها سنتان فى عام ١٩٤٣م من الطراز الذى تحدثت عنه الآن فمثل هذا ستتمشى مع سياسة الحكومة ويصادف قبولا عندى وسبب الادلاء به هو :ـ

انه ستكون أمامكم تجربة سنة فى مدرسة الحكومة تنتفعون منها وانها مع عدم رخصها ستكون أقل منفعة من القسم الثانوى الذى يتطلب مدرسين ذوى كفاءات عالية .

انها كما أرى ستجيب داعيا أو على الأقل تسد حاجة أكبر وأكثر استقرارا لتأييد الحكومة من الوجهة المالية والأدبية . وستكون أيضا نواة لقسم ثانوى

فيما بعد اذا ظهر مكان وصلاحية هذا العمل وانى أهيب بكم أن تتمعنوا مليا فيما قلته لكم وأن تقرروا على ضوئه فيما اذا كنتم تتقدمون بمشروع أكثر تفصيلا لمدرسة ثانوية بمدرسين أكفاء ومالية كافية لتموينها أو تعملون نفس الشيء لمدرسة ثانوية صغرى أو تتركون المسألة موقوفة • وانى أؤكد لكم فى كل من هذه الأحوال عطفى واهتمامى •

المخلص د•ف•ح• روزفير
مدير المعارف

أمدرمان فى ٨ – ١١ – ١٩٤٢م

صاحب السعادة مدير المعارف السودانية – المحترم

بعد الاحترام أرد على كتاب سعادتكم ٩ – ٨ – ١٦ المؤرخ ٦–١٠–١٩٤٢م والذى آسف لتأخير الرد عليه لحيلولة أيام العيد وتوعك السير السيد عبد الرحمن الذى حال عن اجتماعه مع أعضاء اللجنة للقسم الثانوى المزمع فتحه بمدرسة الأحفاد .

يسرنى أن أخبر سعادتكم أن اللجنة قد اجتمعت مساء يوم ٩ الجارى بالعدد القانونى وبرئاسة السيد وقررت ما يأتى :

أولا : السيد حفظه الله تبرع بدفع الخمسمائة جنيها كرصيد لهذا القسم وكذلك باتمام ما يصرف منه أثناء السنة بحيث يكون فى أول كل سنة خمسمائة جنيها كما بدى أولا .

ثانيا : جميع الأعضاء وافقوا على كتابة تعهد يضمن كل عجز يطرأ على الميزانية التى تقرر فى أول كل سنة للقسم الثانوى اذا حصل عجز مهما كانت قيمته .

أما باقى النقاط يتوقف البت فيها على قرار مجلس المناديب المقترح اجتماعه من سعادتكم من لجنة مدرسة الأحفاد ومصلحة المعارف .

أما مناديب لجنة المدرسة فهم : السيد الطيب الحلو الشيخ بابكر بدرى – أحمد أفندى محمد صالح – عثمان أفندى ميرغنى .

فأرجو أن تتكرموا سعادتكم بتعيين الزمن الذى تختارونه للاجتماع وتعيين مناديبكم ولسعادتكم الشكر .

أرفق لسعادتكم مع هذا تعهد الأمناء بخصوص عجز الميزانية وختاما أشكر سعادتكم جزيل الشكر على وعدكم بالمساعدة لنا فى ابراز المشروع الحيوى هذا .

بابكر بدرى
عن لجنة القسم الثانوى
لمدرسة الأحفاد

صورة التعهد وقد أرسلت لمدير المعارف مع الجواب أعلاه :

نحن أمناء مجلس القسم الثانوى المزمع فتحه بمدرسة الأحفاد تتعهد لسعادة مدير المعارف السودانية بتسديد كل عجز يحصل فى ميزانيتها التى تقرر فى أول كل سنة مهما كانت قيمته ونوعه وهذا منا للاعتماد .

الأمناء

بابكر بدرى ، دفع الله شبيكه ، الطيب الخليفة على ، مصطفى أبو العلا ، ابراهيم أحمد ، محمد عثمان ميرغنى ، أحمد محمد صالح ، عبيد عبد النور ، عثمان صالح .

عندما وصل كتابنا هذا للمصلحة وعلم مدير المعارف أن لجنة المدرسة الأهلية وهى اللجنة القوية التى يأمرنى أن تكون لجنة مدرسة الأحفاد قوية مثلها علم سعادته أنها غير مستعدة لفتح قسم ثانوى فى أول سنة ١٩٤٣م بدأ ينصح لى بأن أتأنى على فتحه لسنة أخرى ولما لم أجبه لهذا الطلب وصممت على فتحه فى يناير سنة ١٩٤٣م بدأ سعادته يهددنى حينا بعجزى وحينا بعدم استعداده لمساعدتى وحينا بضعف أمله فى تصديق الحاكم العام النهائى فحلفت له بقسم مغلظ بأنى سأفتح هذا القسم فى يناير سنة ٤٣ ولو يؤدى الى سجنى وطردكم للأولاد وما يترتب على ذلك فسمح بفتحه وكتبت له هذا الكتاب فى يوم ٢ سبتمبر ٤٢ وهذا نصه :

صاحب السعادة مدير معارف حكومة السودان المحترم

سيدى أرفق لسعادتكم مع هذا ما يأتى :

١ ــ ميزانية القسم الثانوى المزمع انشاؤه بمدرسة الأحفاد فى أول سنة ١٩٤٣ لأربع سنوات .

٢ ــ قائمة بتوزيع حصص الدراسة على المدرسين .

٣ ــ مذكرة تفسيرية لبنود الميزانية هذا وسيتقدم السيد حفظه الله بتبرعه عندما يتم التسريح بفتح المدرسة .

أما مبلغ الخمسمائة جنيها التى أشرت الى أخذها من وفر المدرسة الوسطى فقد أخذت فعلا وبدأنا العمل منها فى تحضير الأثاثات اللازمة والكتب

وغيرها كرأس مال نقدى لفتح المدرسة وأرجو أن تكون هذه البيانات وافيـة ليتم التصديق النهائى •

وختاما أنتهز هذه الفرصة لأقدم شكرى لسعادتكم وأكرر على المجهـود العظيم الذى بذلته نحو ابراز هذا المشروع العظيم •

المخلص

بابكر بدرى

صورة الميزانية التى أرسلت للمعارف عن الأربع سنوات من ٤٣ : ٤٦

ميزانية السنة الأولى أى سنة ١٩٤٣ بفرض وجود ثلاثين تلميذا بحيث يدفع التلميذ المصروفات السنوية مبلغ ٢٠ جنيه يخصم من ذلك ١٠٪ مجانا فيكون المتحصل ٥٤٠ جنيه يصرف منه ما يأتى :

جنيه	
١٢	علاوة لمحمد أفندى فضل المولى الذى يدرس الجبر والهندسة للسنة الأولى فى سنة ٤٣ مع ملاحظة أن فتحى أفندى امبابى يأخذ منه بعض حصص انجليزى فى رابعة ابتدائى .
١٨٠	ماهية فتحى امبابى مدرس الانجليز والسانيس (علوم) والتاريخ بواقع ١٥ جنيه
٢٤	ماهية لمدرس اضافى للجغرافيا
١٠٠	ماهية لمدرس انجليزى أصلى يعطى ١٢ حصة فى الشهر .. انشاء ومحادثة
٤٤	قيمة أدوات دراسية
١٣٠	قيمة أدوات معمل مستهلكة بخلاف الأثاثات التى سنحصل عليها هدية
٦١٠	الجملة
٥٤٠	المتحصل من مصاريف التلاميذ
٧٠	عجز ١٩٤٣م نستلفه من الوسطى

ميزانية سنة ١٩٤٤م

بنفس النسبة يكون ايرادنا ١٠٨٠ جنيه بعد خصم ١٠٪

جنيـه	
١٢	علاوة لمحمد أفندى فضل المولى اذا صحت تجربته ستزاد حصصه
١٩٢	ماهية فتحى أفندى امبابى لسنة ٤٤ بواقع ١٦ جنيها شهريا
١٢٠	ماهية مدرس العربى لأن علاوته بعد سنتين
٢٤٠	ماهية مدرس جديد مصرى أو سورى
٢٠٠	ماهية المدرس الانجليزى أو المدرسين لسنة ٤٤
٤٦	قيمة أدوات دراسية (كتب وغيرها)
٩٠	قيمة أدوات وأثاثات معمل
٩٠٠	الجملة
١٠٨٠	المتحصل من مصاريف الفرقتين
١٨٠	الوفر
٧٠	خصوم يرد للمدرسة الوسطى نظير سلفية سنة ١٩٤٣م
١١٠	رصيد يخصم منه نقليات المعلمين بالأجازة

ميزانية سنة ١٩٤٥م

جنيـه	
١٨٠٠	الايراد لسنة ١٩٤٥
٣٦٠	خصم عجز ٢٠٪ لما عساه أن يرفت أو يموت والمجانية
ـــــــ	
١٤٤٠	
	التكاليف
١٢	علاوة لمحمد فضل المولى اذا صحت تجربته فى السنتين أ و ب
٢٠٤	ماهية فتحى أفندى امبابى بواقع ١٧ جنيها شهريا
٣٠٠	لمدرس جديد مصرى أو سورى
٢٤٠	المدرس المعين ٤٤ لأن علاوته بعد سنتين
١٣٢	مدرس عربى
٤٨٠	المدرس الانجليزى الأصلى
٥٠	أدوات دراسية للسنة الثالثة المستجدة وما يتلف من كتب سنة أولى لاستعمالها سنتين وفراشين
١٣٢	للمعمل
١٢٠	تقليات للمعلمين فى الأجازات بنصف الأجرة بخلاف الانجليزى حيث لا أجازة له فى أول سنة
ـــــــ	
١٦٧٠	
١٤٤٠	تنزيل المتحصل
ـــــــ	
٢٣٠	عجز ١٩٤٥م

ميزانية سنة ١٩٤٦م

جنيـــه	
١٩٢٠	المتحصل بعد خصم ٢٠٪
	التكاليف
١٢	علاوة لمحمد أفندى فضل
٢٠٤	ماهية فتحى أفندى (علاوة بعد سنتين)
٣٠٠	المدرس المعين ٤٥ (علاوته بعد سنتين)
٢٤٠	المدرس المعين ٤٤ (علاوته بعد سنتين)
١٣٢	المدرس العربى (علاوته بعد سنتين)
٤٨٠	المدرس الانجليزى الأصل (علاوته بعد سنتين)
٦٠	أدوات ومراسلات وفراشين
٢٠٠	للمعمل
١٧٢	نقليات للمعلمين للأجازة بما فيهم المدرس الانجليزى
١٨٠٠	
١٢٠	وفر ــ رصيد تحت المنصرف فيما ينقص ميزانيته التقريبية

فلما وصلت المعارف هذه الميزانية رد علينا بهذا الجواب : ــ

مصلحة المعارف الخرطوم

٧ أكتوبر سنة ١٩٤٢م

ناظر مدرسة الأحفاد بأمدرمان

سيدى العزيز

تسلمت كتابك غير المؤرخ ردا على خطابى رقم ٩ ــ ٨ ــ ١٦ بتاريخ ٢٨ مايو ١٩٤٢م الذى فصلت فيه مشروع خطتك لاضافة قسم ثانوى لمدرستك الحاضرة .

٢ ــ وأنت تذكر اننى قد وضحت لك فى خطابى آنف الذكر أن موافقة

صاحب المعالى موافقة مبدئية وأن العمل الذى تحاوله ليس من السهولة انجازه أو الاحاطة به وانني عددت لك شروطا معينة تخص المدرسين والمباني والمال والمنهج لا بد من استيفائها استيفاءا متقنا قبل الحصول على مصادقة صاحب المعالى النهائية للمشروع .

٣ — وانه ليؤسفني ألا أستطيع قبول مشروعك بشكله الحاضر لأن به عدد من النقاط التى لم أقتنع بها حتى الآن وأهمها : —

(ا) عدد المدرسين ومؤهلاتهم .

(ب) المرتبات المفروضة وتنظيم مال التأمين .

(ج) أعارة خدمات المدرسين البريطانيين من هذه المصلحة .

(د) استقلال القسم الابتدائى من الناحية المالية . فالقسم الثانوى يجب أن يقوم نفسه بنفسه .

(هـ) ضرورة الحصول على تعهد كتابى من لجنة المدرسة ككل بسد أى عجز سنوى بين الدخل والمنصرف .

(و) ضرورة بناء مال احتياطى منذ البداية وقبل فتح المدرسة .

(ز) أن تقدير المصروفات على العموم لا تفى لمطالب المدرسة .

٤ — وفيما يختص بالترتيبات المالية أود أن أشير الى أن حضرة صاحب المعالى عندما أعطى تصديقه المبدئى بانشاء قسم ثانوى بمدرستك تساءل فى المكان الأول عن الحكمة من الاندفاع فى مثل هذا المشروع الذى اقترحتموه قبل توفير المال اللازم له مبينا أن المعتاد فى مثل هذه الحالة أن يقوم أصحاب المشروع أولا بجمع المال الكافى بضمان يشيد المدرسة أو القسم على أسس مالية متينة كما طلب معاليه منى أن أتأكد من استيفاء الشروط اللازمة بايجاد المال الذى يفى بالتكاليف الحاضرة وما يتطلبه التوسع فى المستقبل قبل اعطاء القرار النهائى .

٥ — (ا) وعليه أرانى ملزما بأن أطلب منك الحصول على تعهد كتابى من لجنتك بأنها :

١ — تتعهد بسد أى عجز سنوى فى المصروفات .

٢ — تتبرع بخمسمائة جنيه كاحتياطى لهذا الغرض ويجب أن يحافظ على

مقدار هذا الاحتياطي بحيث يوصل الى هذا الحد فى بداية كل عام .

(ب) يجب أن يوحد الضمان اللازم بانشاء مال تأمين منفصل للمدرسين اذ أن اعتماد ٤٪ من مرتب مدرس واحد فى سنة ١٩٤٣م و ١٩٤٤م و ١٩٤٥م ومن مرتب مدرسين فى ١٩٤٦م ليس بكاف بل يجب أن يعمل على التعاقد مع أغلبية المدرسين على أساس مال التأمين .

(جـ) يجب تكوين احتياطي لتسوية مرتبات الموظفين ليكفل لهم ضمانا أوفى فى المستقبل وهذا يستدعى جمع تبرعات سنوية لمدة عشرة أعوام بحيث يتكون منها مبلغ كافى لسد النقص الذى قد ينشأ ويستمر لمدة معينة من السنوات .

(د) لا يسمح بزيادة أو انقاص مرتبات المدرسين خصما على القسم الابتدائى الا على أساس ساعات العمل الحقيقية .

(هـ) أن المرتبات الأولية المقترحة للأساتذة الشاميين أو المصريين بسيطة جدا . ولم يحسب فيها حساب للعلاوات .

كما أن تقدير المدرسين الذين يحتاج اليهم ليس كافيا وكذلك ماقدرتموه لتكاليف المواصلات والكتب والأدوات .

٦ ــ وبعد فان الترتيبات المقترحة للموظفين غير مقنعة لقد سبق أن أشرت الى انخفاض المرتبات الأولية المقترحة والى قلة عدد المدرسين المطلوبين وأشرت الى الرغبة فى ايجاد موظفين شبه مثبتين على أساس التأمين وأن تغير الموظفين المستمر لا يساعد على ايجاد الاستقرار المنشود .

وليس بكاف تعين أحد الموظفين من خريجى العلوم ببيروت على اعتبار انه كفؤ لتدريس الرياضة والعلوم بالرغم من أنه لم يسبق له مران فى التدريس كما لا يكفى تعيين أحد المشائخ المتقاعدين من مدرسى كلية غردون والذى لا يستطيع أن يدرس سوى اللغة العربية والدين . وواضح من المشروع الذى ضمنته خطابك أن جزءا كبيرا من التدريس بالثانوى سيوكل القيام به لمدرسى المدرسة الابتدائية الذين لا يحوزون المؤهلات الحقة للقيام به .

وأضف الى ذلك انه يكاد يكون من المؤكد أن المصلحة لن تستطيع مساعدتكم بمدرسين بريطانيين حيث أن العدد الذى لدينا منهم فى الوقت

الحاضر مرهق بالعمل فى الفصول الأولية بكلية غردون وبمدرسة أمدرمان الثانوية الصغرى •

٧ ولا أود أن أتعرض لتفصيلات أكثر مما فعلت مكتفيا بالقول أنى قد راعيت النقاط الأخرى التى جاءت فى كتابك ومعبرا عن سرورى من أن السير السيد عبد الرحمن المهدى باشا قد تفضل فقبل أن يشمل برعايته القسم الثانوى المقترح •

٨ ـ لقد سبق أن أكدت لك رغبتى الصادقة فى مساعدتك والتعاون معك بأقصى ما أستطيع للاحاطة بمشروعك وتنفيذ مقترحاتك تنفيذا يكفل لهاالسماح ولاهتمامى بالأمر فانى أقترح كحل عملى حسن للموضوع أن تنصح لجنتك بتعيين اثنين أو ثلاثة من أعضائها للتعاون مع ممثلين لهذه المصلحة لوضع مشروع معدل مبنى على أساس يكون ثابتا ومقبول للطرفين •

المخلص

عن مدير المعارف

وفى تلك الفترة كتبت جريدة النيل تحت باب حديث اليوم بعنوان مدرسة ثانوية أهلية ــ كتبت : ــ

علمنا أن حضرة الأستاذ العصامى الشيخ بابكر بدرى ناظر مدرسة الأحفاد الوسطى قد اعتزم انشاء قسم ثانوى بمدرسته : وقدم بذلك تقريرا ضافيا لمصلحة المعارف طالبا التصديق له بانشاء هذا القسم .

ان حاجتنا الى مدارس ثانوية لا تحتاج الى برهان وهذه الأفواج من متمى المدارس الوسطى يردون من باب الكلية الثانوية زرافات ووحدانا عاما بعد عام . فيقنع بعضهم من الغنيمة بالاياب ويتشبث آخرون بالتعليم فيلجأون الى المدارس الأجنبية والتبشيرية . ومع أنه قد شام برق من مصر يبشر بمدرسة ثانوية تؤاخى كلية غردون . الا أن ذلك لا يسد العجز فى التعليم الثانوى تماما فالمائتا طالب الذين لا يجدون مجالا فى كلية غردون أكثر من أن تستوعبهم المدرسة الثانوية وحدها .

هذا من ناحية الكم ولكن ليس هو كل شىء فالمدار الأول على الكيف . وهنا يجب أن نقف قليلا فالاستاذ بابكر بدرى يدير مدرسة وسطى وفق برنامج مصلحة المعارف السودانية فمن الطبيعى أن تكون مدرسته الثانوية وفق برنامج كلية غردون وبرنامج الكلية الحالى برنامج لا يعد الطالب للعمل . وانما يعده لتعليم أعلى . فمدرسة ثانوية أهلية ان سهلت مهمة التعليم فى المرحلة الثانوية وخففت من الزحام على أبواب الكلية فانما تنقل المشكلة الى أبواب المدارس العليا فينتظر اذن أن ينظر بدقة الى ما سوف تقبله المدارس العليا فى السودان من الطلبة وغير خاف أن برنامج التعليم الثانوى فى كلية غردون لا يؤهل للمدارس العليا فى مصر وهذه بلا شك نقطة هامة تستوجب الدرس والتمحيص .

هنالك أيضا المشكلة المالية فنحن نعلم أن المدارس الأهلية على وجه العموم ومدارسنا على وجه الخصوص تئن من الأعباء المالية وتضطر فى أغلب الأحيان لاسترخاص المدرسين وهذا يجر الى عقدة عسيرة الحل . فالمدرسون غير الحائزين على مؤهلات كافية لا يمكن أن يرتجى منهم محصول علمى وفير أو مناسب وكذلك المدرسون الأكفاء الذين ينالون أجرا لا يتناسب مع ما يؤدونه من عمل . ولعل ذلك هو السبب المباشر فى أن المدارس الأميرية

دائما أجدى من المدارس الأهلية وأقدر على الانتاج .

ان انشاء مدرسة ثانوية أهلية أمل حلو تتوق جميعا الى تحقيقه ولكن الجرى وراء الآمال الحلوة ينبغى ألا ينسينا مغبة النكسة . ومن أجل هذا ينبغى أن نتحوط قبل أن ننشىء مدرسة ثانوية من ناحية البرنامج العلمى والتغذية المادية .

ان الشيخ بابكر بدرى رجل مدبر وخبير ولولا ما يتحلى به هذا الرجل من صفات الدأب والتدبير لطالبنا مصلحة المعارف بألا تأذن له بانشاء مدرسة ثانوية ما لم تكن هنالك ضمانات كافية . ولعله لم يقصر فى وضع مشروع ميزانية مفصلة لمشروع كبير .

على أننا كنا نؤثر لو أن حضرته بذل هذا النشاط فى توسيع المدرسة الابتدائية أو انشاء مدرسة ابتدائية للبنات . فان الحاجة اليها قد لا تقل عن الحاجة الى مدرسة ثانوية ان لم تزد عليها ولا سيما بعد أن أعلنت وزارة المعارف المصرية عن انشاء مدرسة ثانوية أو انشاء مدارس فنية .

وفى رأينا أنه من الخير لنا أن نعدل برنامج مدارسنا الأهلية تعديلا يتمشى مع رغباتنا الوطنية . ويؤهل أبناءنا الى نوعين من التعليم الثانوى العام . فيعد بعضهم الى المدرسة الثانوية المصرية وبعضهم الآخر الى كلية غردون حسب نزعات وميول الطلبة الخاصة . ولعل هذا هو الحل المعقول لمشكلة التعليم العالى المرتقبة حيث يستطيع الملتحقون بالكلية الانتقال الى المدارس السودانية العليا كما يستطيع طلبة المدارس المصرية الالتحاق بالجامعة المصرية .

وفى ختام هذا الحديث يحسن أن نسجل رأينا بصراحة وهو أن تبحث مصلحة المعارف على ضوء ما عرف عن الشيخ بابكر من حسن التدبير مشروع مدرسته الثانوية ومتى وجدت أنه قادر على انشائها انشاء يصون نوع التعليم الثانوى مع التكفل بقبول طلبتها فى نهاية دراستهم بالمدارس السودانية العليا فمن الخير أن يؤذن له بها ما دام مقتنعا بأنها أوجب مما أشرنا اليه من نوع التعليم . ومهما يكن من شىء فان هذا التطلع من شيخ كناظر مدرسة الأحفاد ينبغى أن يقابل بالحمد والثناء والاعجاب .

فى هذه السنة ذهبت ومعى ابنى يوسف بدرى للمستر اسكوت فى بينه وشكوت له عدم استقرار المدرسين بالمدارس الأهلية لأنهم يقارنون بحالهم وحال مدرسى الحكومة .

« فتح أول ثانوى أهلى »

فى ١٢ يناير ١٩٤٣ فتح الثانوى على ٢٢ تلميذا وهذه أسماؤهم :

أحمد ابراهيم مالك ، أحمد عمر أبو بكر ، أحمد حسين محمود ، التوم سيد أحمد عرديب ، الطاهر بخيت العوض ، الطيب حسن الطيب ، المجتبى عبد الوهاب ، حلمى سيفين عطا الله ، سليمان ابراهيم العرضى (ذهب الى مصر) ، عبد الرحيم ابراهيم ، عبد الرحمن سيد أحمد (التحق بفاروق الثانوية) ، عبد الرحيم منزول ، عبد العزيز على محمد ، عبد الماجد قمر الدين (ذهب الى مصر) ، عثمان أحمد محمد ، على ضو البيت ، على محمد أحمد على ، على ابراهيم ياجى (ذهب الى مصر) ، محجوب محمد يوسف ، محمد أحمد قاسم ، محمد عبد الله أحمد عربى ، محمد عثمان أحمد عشرية (التحق بمدرسة الصحة) ، محمد عبد الرحمن الفكى ، محمود الجاك (ذهب الى مصر) ، مصطفى أحمد جنيدابى ، مصطفى أحمد البارودى (ذهب الى مصر)، (وقد ذهب من ذهب الى مصر بعد النصف الأول من السنة الأولى) .

ثم أخذ ينقص عددهم بالنسبة لفتح ثانوى مدرسة فاروق بالخرطوم وشدة رغبة الأولاد فى السفر لمصر . حتى اضطررت لأن أذهب الى محمد بك عبد الهادى أول ناظر لمدرسة فاروق والذى بنيت المدرسة بمباشرته فكان قد قاسى تعبا أثر فى ملاحة وجهه وجسمه كله وأتذكر أن قلت له خذ صورة على شكلك هذا تكون لك شهادة فيما قاسيته من تعب . فجاء معى لمدرسة الأحفاد وخطب فى تلامذة الثانوى بأنه قد فتحت مدرسة الثانوى المصرى بالخرطوم للتلاميذ الذين لم يجدوا محلا فى ثانوى الحكومة وثانوى الأحفاد والأهلية بأمدرمان أما الذين وجدوا محلا باحداها فلا يمكن قبوله بثانوى مصر ولا التوصية عليه بقبوله بثانوى فى مصر وبذلك استقر التلامذة بمدرستى الأحفاد والأهلية . وكان حضور عبد الهادى بك تلك المناسبة فى المدرسة ابريل سنة ١٩٤٤ .

وحينما فتحنا الثانوى فى أول سنة ١٩٤٣ اضطررنا لأن نأخذ للغة

الانجليزية بريطانيا يسمى المستر بيركس نعطيه ٦٠ جنيها شهريا على حساب الأحفاد .

وفى آخر سنة ١٩٤٤ طلبنا قطعة أرض لنبنى فيها داخلية فلما كتب مفتش أم درمان يستشير المعارف جاءنا مستر هارتلى برسالة من مدير المعارف بأنهم سوف يفتحون مدارس وسطى فى الجزيرة وأماكن غيرها فلا يفد تلاميذ غرباء لأم درمان فيحتاجون الى داخلية فقلت لهارتلى يمكنكم انجاز هذا العمل قبل عشرة سنوات فقال لا فقلت : هل تستطيعون أن تمنعوا أباء الأولاد الراغبين فى ارسالهم لأم درمان ؟ قال : لا قلت اذا الداخلية مستعملة لعشرة سنوات وعند انتهاء عملكم سنجعلها منازل للمعلمين الغرباء . فقال أنت غرضك أن تبنى منازل . فقلت انما أبنيها لكم لأنك حينما تأتى وتفتش ميزانية المدرسة لتسد العجز هل تخصم أجرة المنازل أم لا . قال اخصمها قلت اذن هى لك . ثم قال له يوسف بدرى الذى كان حاضرا المحادثة وهذه المدارس الوسطى التى تبنونها أتجعلون لكل أربعة منها أو خمسة مدرسة ثانوية لها ، قال : لا . قلت هل تمنعون الأغنياء من ارسال أولادهم لثانويات أم درمان . قال : لا . قال يوسف اذا الداخلية لازمة لأولاد الثانوى . قال هارتلى سأنقل هذه المحادثة كما هى لمدير المعارف . وبعد أيام مشيت لمدير المعارف (المستر وليمز) وطلبت منه الموافقة والتوصية لاعطائنا أرض الداخلية فقال لى : يا شيخ بابكر الانسان يطلب من الله الغنى القادر أشياء يعطيه بعضها ويحرمه بعضها ويؤجل بعضها وأنت كلما طلبت طلبا تلح فى اجابته كاملا لا تقبل تأجيلا ولا حذف بعض . قلت : نعم انى لا أطلب طلبا الا اذا توفرت ثلاثة شروط . الأول أنا أستحقه . الثانى أن وقته حل والثالث المطلوب منه قادر على انجازه . وهل تعرف شرطا ناقصا سعادتك فيها لطلبى هذا ؟ قال أكتب تحريرا فأخذت ورقة من مكتبه وكتبت له الطلب . ولكن صاحبنا المستر لونج (مفتش أم درمان) أخر التصديق حتى اضطرنى أن أقول لمساعده المستر أوين : صدق لى أنت يامستر أوين بأرض الداخلية . فقال لى المستر أوين : المستر لونج صاحبك وتطلب منى التصديق ؟ فقلت له أن المستر لونج لا يساعد أصدقاءه فاهتز المستر لونج وقال لى مغضبا : أنا لا أساعد أصحابى ؟ فقلت له : كذبنى بالفعل وجىء بالتصديق وما زال

يماطلني حتى نقل للخرطوم وخلفه المستر كلارك الرجل الطيب المساعد فى التعليم كما يطلب أهل التعليم بنوعيهما ، شعب ومعلمون .

فى يونيو من هذه السنة الذى فتح فيه فصل السنة الأولى على ثلاثة مدرسين هم بابكر بدري وفتحي امبابى ومستر بيركس ومن الضرورى وجود معلمين لسنة ثانية عرضت على المعارف الاذن لى بالسفر لمصر لاحضار المعلمين من ذوى الشهادات الجامعية ومصاريف السفر تكون على حسابى الخاص ذهابا وايابا واقامة بمصر وأذن لى فذهبت فى عطلة شهر يونيو سنة ١٩٤٣ حيث اجتمعت بصديقنا عبد الحميد المنوفى الذى وجد رئيس مكتب فى مصلحة المعارف العمومية بالقاهرة ووجدت منه مقابلة حارة ومساعدة قيمة ذهب معى لمقابلة طه بك حسين فى اليوم السبت ولم تتيسر لنا مقابلة سعادته الا يوم الخميس حيث قلت لعبد الحميد آفندى اليوم ان لم فلن والمعنى اذا لم تتيسر لنا مقابلة طه بك اليوم فلن أحضر لمقابلته فكلم سكرتير طه بك الذى يسر لنا مقابلته ونعمت المقابلة كانت . فبعد السلام أخبرته بأنى أطلب معلمين لمدرسة ثانوية فتحت فى أول هذا العام بمدينة أم درمان فلا أنس انه رفع رأسه ومد عنقه استعدادا لاجابة الطلب ثم قال : نحن نعطى أقطار العراق وسوريا ولبنان والمغرب المعلمين كطلبهم فالأقربون أولى بالمساعدة . نعطيكهما من أجود الصنف مجانا فقلت لسعادته لا أستطيع قبولهما مجانا ، قال ولم ؟ فأجابه عبد الحميد أفندى بأن حكومة السودان لا تقبلهما مجانا فقال لى سعادته كم تدفع للواحد فى الشهر ؟ قلت خمسة عشر جنيها . قال : طيب ونحن ندفع الباقى أو تتساوى فيه ثم رفع سماعة التلفون وخاطب محمد بك رفعت قائلا : يا رفعت انت المنوط بتعيين معلمى الثانوى للمدارس . وأنا عايز تختار معلمين أحدهما للرياضة والثانى للآداب من النوع الجيد لمدرسة ثانوية بأم درمان ثم ختم كلامه بقوله : أنا عايز كده !

فذهبنا وثالثنا الشيخ عبيد عبد النور لرفعت بك بمكتبه فوجدناه أحسن رجل فى استعداده لنا مقابلة وقضاء حاجة ثم دعانا لتناول الشاى بمنزله فقبلنا دعوته خوفا من تطبيق قول الشاعر علينا :

من دعانا فأبينا	فله الفضل علينا
واذا نحن أجبنا	انقلب الفضل الينا

فلما ذهبنا ثلاثتنا لمنزله فى مساء الغد وجدنا معـــه من ضمن من دعاهم
للتعرف بنا محمد بك عبد الهادى الذى لم أقابله قبل ذلك وفى ذلك المجلس قال
رفعت بك ان المستر وليمس أخبرنا ان مصلحة الصحة بالخرطوم لم توافق على
فتح المدرسة الثانوية المصرية بمنازل استراحة الرى فى الخرطوم ونحن عزمنـا
على ان تفتح بمنازل جبل أولياء مؤقتا فأشرت عليه بأن فتحها فى جبل أوليـاء
يضيع السماح لكم بقطعة أرض لها بالخرطوم وربما تستمر طويلا بجبل الأولياء
فيصعب وجود تلاميذ لها من ســـودانيين كما تكون بالخرطوم فالأحسن أن
تفتحوها بمكاتب الرى فى الخرطوم مؤقتا فانهم لا يستطيعون الطعن فيهـــا
صحيا ولا موقعا فاستحسنوا الرأى ثم جاءنى خبر من يوسف بأن الشيخ عقارب
الذى اتفقت معه على تدريس العربى والدين بثانوى الأحفـــاد قد اتفق مع
الدرديرى أفندى محمد عثمان وسافر فعلا لبورتسودان فاضطررت للرجــوع
لطه بك حسين لطلب معلم ثالث للعربى والدين فعلمت انه بالاسكندرية فأخبرت
الصديق عبد الحميد أفندى الذى صحبنا للاسكندرية وفى صباح يوم وصولنا
علمنا ان طه بك رجع للقاهرة فاخترت مقابلة الوزير (وزير المعـارف) نجيب
باشا الهلالى الذى مكثنا بمكتب سكرتيره ساعتين كاملتين لم يسألنا عن سبب
مجيئنا حتى دخل علينا حامد بك سليمان الذى كان رئيســا للرى بالسودان
وبعد السلام قال لى متى جئت هنا قلت جئت فى هذا المكتب قبل ســاعتين
لأقابل الوزير فذهب للسكرتير فقال له هذا الرجل الذى مكث معك ساعتين
لم تسأله ففى الخرطوم كنا أنا وعلى بك حسن جالسا بيننا السكرتير الادارى
لحكومة السودان فى حفلة جامعة بمنزل الرى فقال هذا الرجل للســكرتير أنا
أحب أقابلك غدا فاضرب لى ميعادا فقال له السكرتير تعال الساعة ١٠ صباحا
فمشى هذا الرجل فتذكر السكرتير انه له جمعية فى الساعة ١٠ فقام السكرتير
وجرى خلفه وهو يقول يا شيخ بابكر فوقف للســكرتير الذى قال له تعـال
الساعة اثنا عشر . فأنتم تعاملونه هذه المعاملة . فنهض السكرتير ودخـل على
الوزير وجاءنا باذن المقابلة فدخلنا على الوزير وكان معنا عبد المنعم الشـافعى
وعبد الحميد المنوفى فسلمت على الوزير وجلست على كرسى بشماله وبدأت
أحكى له عن طلبى فقال لى أنا عارف بكل ما دار بشأن طلبك عند طه بك حسين

فقلت لكن جاء أمر جديد وهو ان ابنى بأم درمان أخبرنى ان المعلم عقارب قد نقض عهده معنا فأريد معلما ثالثا للعربى والدين فقال لى أنا أقضيها لك هنا وهناك. فقلت لسعادته هذا وعد غير مكذوب ثم قلت له الدليل على ان المعلمين عندكم بكثرة اتخاذكم عبد الحميد أفندى المنوفى كاتبا وهو عندنا من خيرة المعلمين فنهض الوزير قائما وأشار لعبد الحميد بيده قائلا هذا عبد الحميد الكاتب مشبها له بعبد الحميد بن يحى كاتب مروان ابن محمد . ثم قال عبد المنعم الشافعى للوزير أنا مظلوم قال له ومن أنت ؟ قال أنا عبد المنعم الشافعى فقال له الوزير انت الذى ظلمت نفسك لأن حكومة السودان طلبت منا انتدابك حتى مايو سنة ١٩٤٤ وصادقنا لها وكنت انت قد وصلت الشلال فلا يمكن أن نعطل درجة مدت لصاحبها سنة وفى الآتية ستأخذ ترفيتك . فأعجب يا قارىء لهذه الحافظة من الوزير الذى تحفظ لعامل بسيط مبعد عن مركز المصلحة مثل هذه الحادثة التى تدل على علم محيط بكل مافى المصلحة من أمور متشعبة متعددة سبحان المانح .

ولكن قد عالجت عينى فى هذه السفرة عند الدكتور صبحى الذى هو كما يقول : أنا رب العيون . افتخارا بمهارته فى علاج العيون .

وقد أشار على صديقى عبد الحميد المنوفى بأن أكتب للوزير طلبا كتابة ليذكره بتعين المعلم الثالث وكلفته بكتابته فكتب هذا الطلب وكتبه وسترى صورته فى غير هذا المكان . ذهبنا أنا ومجذوب وعبد الحميد وعبد المنعم الشافعى لرمل الاسكندرية حيث البلاجات مصفوفة ولما وقفنا على الشاطىء جاء أربعة شبان لابسين المايوه فخرج لهم من البحر أربع فتيات عانقت كل فتاة فتى وغطسوا فى البحر متعانقين فاشمأزت من هذا المنظر الذى لم تره عينى منذ خلقت ولم آمل وجوده وصحت قائلا : ما عصى رب البرية كما عصى برمل الاسكندرية ولم أقف بعدها فى ساحل الرمل .

قبل قيامى الى مصر طلب منى كثير من ولاة امور الطلبة عمل داخلية فشرعت فى بناءها بقطعة ملكى تحت نمرة ٩٨٨ـ٤ـ١ البالغة مساحتها ٥٢٤ مترا مربعا التى اشتريتها من ورثة الشيخ دفع الله بجوار قبته وفتحت داخلية من أول اكتوبر سنة ١٩٤٣ وفى شهر اكتوبر وصلنا المعلمون أحمد عبد اللطيف محسن للجغرافيا والتاريخ والشيخ حجازى للعربى والدين وسعد الدين التاودى

للرياضة . ولما كان بالثانوى فصل واحد اشتركوا مشكورين فى تعليم تلاميذ الوسطى فى سنتى ٤٣ و ٤٤ ثم استقلوا بالثانوى . ومدرس بريطـــانى اسمه بيركس الذى حضر فى يناير سنة ٤٣ . أما المعلمون المصريون فماهية كل ٢٤ جنيه تدفع المدرسة نصفها وتدفع معارف السودان النصف الآخر بنــــاءا على رغبتها فى مساعدة القسم الثانوى التى جاءت على القسر منها عنــــدما أبدى الدكتور طه حسين تبرعه المذكور آنفا .

حضرة صاحب المعالى الأستاذ الجليل أحمد نجيب الهلالى باشا

وزير المعارف العمومية

هذه الشعلة التى رفعتها بيدك الكريمة فسطع نورها فى الآفاق وأضاء فى البصرة وبغداد وفى بيروت والقدس وفى غير هذه وتلك من البلدان العربية ولم تبخل على السودان بأشعة لامعة منها :

هذه الشعلة : لا تزال مدينة أم درمان – وهى العاصمة الوطنية للسودان تتطلع الى أن تنال حظها منها .

ولقد جئت من مدينة أم درمان لأنال لها قبسا من ضوء هذه الشعلة . ولأعود اليها حاملا نصيبها من هذه المائدة العظيمة التى عم خيرها المشرق والمغرب

ولقد حفزنى للاسراع فى المجىء اليكم مطالبا بحق أم درمان ما أعلن من أن سياسة الوزارة فى عهد معاليكم ألا ترد الطلب :

والسودان متعطش الى العلم وفيه نهضة تسركم وهو يتطلع الى مصر كما يتطلع اليها المسلمون فى كل مكان ولا ينقصه ليأخذ فى أسباب النهوض الا أن يجد حاجته من المعلمين

وقد أنشئت فى أم درمان أول مدرسة ثانوية سودانية أهلية هى مدرسة الأحفاد التى أتشرف بادارتها وقد جئت لأطلب لهذه المدرسة اثنين من الأساتذة المصريين رجاء أن يكون فى اجابة هذا الطلب – برا بوعدكم – ما يحقق بعض آمال أم درمان .

وأحد هذين المدرسين مطلوب لتدريس التاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية والآخر مطلوب لتدريس الرياضة على أن يكون كل منهما ذا درجة جامعية أو خبرة طويلة فى التعليم بالمدارس الثانوية

وأرجو أن أمكن من التعاقد مع كل منهما لمدة طويلة لا تقل عن أربع سنوات وأن يكون اختيارهما من مدرسى الوزارة على طريق الاعارة أو الندب مع حفظ حقوقهما التى تحفظ لأمثالهما المعارين والمنتدبين للعراق والشام وغيرهما فاذا وقع اختيار عليهما أو على واحد منهما من غير مدرسى الوزارة فأرجو أن

تشجعهما الوزارة على القبول بتعيينهما لديها ثم اعارتها لنا حتى اذا لم يتجدد عقدهما وعادا الى مصر وجدا مكانهما محفوظا لهما .

وتستطيع المدرسة أن تدفع لكل منهما ماهية شهرية قدرها ١٥ جنيها تزاد الى سبعة عشرة جنيها فى الشهر بعد سنتين

هذا هو ما أتشرف بعرضه على معاليكم مرتجيا التفضل بالعمـــل على تحقيقه فان فى تحقيقه اجابة لرغبة من رغبات الســـودان كعامل من عوامل الارتباط الذى يسعى الجميع اليه .

وتفضلوا يا صاحب المعالى بقبول فائق الاحترام .

المخلص

بابكر بدرى

مدير مدارس الأحفاد

١٩٤٣/٧/٦

بناء ثانوى الاحفاد الاول

بما انا قد فتحنا الثانوى فى غرفتين من بناء المدرسة الوسطى احداهما للفصل والثانية للمعمل ولم توجد غرفة تسع السنة الآتية والتى بعدها فى هذه المدرسة بنينا غرفة واحدة بها لنأخذ الفصل الثانى وفكرت فى بناء مدرسة كاملة للثانوى • ذهبت للمستر هلارد طالبا منه المثلث الذى أمام المدرسة وشرق الترمواى لنبنيها للكتاب فأعطانا القطعة التى جنوب المركز والبالغة مساحتها ألفين وأربعة أمتار • ملكنا الأرض وبحثنا عن المال فلم أجد موردا الا من الذين كان بيدهم مال التعليم وعلى رأسهم الأستاذ اسماعيل الأزهرى فأعانونى مشكورين بتسعمائة جنيه وكنت طالبا منهم ألفا وخمسمائة جنيه لأن المدرسة أول مدرسة ثانوية أهلية ولأملى فيهم صرت أطالبهم بالستمائة الباقية وأخيرا لما لم أجد منهم قلت للسيد اسماعيل الأزهرى قل لاخوانك عمى بابكر بدرى يشكركم على الماضى ويعذركم فى الحاضر ولا ييأس من عونكم فى المستقبل واضطررت للأخذ من وفر المدرسة الوسطى كما اضطررت لبناء المدرسة بالحجر والمونة الطين بواسطة متعهد يدعى محمد العجب ومساعدة المهندس أحمد أرباب الذى تبرع دون أجر • فشيدنا أربعة فصول وغرفة للمعلمين وغرفة للمعمل وغرفة للناظر فلما جئت عند السقف ذهبت للمستر اسمث مدير الزراعة والغابات وطلبت منه تسعمائة رصاصة من السنط بواقع الرصاصة سبعة قروش فلما جاء الخشب طلب منى المفتش المباشر المستر بانكس عشرين قرشا على الرصاصة الواحدة وكان المستر اسمث بالأجازة فكلفت المستر أسكوت الذى نزل الثمن الى أربعة عشر قرشا فاستلمت التسعمائة رصاصة • سقفت منها الخمسة فصول أربعة وغرفة الناظر وبعت الباقى سعر الواحد عشرين قرشا وساعدنا فى مشترى باقى السقف من فلكاب وشكاب وغيره ثم رحلت سقف غرف الداخلية بمنزلى برفاعة وسقفنا بها غرفتى المعمل وغرفة المعلمين • وصرنا كلما وفرناه من الوسطى أو الثانوى نصرفه للأبواب والشبابيك حتى أقمنا المدرسة وصرفنا على الادبخانات والمزيرة ورحلنا فى الثانوى كاملا وفى سنة ١٩٤٥ ضاقت الوسطى بتلاميذها فبنينا فى دار الثانوى غرفتين شغلتهما رابعة وسطى أربعة سنوات وفى سنة ١٩٤٩ أعطتنا الوزارة المصرية حيث قرأت فى الجرائد كغيرى ان هذه الوزارة تكرمت

على مدرسة الأحفاد بثلاثة معلمين مصريين مرتباتهم فى السنة فى حدود الألفين جنيه وبناءا عليه فتحنا فصلا جديدا فى الثانوى سميناه باسم الضرير تيمنا بالشيخ الأمين الضرير شيخ الاسلام فى الحكم التركى قبل المهدية ولكنها أى الوزارة المصرية بعد خمسة شهور وكسر قفلت المدرسة للعطلة الصيفية وذهب المعلمون الثلاثة فيها ولم يرجعوا لنا بعد . ولم تخبر عنهم بشىء حتى فتحت المدرسة فاضطررنا لأخذ غيرهم بما فيهم كامل الجنيدى الذى هو أحدهم على حساب الأحفاد .

وفى نفس سنة ١٩٤٥ نقل تلاميذ الثانوى للسنة الثالثة ، اضطرت لمقابلة مستر اسكوت مدير ثانوى المعارف بأم درمان بأن يسمح لمستر كريتون يعطينا حصص انجليزى بالثانوى الثالثة فسمح مشكورا كما سمح لأحمد أفندى محمد صالح على أن نعطيهما أجرا شهريا على حساب الأحفاد . وفى سنة ٤٦ عين لنا مستر بريرا على حساب الأحفاد لميعاد سنة واحدة وفى شهر نوفمبر من هذه السنة ذهبت للمستر وليمس . وقلت له : انى قد جئتك فى مسألة لم يسبق لها مثيل فى هذه الحكومة منذ حل ركابها بالسودان وهى توسط سودانى عند انجليزى لانجليزى يطلب له مد خدمته فالسودانى أنا بابكر بدرى والانجليزى المطلوب منه سعادة المستر وليمس مدير المعارف والمطلوب له الانجليزى المسمى بريرا المعين من المعارف بمدرسة الأحفاد . أطلب له تجديد سنة أخرى لأن له عائلة تطالبه وقد طلب منى هذا التوسط عند سعادتك بصفتك صديقى ومدت له سنة ولكن عند غيرنا .

وفى سنة ٤٥ حصل بيننا ولجنة مال التعليم ما يأتى :

وصلنا جواب من مدير المعارف فى أوائل سنة ٤٥ ينذرنا فيه اننا ان لم نستطع وضع الخمسمائة جنيه الاحتياطى للثانوى بالبنك ونرسل المستند بوضعها للمعارف . لا يأذن لنا بفتح الفصل الجديد (سنة أولى) فى العام القادم فقدمنا لهم هذا الانذار بواسطة رئيسهم اسماعيل أفندى الأزهرى وبدوره أحاله للجنته فطلبوا منا تقديم حسابات المدرسة الثانوية وبعد الاطلاع عليها وعدونا بدفع مبلغ الخمسمائة جنيه فى مارس سنة ٤٥ ثم أخذوا يماطلونا الى شهر نوفمبر من نفس السنة حيث توجهنا أنا ويوسف بدرى وعثمان ميرغنى

فى عربة الى اسماعيل الأزهرى حيث سمعنا انه مسافر للأبيض فلقينا يحى أفندى الفضلى بالمحطة الوسطى بأم درمان وقال لنا الى أين تسيرون . قلنا نسير الى الأزهرى فقال بخصوص الخمسمائة جنيه قلنا نعم . قال : نحن البارحة اجتمعنا بخصوص الخمسمائة جنيه ووافقنا على دفعها لكم أى الأحفاد الثانوى ولكن نقص شخص واحد من نصاب اللجنة والآن أنا سائر لاحضاره وأخذ صوته وسيأتيكم الشيك بها اليوم أو غدا فارجعوا واعتمدوا ذلك .

فرجعنا . ولكن . فى غد اليوم الذى كنا ننتظر فيه وصول الشيك وصلنى خبر من ثقة وان كان الثقة لا يبلغ ، كما قال الشعبى انهم قالوا لا يعطونى هذه الخمسمائة جنيه الا اذا دخلت معهم فى حزبهم ولما يئست منهم حاولت أن آخذ المبلغ من الخواجة اسرائيل العينى بالفائدة . ولكن حينما سمع السيد عبد الرحمن المهدى قال لابنه صديق : اعطى بابكر الخمسمائة جنيه من أماناته عندنا فأخذتها شاكرا للسيد معونته لنا . فأوردتها البنك واطمأننت .

هذا من ناحية الصعوبات المالية وهنالك صعوبات فنية أهمها المعلمون . فقد كان لوجود كلية غردون الثانوية بأم درمان أثرا فى حل تلك الصعوبات فقد استعنا بحضرات الأساتذة أحمد محمد صالح منذ ٢٢ سبتمبر سنة ٤٤ الى مايو سنة ٤٦ وكان يتقاضى ٦ جنيهات شهريا وصارت ٩ جنيه عندما زادت حصصه . ثم الأستاذ محمد عثمان ميرغنى من فبراير سنة ٤٦ الى نوفمبر وبشرى أفندى عبد الرحمن من ٢٢ سبتمبر سنة ٤٤ الى ديسمبر سنة ١٩٤٥ وكان يتقاضى ٦ جنيهات شهريا . وأيضا مستر كريتون الذى انضم الى المدرسة فى فبراير سنة ٤٥ الى ديسمبر من نفس السنة وكانت ماهيته فى هذه المدة ٩ جنيهات شهريا .

وفى يناير سنة ٤٦ عينا المستر شايرز لتدريس السنة الرابعة وقد مكث الى ابريل . وكانت حصصه فى أيام الآحاد وفى ظهر كل أربعاء . وفى أثناء عام ٤٦ كتبنا الخطاب المبين أدناه وبصورة لكل من : مدير المعارف ، السكرتير الادارى ، أعضاء مجلس أمناء كلية غردون بانجلترا ، رئيس الجامعة الامريكية ببيروت ، المجلس البريطانى بمصر ، فأرسل مدير المعارف مندوبين من قبله (المستر هارتلى والسيد محجوب الضوى يخبرنا فيه بعزمه على تعيين مدرس

بريطانى لمصلحته وندبه مشتركا بين مدرستى الأحفاد والأهلى • وقد تم ذلك فى يناير سنة ١٩٤٧

(وصلنا فى يوم ١٩٤٦/٤/٧ طلب من اريتيريا من تجار هناك يريدون الحاق أولادهم بالأحفاد وطلب آخر من اديس أبابا عاصمة الحبشة من تجار آخرين يريدون الحاق أولادهم أيضا بالأحفاد • ولما كان دخول الأجانب للسودان يحتاج لتصديق من الحكومة المركزية عارض المستر لونج مفتش أم درمان آن ذاك • قائلا ان مدرسة الأحفاد مفتوحة لأولاد السودان فقط فأخبرناه بأن قبول الأجانب بمدارس السودان فيه دعاية حسنة لحكومة السودان واعتراف بحسن التعليم فيه فقبل الطلبين وحضر الأولاد فعلا)

هكذا ما كان من أمر الثانوى اما المدرسة الوسطى التى كانت قد تركزت ماليا واداريا وفنيا منذ عام ١٩٤٢ حتى بلغ وفرها المالى أكثر من ألفين جنيها فقد انصرفنا عنها لانشاء القسم الثانوى وبادخال علاوة الغلاء فقد بدأت ميزانية القسم الأوسط فى عجز ووصل هذا العجز الى درجة يستحيل معها تغطيته دون اعانة من الحكومة • فبدأت الاعانة من أول عام ١٩٤٦ بأن تدفع الحكومة ثلث المرتبات وتدرجت هذه الاعانة الى أن وصلت النصف من المرتبات • وبقيام الوزارة السودانية الأولى للمعارف شملت الاعانة فى عام ٥١ كل المدارس الوسطى والثانوية الأهلية بما يغطى العجز عند تقديم الحسابات فى آخر كل عام •

وقد كان عام ١٩٤٦ شبيها بعام ١٩٢٤ من ناحية الوعى القومى والحركات السياسية الا انها كانت فى هذه المرة على نطاق أوسع انتظم كل المدارس فقد كان منذ مارس من هذا العام (٤٦) تقوم سلسلة من المظاهرات فى المدارس ـ بدأت أولاها فى كلية الخرطوم الجامعية ثم سرت العدوى فى المدارس الثانوية فخرجت مظاهرة كبيرة من كل مدارس أم درمان الثانوية مخترقة أم درمان متجهة نحو الخرطوم وقد رافقتهم أنا فى عربتى مما جعل مدير المعارف يكتب لنا خطابا طالبا فيه قفل المدرسة نسبة لما يراه من عدم الاستقرار الدراسى لا سيما وقد أقفل هو مدرستيه الثانويتين ولكن بعد أن بحث الموقف فى جلسة لمجلس الأمناء رؤى انه ليس من الضرورى اتخاذ مثل هذا الاجراء •

سرت مع الأولاد للاطمئنان على سلامتهم حتى اذا ما وصلت لكبرى النيل الأبيض لحق بنا مفتش المركز وحاول أن يهدد جموع الطلبة لارجاعهم أو لاثنائهم عن الذهاب للخرطوم فنصحت له أما أن يتركهم يسيرون أو يفتح الكبرى فييأسوا ويعودون ــ وفى صبيحة الغد حضر الينا مدير المعارف طائفا على كل مدارس أم درمان مستفسرا عن سبب قيام المظاهرة • فقلت له : السؤال موجه اليك حيث بدأ التظاهر من مدرستك (مشيرا الى قيام مظاهرة الكلية) فسكت عن الاجابة ثم قال من الآن فصاعدا نأمل أن لا تقوم مظاهرات فى المدارس •

ومن ضمن أوجه النشاط فى هذه السنة أن طلبت الى مجلس الأمناء أن يكتب نداءا لجمع تبرعات لبناء الداخلية التى تصدق على منح أرضها فى حى العرضة •

ولما كنت غير مطمئن على استقرار حالة التعليم الأهلى فقد طلبت الى مجلس الأمناء أيضا أن يبحث فى مشروع قيام اتحاد لتنظيم كل المدارس الأهلية وينظم علاقاتها مع بعضها البعض ويكون حلقة اتصال لها مع المعارف وقد نوقش هذا الاقتراح فى اجتماع ضم ممثلين من المعارف والمدارس الأهلية الموجودة بالعاصمة آن ذاك وفيما يلى من السنين سنقرأ التطورات الخاصة بتكوين هذا الاتحاد وما وصل اليه •

فى يوم ١٨ مايو سنة ١٩٤٧ أضرب تلاميذ السنة ثالثة ثانوى عن قبول امتحانهم فى نصف السنة وطلب منى المعلمون توقيع عقوبة عليهم وفى ثانى يوم أضرب تلاميذ السنة الثانية والأولى باغراء تلاميذ السنة الثالثة فأعلنت ترك الامتحان ورجع التلاميذ للدراسة لأن فى رأيى أن الامتحان فائدته للتلميذ فى معرفة دروسه أكثر منها للمدرس فى تقدير من يدرس •

((بدء تفكيرى فى بناء ثانوى حديث))

ولما رأيت اقبال المواطنين على التعليم الثانوى وما سدته مدرسة الأحفاد وزميلتها المدرسة الأهلية من فراغ كبير فكرت فى أن المبانى الحالية لا تليق بالثانوى من حيث الاتساع والاعداد ورأيت أن لا بد من مبانى أنسب فدعوت لمؤتمر صحفى فى يوم أول ديسمبر سنة ١٩٤٧ وتلوت عليهم جانبا من تاريخ الأحفاد وما تطورت به من تقدم الى أن أخبرتهم بنيتى للسفر وطلبت منهم أن يكتبوا فى كل صحافتهم عبارة تشجع الشعب على احياء الأريحية فيهم ليجودوا بما وسع كل بحيث لا يغتر الغنى بما أعطى من الكثير ولا يضمحل الفقير بما قدم من الحقير والغرض من كثرة المشتركين لا يقل أهمية من كثرة المال المكتتب به للخلف فى المستقبل فكتبت جريدة السودان استار أوسع كتابة من غيرها بواسطة محررها الوطنى الأستاذ بشير محمد سعيد وبعدها صوت السودان وكان رئيس تحريرها الأستاذ عبد الله ميرغنى التى سبقت غيرها ووسعت فيما يتعلق بتاريخ الأحفاد .

وفى ١٦ يسمبر من هذه السنة بدأنا فى الاكتتاب لبناء مدرسة الأحفاد الجديدة ، فقمت فى هذا اليوم ومعى ابراهيم ادريس ويوسف بدرى وخالد موسى حيث كنا فى عطلة نصف السنة للمدارس جمعاء . وبدأت بمدنى فقابلنى مديرها الذى رغما عن صحبته لى بدأ يعتذر للأهالى . فقلت له . نحن نأخذ منهم ما يستطيعون دفعه أو تسهل لى سعادتك ومدير مشروع الجزيرة بأخذ عشرة قروش عن كل حواشة . فقال لى : امشى وقابل جيتسكل مدير مشروع الجزيرة ولما وصلته ببركات قابلنى أحسن مقابلة وأعطانى خمس وعشرين جنيها اكتتابا عن شخصه . وقال لى انه سيكتب لجميع مستخدميه بكل المشاريع ليساعدونى بما يستطيعون عند أشخاصهم . أما مسألة المزارعين أشخاصا وحواشات فلا نستطيع أن نصرح لك بمناولة مساعدة منهم فى أيام الصرف بالمكاتب لأن قانون مشروع الجزيرة يمنع ذلك فأوكلت عمر أفندى محمد أفندى عبد الله ابنى فى الدراسة الأولى برفاعه أن يحصل من اخوانه

المستخدمين بمكاتب مشروع الجزيرة ما سمح به سعادة المدير جيتسكل فحصل مشكورا على ما زاد على المائة جنيه بكشف أسماء المتبرعين وبلغت التبرعات بمدنى ١٣٦ جنيها و ٤٨١ مليما •

بدأت الاكتتاب من أثرياء أمدرمان الوطنيين وبدأت بصديقى القديم الشيخ محمد أحمد البرير الذى سلمنى دفتر الشيكات وقال لى أكتب ماشئت فرددته له قائلا : أكتب أنت ما تجود به أريحيتك فكتب خمسين جنيها • ثم سعيت الى الشيخ السيد كردمان فاكتتب بخمسة وعشرين جنيها ثم قابلت ابنى وصديقى السيد محمد أبو العلا فدفع خمسين جنيها وبعده زرت السيد عبد الحميد المهدى ودفع عشرين جنيها وكنت آظنه كالبرير واستعنت بعد ذلك بالسيد عبد الله الفاضل المهدى الرجل الفاضل معنى وحسا على الشركات الأجنبية بالخرطوم فحصلنا منها على ما لا يقل عن ثمانمائة جنيه فدب النشاط فى جسمى وعظم الأمل فى فكرى بأن أطوف البلاد ثم فكرت ربما اتهم من بعض المواطنين بداء الحزبية أو الطائفية فأرسلت الشيخ بابكر المليك الذى كان مدرسا بثانوى الأحفاد آنذاك فصحبته بابنى يوسف بدرى الى السيد على الميرغنى يوم ١١/٢٧ طالبا منه أن يؤذرنى بكتاب من سيادته لأعرضه على معتنقى طائفته الكبرى بالبلاد فتكرم وقال لهما • لست من عاداتى أن أكتب مثل هذا الكتاب ولكن بطريقى الخاص سأشير لمحبى بالمساعدة ثم أردف قائلا: ان هذا الأمر الذى سيقوم فيه الشيخ بابكر أن قام فيه غيره سنساعده فلما أبلغانى هذا الخبر سعيت ومعى ابنى يوسف بدرى للأستاذ أحمد الفيل فى منزله فى ٢٩ نوفمبر ليكون واسطة فى الحصول على الكتاب من السيد على فلم أر منه تشجيعا لنفس العمل واعترض عليه وشكرته وفارقته •

فى ٢١ نوفمبر قابلت المستر هندرسن فى مكتبه بصفته وكيل السكرتير الادارى فى الأمور السياسية والشئون الأهلية وطلبت منه أن يكتب لمديرى حكومة السودان ليصرحوا لى بأخذ الاكتتابات من مديرياتهم لبناء ثانوى الأحفاد فقال لى : أنا صغير فى وظيفتى والأحسن أن تطلب من صاحبك المستر والس فهو مدير مثلهم ولا بد أن يجيبوا طلبه •

وفى يوم ١١/٢٣ قابلت المستر والس مدير الخرطوم الذى قابل طلبى بارتيـــاح ووعدنى أنه سـيكتب لمـديرى المديريات بالســودان ٠ فردوا بقبــولهم عدا المستر لامبنى مــدير داوفــور الذى اعتــذر بأنه ســتحدث بمديريته فى سنة ١٩٤٨ منشآت تعميرية كثيرة تعليمية وغـيرها

فى يوم الجمعة ١٩ ديسمبر وصلنا كوستى واجتمع التجار ودفع حسن جميل ٤٠ جنيه وأحمد عبد القادر وأحمد كوكو دفعا ٣٠ جنيه وقد خطب أحمد كوكو فى الجمعية خطبة جميلة بعثت الأريحية فى الحاضرين وكان أثرها أحسن من تبرعه المالى ٠

وفى صباح الليلة ذهبت للجزيرة أبا لمقابلة السيد عبد الرحمن المهـدى الذى كان قد تبرع لنا بخمسمائة ولما قابلته قال لى سيادته ان مشروعك أصبح كبيرا فأكمل تبرعى من خمسمائة الى ألف من الجنيهات ، فشكرته وفعلا تبرع هو بالألف وعائلته بخمسمائة ٠

وفى يوم ١٢/٢١ وصل يوسف بدرى كوستى وأخذه السيد الصـديق معه لقلى ثم للجبلين التى حصل منها خمسة وأربعين جنيها منها ١٠ جنيهات من الفضل محمد نور أحد تلامذتى برفاعه والذى قال ليوســف لو حضر عمى بابكر لتجردت له من كل مالى حتى من ثيابى و ٣ جنيه من العمدة أحمد امبدى والباقى من تجار ٠

فى ٥ يناير سنة ١٩٤٨ بدأت أنفذ فكرتى ٠ كيف يكون اكتتاب مستخدمى مديرية الخـــرطوم فأخترت أن أمر عليهم فى مــكاتبهم لأخذ آرائهم ، وكم يستطيع المستخدم أن يدفع من مرتبه فى المائة مرة واحدة فى عمره عن شـهر واحد ، فمررت على كل المكاتب وكانت النتيجة كالآتى : ٢٣ شخصا اختــاروا ١٠ فى المـــائة وشـخصا واحــدا اختـــار ٨ فى المـــائة وأربعـــة ٧ فى المائة وواحد ٦ فى المائة و ١٥٣ اختاروا ٥ فى المائة وهم الأغلبيـــة و ٩ اختاروا ٤½ فى المائة و ٢١ اختــاروا ٤ فى المائة و ٢ اختاروا ٣½ فى المـائة و ٢١ شخصا اختاروا ٣ فى المائة و ٤ اختاروا ٢½ فى المائة و ١٠ اختاروا ٢ فى المائة واثنا عشر اختاروا ١ فى المائة وبلغ جملة المكاتب التى زرتها ٢٦٠ مكتبا ٠

ثم عملنا جمعية من رؤساء المكاتب بمدرسة الأحفاد بعد أن وضـعنا فى ورقة مقواة كبيرة الحجم كتبنا فيها أسماء كل فئة وعرضناه على المجتمعين من

١٠ فى المائة الى من قالوا ١ فى المائة بأسمائهم وأعـــدادهم واتفقوا على ٥ فى المائة ثم قلت لهم كيف تكون طريقة التحصيل ومتى يبدأ فاتفقوا على أن يكون ٥ فى المائة باعتبارهم الأغلبية واختاروا شهر يناير ومارس للدفع فى اليـومين الأولين من الشهر واختاروا للطريقة أن يقوم رئيس المكتب ومعه اثنـــان من مساعديه ليحصلوا الاكتتاب وليحضر معلم من الأحفاد لاستلام المبلغ وكتـابة الوصولات ولما شرعنا فى تنفيذ الخطة اذ أرسل المستر لوس مساعد السكرتير الادارى مندوبا من طرفه يمنع هذا التحصيل فلما أخبرنى أحضرت الورقـــة المقواة المكتوب عليها أسماء من قابلتهم بالمكاتب وعرضتها على المستر لوس فلما رآها قال لى : أنت يا شيخ بابكر خدمت البلاد فى التعليم وسلكت أحسن طريق لجمع الاكتتاب بعملك هذا ولكن عندى أمر من السكرتير الادارى بمنع الاكتتاب من المستخدمين فى مكاتبهم ◦ قلت له : هل يمكن أن تأتينى بكتاب من السير روبتسون بامضائه بهذا المنع ؟؟ وكان غرضى من هذا أن أستعين بالسير بروبرتسون على السكرتير المالى فى التصـديق باعانة المالية فى هـذا الاكتتاب الذى تبلغ قيمة المطلوب له خمسة وعشرون ألفا تقريبا فأرسـل لى الكتاب بخط السكرتير الادارى وامضائه فحفظته وابتدأت فى أسفارى ◦

ثم استأنفت أسفارى ومررت على كوستى لتندلتى فنزلت بها عند تلميذى عبد الكريم ونزل يوسف بدرى عند الشيخ ابراهيم مالك ونزل خالد موسى عند عبدالهادى عبد المنعم وهذه التوزيعة لنتبرأ بها عن تهمتى الحزبية والطائفية حتى تتخذان وسيلة لنقص أو عدم الأريحية لدفع التبرعات وفى الحقيقة لست ميالاً لاحداهما فدفعوا لنا ثم انتقلنا لأم روابه فنزلت عند مصطفى نقر ونزل ابراهيم ادريس عند العوض الكبانى ودفعوا لنا ١٣٤ جنيهو ٥٠٠ مليم وقد وجدنا بها ابراهيم البلوك التاجر الذى علمنا ولده من الروضة الى نهاية الثانوى وهو تاجر غنى فأعطانا ٣ جنيه فرفضتها فأخذها وسكت عليها ◦ ثم قمنـــا الى الأبيض التى وصلناها ليلا فنزلت عند يحيى عمران قمندان البوليس لأنه صـــديقى ونزل يوسف عند أحمد أبو شام رئيس الختميــة ونزل خالد عند زين العـــابدين أفندى الطيب ناظر المدرسة الأهلية ومن أشهر حـزب الأشقاء ونزل ابراهيم ادريس عند السيد ابراهيم عبد الكريم رئس الأنصار بالابيض ولما اجتمعنـــا

بلجنة النادى أشاروا على بأن أذهب للنهود أولا فلم أوافقهم ولكنهم تغلبوا على وحسنوا آرائهم وذهبت للنهود وحصلنا منها على ٣٠٤ جنيه وقد نزلت عند المأمور ابن عمى مصطفى أفندى تكونه وذهب يوسف بدرى وخالد موسى المجلد فوجدت بالنهود القاضى الشرعى الشيخ على عبد الرحمن الأمين الشقيق المتطرف وكان الكثير يهددونى ويخوفونى بمقاومته العكسية لى

وكذلك العمدة احمد أبو رنات ولكن وجدتهما خير عون لى فقلت لهما من العجيب أن الناس الكثير منهم يحذرنى منكما وبمقاومتكما العكسية لى .

فقال الشيخ على عبد الرحمن : أنا يا عمى بابكر قاضى شرعى وأنت صديق أبى وتلميذ عمى وجدى وأنت قائم فى عمل كهذا مما يجب على كل مسلم وطنى مساعدته . فكيف أعاكسك فيه وقال العمدة أحمد أبو رنات أنا أيضا يا عمى بابكر أحفظ لك صداقتك المخلصة لوالدى وأذكر كتاباتك له وأنت ناظر مدرسة رفاعة ثم لما جئت بالتفتيش تنام أنت ووالدى فى غرفة واحدة فلن أنس ذلك وفعلا دخلا فى اللجنة المركبة منهما والمأمور وبشير أفندى جار النبى تلميذنا القديم ووضعوا كشفا بأسماء سكان النهود ووضعنا أمام كل اسم ما يستطيع دفعه وأنا جالس بمنزلتى فحصلوا لى فى يوم واحد ثلاثمائة وأربعة جنيها . لا أنسى لتاجر قوله لى : حينما حضر المكتتبون للجيش المحارب بفلسطين وغالبهم من الأشقاء فقلت له : أظن أن اكتتابات فلسطين قد أثرت على اكتتابنا . فقال لى :

فلسطيننا أنت وقال : أنا كنت مكتتب بـ ١٠ جنيه والآن أرفع اكتتابى الى ١٥ جنيه لتطمئن ، فشكرته . ورجع يوسف وخالد ومعهما ١٣٦ جنيه و ٢٠٠ مليم من المجلد ومن الأضية ١٠ جنيه وتوجه يوسف وخالد لمدينة بارا حيث جمعا ٨١ جنيه .

ورجعنا للأبيض الذى حصلنا منه على ٤٦٩ جنيه و ٣٠٠ مليم لأن مكتتبوا فلسطين سبقونا الى الأبيض والخواجات لم نمر عليهم لضيق وقتنا وكذلك لم نمر على الرهد فى سفرتنا هذه ورجعنا الى أم درمان فى ٩ يناير وقد بلغ تبرعنا فى مدة خمس وعشرون يوما ٢٥٦٠ جنيه بواقع يومنا أكثر من مائة جنيها اذ أننا فارقنا أم درمان فى يوم ١٢/١٦ ورجعنا لها فى ١٩٤٨/١/٩ كل ذلك توفيق من الله تعالى له الحمد والشكر .

بارحنا الخرطوم فى ١٩٤٨/١/٢٠ لجبال النوبه وفى صباح يوم ٢١ قابلنا الشيخ عوض الكبانى التاجر الشهير فتكرم باعطائنا عربته « البوكس » لنصل به مدينة رشاد . فى تلك العصرية زارنا عبد المجيد حتيلا فتبرع لنا بـ ١٠ جنيه . وبارحنا أم روابه حيث بتنا بحلة العباسية وقابلنا الملك فى صباح يوم ٢٢ وبارحنا العباسية بعد الفطور ووصلنا رشاد فى الظهر ثم رجعنا للعباسية يوم السبت ٢٤ وحصلنا منها ٦٥ جنيه و ٥٠ مليم ورجعنا فى يومنا لرشاد التى أقمنا بها ٣ أيام ونصف جمعنا فى خلالها ١٠٠ جنيه وقد كنا فى ضيافه ابننا الهمام عبد العزيز أفندى عمر الأمين الذى أشار على بأن لا أمر على قريات رشاد التى هى فرعا من تجار رشاد وهو يحصل لى من التجار مائة جنيها وحصلها فعلا .

وفى يوم ٢٦ بارحنا رشاد عند منتصف النهار ووصلنا دلامى الساعة ١٠ مساء بلورى الشيخ عبد المجيد حتيلا الذى تبرع به لنا مجانا مشكورا حصلنا من تجار دلامى الخمس وعمدتها ثلاثين جنيها وثلاثمائة وخمسين مليما وبارحناها يوم ٤٨/١/٢٧ ليلا بلورى البوستة حيث مررنا على ارسالية هيبان وشربنا عند القسيس وزوجته الشاى وبتنا بها عند المأمور بر أفندى محمد أحمد وحصلنا من هيبان على ٣ جنيه و ٧٥٠ مليم ومررنا على عبرى وزرنا مدرستها ووصلنا مركز تلودى ونزلنا ضيوفا على الشيخ محمد أحمد المقبول ولما تأخر بر أفندى ذهبنا أنا وابراهيم ادريس الى الليرى الذى تبرع لنا تجاره بست جنيهات فقلت لهم أما خذوا الست جنيهات وأما تموها عشرين جنيها فأتموها لنا ، فرجعنا مساء لتلودى وأنا تعب جدا من صعوبة الطريق ومرجحه اللورى وجمعنا من كلكدا ٢ جنيه ومن البرام ٢ جنيه و ٥٠٠ مليم وفى ١/٣٠ حضر المأمور وحصلنا على ٦٤ جنيه و ٧٥٠ مليم من تلودى وأم دورين ٦ جنيه و ٥٠٠ مليم . وبارحناها يوم ٣١ حيث وصلنا كادقلى التى حصلنا منها على ١٠٩ جنيه و ٤٠٠ مليم ليلا وجدنا بها المفتش الطبى الشهم ابراهيم أفندى أنيس ونزل ابراهيم ادريس عند الدكتور على نور وفى صباح واحد فبراير ذهب كاشف أفندى وابراهيم أفندى ادريس لقرية لقاوه حيث حصلا منها ٢٦ جنيه و ٧٠٠ مليم ووجدا بها الشيخ على عبد الرحمن الأمين الذى أراد جمع تبرع لجامع

لقاوه ولما رآهما أخر نفسه وساعدهما بمروره معهما • وأنا توجهت بمعية
ابراهيم أفندى أنيس ومحمد أفندى بابكر عبد الرحمن نائب المأمور ، للسوق
وجلسنا بدكان الخواجه سامى سمان الذى أبدى حماسا وسخاءا ودفع عشر
جنيهات ومر بالسوق ونحن بدكانه ثم أعطانا عربته حيث زرنا بها وأنا والدكتور
أنيس الملك محمد رحال بمنزله فأعطانا عشرين جنيها وقد سبقنا نائب المأمور
محمد أفندى ولد صديقنا الشيخ بابكر عبد الرحمن على السوق فجمع تجاره
بدكان الخواجه سامى سمانى وحصل منهم ستين جنيها ودفع المستخدمون
بواسطة الدكتور على نور فصار مجموع ما حصلناه من مركز كادقلى
وفى يوم ٤ فبراير قمنا للدلنج بلورى أجرة فنزلت بمنزل اسماعيل
أفندى عبد الرحيم حامد وفى صباح ٥ فبراير قابلت مفتش المركز المستر هرسن
ـ الرجل المتواضع ـ فأعطانى من عنده جنيها وأذن للمأمور محمد أفندى
خليل بتيك بأن يشجع الاكتتاب فتوجه معنا مشكورا ومحمد أفندى حسن
عبد الله ناظر مدرسة الدلنج والدكتور أحمد خضر فحصلنا منهم على ٧٩ جنيه
و ٣٠٠ مليم •

فى ١٤ فبراير قمت وحدى فى طريقى لبورتسودان فوصلناها فى يوم ١٥
الساعة ١٠ صباحا حيث قابلنى صديقى الدرديرى محمد عثمان قاضى المحكمة
العليا وابنى أحمد أفندى بدرى والشيخ أبو عيشه فاجتمع التجار فى الساعة ٥
مساء بمنزل درديرى أفندى محمد عثمان ومعهم سبعة من كبار المستخدمين
واكتتبوا فى ساعة واحدة بأربعمائة جنيها ثم توالى الاكتتاب حتى بلغ ٦٧٨
جنيها سلمناها التاجر الوديع أبو الحسن ليحولها باسمى لأم درمان ثم أخبرنى
أنه حولها بالبوستة فقلت له : لا يا ولدى أنا جئت أجمع ما جئت أدفع ،
فحولها تجاريا • ثم وصلنا أم درمان فى ٢٠ فبراير الساعة ٧ مساء •

وفى يوم الأحد ٧ مارس قمنا لمديرية كسلا ـ نزلنا بالحواته يوم ٨ مارس
حصلنا منها ٣١ جنيه و ٢٠٠ مليم ومن المغازه والكواهلة مبلغ ٢٧ جنيه و ٣٥٠
مليم ومن بيلا ٣ جنيه و ٨٠٠ مليم ومن دوكه ٩ جنيه و ٥٥٠ مليم • والحمرة
منها ٦ جنيه و ٢٠٠ مليم ومن كساب ٤ جنيه و ٥٠٠ مليم ومن قلع النحل حصلنا
مبلغ ٤٣ جنيه و ٨٠٠ مليم وكان وصولنا للقضارف يوم ٢ مارس وجدت
المفتش البريطانى بها المستر بلفور ابن الدكتور بلفور والذى كان رئيسا

لعمل ويلكم بكلية غردون والذى أعرفه حق المعرفة فسمح للمأمور عثمان أفندى مناع حيث رأس اللجنة التى أعضاؤها عبد الله بكر والقاضى الشيخ حسين المفتى والتاجران تلميذاى كرار سليمان كشه وعلى فراج . وعندما جئت أودع المستر بلفور قال لى : انتظرنى بمكتبى عشرة دقائق وخرج جاريا حيث دفع تبرعه البالغ عشرة جنيهات ، وقد حصلنا على ٢٨٨ جنيه و ٥٠٠ مليم زرت الضباط بمكاتب الأرطة العربية الشرقية ، فوجدت اليوزباشى الطاهر عبد الرحمن المقبول والبكباشى فضل المولى التوم ووعدنى بأنهما ، يجمعان كل الضباط ويرسلان لى ما يكتتبون به ولم يفعلا شيئا .

وفى يوم ١٥ مارس قمنا لمدينة كسلا التى وصلناها الساعة ١١ ليلا ، فقابلنى عثمان أفندى المرضى وشقيقه جباره حيث نزلت عندهم وفى صباح ٣/١٦ زرت السيد داود والخليفة عبد الله مفتش مركز كسلا الذى قال لمن معه من أعضاء المجلس البلدى ، الأحسن أن تذهب لجنة منكم مع عمى بابكر بدرى ليمروا بالسوق فقام معى العمدة ومن معه ، أربعة من أعضاء المجلس البلدى ، حصلنا فى مرورنا صباحا وعصرا وصباح يوم ١٧ على ٦٢٠ جنيه ، فصار صديقى محمد عثمان يقول لى : والله يا عمى بابكر حصلت لك كرامة حيث أنك حصلت على ٦٢٠ جنيه من كسلا التى حدث بها أن مررنا على شارعين متقابلين تجارهما كلهم من أولاد البلد وقالوا لا نعطيكم شيئا لأن السيد محمد عثمان الميرغنى أمرنا بذلك فقلت لهم بأعلى صوتى : ألكم اله يدعى محمد عثمان ؟؟ فنهض بينهم رجل يدعى محمد العطا قال : لا رب لى يدعى محمد عثمان اكتتابى ٥ جنيهات وسأحضر غدا ٥ جنيه أو أكثر من أهلى . وفعلا أحضرها . ثم جاءنى التيجانى ابن الشيخ الحسن الحاج سعد ليلا ودفع لى خمسة جنيهات وقال . لا تكتب اسمى لأنى أخاف معاكسة السيد محمد عثمان . فانظر يا قارئى الى هذه الأحوال واحكم . وكان من ضمن الـ ٦٢٠ تبرع السيد داود بـ ١٠ جنيه والدرديرى أفندى دفع ٥ جنيه وأظن أن تبرعه كان ١٠ جنيه ولكن صاحبنا كاشف أخذ منها ٥ جنيه كما أخذ من كرار كشه بالقضارف ٥ جنيه . وحصل اضراب السكة حديد وأخرنا حيث وصلنا أمدرمان بعربة بالبطانة يوم ٢٠ مارس . وفى الطريق الى أم درمان

مررت ببئر أم رويشد وسمعت بها أن الشيخ الصديق محمد طلحه ناظر البطاحين مريض خطر فملنا على أبو دليق حيث قابلته • وحينما سلمت عليه طلب ولده محمد وقال له أن هذا هو عمى بابكر صديقى وصديق والدى محمد وصديق جدى الشيخ طلحه وهو شارع فى عمل كبير اكتتابه ليس كاكتتاب غيره فاذا جاءك فمر معه على القبيلة فقلت له أنا جئت لأراك وأسأل الله لك الشفاء التام المستمر وودعته وواصلت سيرى وبعد ٣ أيام توفى رحمه الله وفى يوم ذهبت للعزاء ولم أر من ابنه محمد أثرا لوصية ابيه •

وفى يوم ٢٧ مارس قمت لبربر بعربة بالبر وفى صباح ٢٨ دخات جزيرة الباوقه ومعى العمدة مختار رحمة حيث قابلنا عمدة الباوقه عبدالله محمد ابراهيم الذى اعتذر لأن الشيخ الجعلى حمد طلب منه اكتتابا لجامعه فلم نأخذ من الباوقه كلها قرشا عدا مستخدمى الزراعة أعطونا سبعة جنيهات ومن العمدة مختار رحمة خمسة عشر جنيها •

وفى يوم ٢٩ مارس اكتتبت لنا مدينة بربر مبلغ ٩٢ جنيه و ٥٠٠ مليم بما فيها ابراهيم محمد المأمور جنيه واحد والمفتش العاقب ٥ جنيه وقد دفع كل من أيوى بى وعبد العزيز فرج ومجذوب عابدون عشرة جنيه وكان بعض تجار بربر رأيتهم بعينى حينما تقترب لجنة الاكتتابات من دكان أحدهم يقفل بابه ويهرب •

وفى يوم ٣٠ مارس بارحنا مدينة بربر حيث وصلنا عطبرة توا الى المركز فوجدنا المجلس البلدى منعقدا وحينما رآنى المفتش البريطانى المستر هيج طلب من المجلس أن يسمح لى بأن أكلمهم فشرحت لهم ما أنا ساع له ولكن قلت لهم أنا الآن أؤجل أتبره الى فرصة أخرى وذهبت ووصلت أمدرمان فى يومنا •

فى ١ ابريل وصلنا شندى الساعة السادسة والنصف صباحا قابلت المفتش البريطانى المستر هوك الذى تبرع بخمسة جنيهات عن نفسه وكتبت لأحمد جمال الدين التاجر يساعدنا بماله ونفوذه فدفع لنا أحمد جمال الدين

عشرة جنيهات فقلت له أن السيد عبد الرحمن المهدى قال لى : أقـول لك أن تدفع ٣٠ جنيه فى هذا الاكتتاب فان نقصتها جنيها واحدا لا أقبلها منك فدفعها مشكورا وجمع التجار المعروفين بشندى واتفقـوا على أن يدفع كل منهم خمسة جنيهات ودفع لى هاشم أفندى الخليفة المأمور خمسة جنيهات وعند قيامنا من شندى مررت على المستر هوك بمنزله وطلبت منه أن يوصى على المأمور هاشم أفندى بالترقية لوكيل مفتش فقال لى المستر هوك أنا والمدير ساعيان فى ذلك ولكن الله للآن لم يقبل ثم قابلت الناظر حاج محمد ابراهيم بك الذى تبرع لنا مشكورا بثلاثين جنيها فصار تبرع شندى ١٧٣ ثم عبرنا النيل بعربتنا الى المتمة حيث قابلنا حضرة المأمور نوح أفندى عبد الله بك حمزة فتبرع لنا بعشرة جنيهات وواصلنا سيرنا حيث بتنا بمنزل الشيخ أحمد جاد الله

وفى صباح ٣ ابريل قابلنا شقيقه الناظر على أحمد جاد الله الذى تبرع لنا بثلاثين جنيها ولكن كاشف أفندى أكرهه أن يأخذ ٥ جنيه وأعطانا ٢٥ جنيه وجمع لنا من السوق ٢٠ جنيه .

وفى يوم عشرين ابريل قمنا من أمدرمان لطوكر حيث مررنا ببورتسودان ووصلنا طوكر فى يوم ٢٢ منه ونزلنا بمنزل الشيخ على بعشر فطلب شقيقه بابكر بعشر . اجتمع سكان طوكر بالنادى مساء ٢٣ ابريل بعد أن بذل المأمور عثمان أفندى عبد الله مجهودا عظيما حيث أن السكان أغلبهم بل جلهم ختمية على أنى زرت أولاد المرحوم الشريف شنقراى معزيا ولكن الطائفية والحزبية فعلت فعلتها وباجتماعهم بالنادى افتتح الاكتتاب الشيخ

قال انه يدفع ٢ جنيه فقال له المأمور يا عم اذا قبلنـا منك جنيهين فمن يدفع العشرة والعشرات فقام التاجر هاشم عبد المجيد أنا أكتتب بعشرين جنيها فقال أنا أدفع ١٠ جنيه بدل ٢ جنيه وهكذا استمر جلوس المكتتبين .

وفى صباح ٢٣ ابريل مر الشيخ على بعشر وابراهيم أفنـدى ادريس وجمعنا الاكتتابات التى بلغت ٢٣٦ جنيه وبارحنا طوكر فى الساعة الثانية والنصف حيث أصبحت بحمى من ضربة الشمس فأقمت بمنزل الشيخ أبى عيشه حيث كنت مريضا وعالجنى به الدكتور بخارى ومنعنى السفر لأرومة حيث وصلنا أمدرمان مساء يوم ٢٦ ابريل .

وفى نفس الوقت الذى قمنا فيه لطوكر أرسلت يوسف بدرى لملكال بالطائرة وقد جمع منها ٢٣٨ جنيها بمساعدة عبد الله الحاج محمد على ومعنى محمد حسن وقد كان اكتتاب الموظفين من ملكال من أكبر الاكتتابات التى جمعت فى أى منطقة مررنا عليها وذلك بمجهود مأمورها الشيخ أبوبكر أرباب.

ورد لى خطاب بالبريد المستعجل يوم ٤٨/٣/١٤ من صديقى وصديق السودان المحسن الكبير المستر كوتوميخالوس الشهير يشكرنى فيه على القيام بهذا المشروع ويرفق طيه تبرعا أولا بمبلغ ٢٥٠ جنيه.

فى ٢٣ مايو قمنا لسنار المدينة حصلنا منها ومن مدينة حاج عبد الله وود الحداد على ٢٠٠ جنيه وأغلبها من مكوار.

فى ٥ يونيو سافر يوسف بدرى بالطائرة لانجلترا وفى يوم ٦ الساعة ١٠ أبرقنا بوصوله بالسلامة.

لم يصلنا خبر من أحمد أفندى العبيد عن تحصيله اكتتاب مستخدمى مكوار أصبحت برفاعه يوم ١٩٤٨/١٢/٣٠ فسعيت للسوق بدكان الطيب الريح فلم يقابلنى أحد من التجار غير محمود الحسين والمبارك محمد عيسى فلما أخبرتهم بما جئت له بغرض الاكتتاب للمدرسة أعطانى الطيب الريح جنيها واحدا رددته له وقلت أنا لا أقبل من تجار رفاعه الكبار أقل من خمسة الى ثلاثة جنيهات فوضع الطيب جنيه مع نقوده وقام الاثنان محمود والمبارك كل ذهب الى دكانه وخرجت من السوق صفر اليدين فقابلنى الشيخ محمد عبد الله أبو سن فلما أخبرته بما جئت له أعطانى عشرين جنيها والعمدة عبد الله عبد الله أبو سن خمس جنيهات ومحمد حسان أبو سن ثلاث جنيهات وذهبت لديم القريداب قابلت المرحوم الشيخ عبد الوهاب فجمع من أولاده عشر جنيهات ونصف فصار كل ما حصلته من رفاعه ٥٨٫٥ جنيه وبارحتهم يوم ١٢/٣١ ذهبت للشيخ عبد الله البنا بحلة الكاهلى بأمل أن يكون معلما بثانوى الأحفاد، فلم أجده فذهبت له بالبئر المسماة بايبين ليباشر سقى أغنامه فلما رآنى رحب بى وذهب معى فى الحال لبيته — بيته الذى لا يليق لسكناه — وبعد السلام أخبرته بغرضى منه فقال لى: يجب على أن أكرم وفادتك لى وركوبك هذه المشقات أعتذر عن القيام معك فاسمح لى بشهر يناير هذا وانى

أكتتب لكم بعشرين جنيها أقابلك بها يوم ٦ يناير بمدنى فكتبته ولكن لا أزال أشك فى وفائه بوعديه وقد صدق ظنى فيه فاجتهدت أن أكون يوم ٦ يناير سنة ٤٩ بمدنى ولم أجده ولم يأتنا مدرسا بالأحفاد ولم يدفع التبرع ولكنه مشكور على دفعه مطلوب الأحفاد عليه كاملا من سلفته التى استلفها منها •

فى ١٥ يناير جلسنا بمكتب جيمسون وكان المجلس مركبا من المستر جيمسون والسيد محجوب الضوى وبابكر بدرى ويوسف بدرى بخصوص الاعانة المطلوبة من مدير المعارف لانشاء اتحاد للمدارس الأهلية الذى رأيناه ضروريا لاستقرار المعلمين ووافق عليه مبدئيا المستر وليمس مدير المعارف ولكن المستر جيمسون يرى أنه لا ضرورة لها • وفى يوم ٢١ يناير اجتمعنا محجوب الضوى ، بابكر بدرى ، ميرغنى حمزة ، محمد الحسن دياب ، يوسف بدرى ، أخبرتهم بأنى متمسك بعمل اتحاد للمدارس الأهلية ولويرأسه أحدنا فمن تختارون ــ فاخترنا محمد الحسن دياب لرئاسته الفنية ولكنه طلب مرتبا كبيرا كان سبب فشل للموضوع •

فى يوم ٢٢ يناير حيث اجتمعنا بمكتب المستر جيمسون الذى عرضنا عليه متفقين أنا والسيد محجوب الضوى ويوسف بدرى فسألنا عن ما يلزم لهذا المكتب الخاص باتحاد المدارس الأهلية فأخبرناه بطلب الشيخ محمد الحسن دياب الذى سيكون ضابطا لهذا المجلس وانى أطلب أن يكون هذا المجلس تحت ادارة بريطانى حتى ولو اسميا اذا لم يوجد بريطانى مخصص له لبعطى قوة تجعل له هيبة عند معلمى المدارس الأهلية والشيخ محمد الحسن دياب فيه الكفاءة ليدير المكتب ولا يحتاج لزيارة الرئيس البريطانى أكثر من مرة أو مرتين على الأكثر لهذا المكتب فقال المستر جيمسون : انه لا يرى هناك حاجة لتشكيل مكتب لهذا الغرض وأن المالية غير منظور أن تصدق له بما تطلبون وانفض المجلس بخيبة الأمل •

فى النصف الأول من أغسطس سنة ١٩٤٨ وصل يوسف بدرى الى مصر فى طريقه من انجلترا وهنالك فكر فى طلب اعانة مادية من وزارة المعارف المصرية لبناء مدرسة الأحفاد الثانوية وعندما استشار صديقنا عبد الحميد أفندى المنوفى أشار عليه بأن يكون طلبهم كتابيا وفعلا كتبا هذا الطلب •

حضرة صاحب المعالى الدكتور عبد الرازق السنهورى باشا
وزارة المعارف العمومية

بالنيابة عن عميد مدارس الأحفاد وعن مجلس أمنائها أتشرف بأن أرفع الى معاليكم ندائهم طالبين مد يد العون الى هذه المدارس فى مشروعها الجديد الذى نرجو من ورائه تشييد مبنى حديثا لهذه المدارس يتسع لتلاميذها الحاليين مع الاحتياط بقدر المستطاع للزيادة المنتظرة فى عددهم فى المستقبل القريب ويتسع كذلك لما تقتضيه وسائل النشاط الرياضى والاجتماعى والأدبى الخ ..

وحسبى أن أقدم لمعاليكم كراسة مع هذا توضح مركز المدرسة فى ماضيها وحاضرها وتوضح احصائياتها وأدوار تطورها ومبلغ ما أدته من خدمة فى تعليم أبناء السودان ثم تتبينون معاليكم فيها أيضا المشروع الذى نحن بصدده والذى سيكلف ٤٥ ألفا من الجنيهات .

ونحن نقصد معاليكم لما هو معروف عن اهتمامكم الزائد بمستقبل السودان الثقافى وعن مساعيكم الجليلة لرفع ظلمة الجهالة عن أبنائه ، وجهود معاليكم فى هذا السبيل ناطقا بما تحمله نفسكم الكريمة من حب السودان وأمل فى ارتقائه هذا الى ما تحققه السودانيون عامة من تأييد دولة رئيس الوزراء لمشروعاتكم الجليلة وحرصه على أن يكون للسودان أوفى نصيب من اهتمامه .

كل هذا أطمعنا ــ وقبل هذا لم نكن أقل طمعا فى الالتجاء الى مصر الكريمة ممثلة فى شخص وزير معارفها العالم العظيم راجين أن نجد المعونة التى تتناسب وما درجت عليه مصر والتى تناسب لمشروعنا هذا من الأهمية .
هذا وقد استطعنا أن نجمع الى الآن بواسطة الاكتتابات العامة سبعة آلاف من الجنيهات ولا زال باب الاكتتاب مفتوحا .

وبودنا لو أمكننا أن ننال المعونة المادية لهذا المشروع من الميزانية التى وضعت لشئون السودان المختلفة لدى سعادة وكيل الوزارة لشئون السودان أو من النواحى الأخرى فى ميزانية وزارة المعارف .
هذا ــ واننى اذ أنهى الى معاليكم هذا الرجاء ــ أقدم عنى وعمن

ذكرتهم ـ خالص الاجلال والاحترام والشكر على ما تغمرون به السودان من فضل ونبل لن ينساه السودان فى يوم من الأيام وتفضلوا معـــانيكم بقبول فائق الاحترام .

خادمكم المطيع
يوسف بدرى

حضرة صاحب العزة المراقب العام للتعليم المصرى بالسودان

أرجو أن تتفضلوا برفع هذا الرجاء الى حضرة صاحب المعالى الدكتور عبد الرازق السنهورى باشا وكلى أمل فى اخلاص عزتكم وفى غيرتكم عــلى المعاهد العلمية بالسودان .

وكذلك أرجو أن تتكرموا بتأييد هذا الرجاء لدى معـالى الوزير بمـا تعلمونه عن مركز هذه المدارس الثقافى وما تؤديه للسودان وأبنائه من خدمات وبالفراغ الذى تسده فى الناحية التى أنشئت من أجلها والتى تجد منـكم كل عطف .

وتفضلوا عزتكم بقبول فائق الاحترام .

١٩٤٨/٨/٢٠

يوسف بدرى

ثم كان ردهم على ذلك الآتى :

وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للتعليم بالسودان

ادارة الشئون الثقافية

حضرة الأستاذ المحترم عميد مدارس الأحفاد ـ بأمدرمان ـ.

بالاشارة الى الطلب الذى قدم للوزارة بشأن منح مدارس الأحفـــاد بأمدرمان اعانة مالية لمناسبة مشروع مبناها الجديد أتشرف بالاحاطة أن الوزارة بناء على توصيات لجنة الشئون الثقافية للسودان مستعدة لاعارة مدارسكم ثلاثة مدرسين تقوم هى من جانبها بتسديد مرتباتهم فى حدود ٢٠٠٠ جنيـه فى العام .

وفى انتظار الرد من ادارة المدارس أرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام •

المراقب العام
١٩٤٨/٩/٢٧

وفى ١٩٥٠/٩/٧ وصل لنا هذا الخطاب من وزارة المعارف العمومية
وزارة المعارف العمومية

المراقبة العامة للتعليم بالسودان
١ ــ حضرة الأستاذ محمد كامل الجنيدى
٢ ــ حضرة الأستاذ حسن محمد السحترى
٣ ــ حضرة الأستاذ سيد عثمان رفعت

حضرة الأستاذ المحترم ناظر مدرسة الأحفاد بأمدرمان
بعد التحية ــ قررت الوزارة ندب المدرسين المذكورين بعاليه (فى العام الدراسى ١٩٤٩/١٩٥٠) لمدرستكم على أن تقوم الوزارة بدفع مرتباتهم لمدة سنة واحدة •

ونظرا لانتهاء السنة التى حددتها الوزارة فى قرار الندب نرجو التكرم باخطارنا عما كنتم ترغبون فى بقائهم بالمدرسة وتدفعون مرتباتهم كسائر المدرسين •

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

المراقب العام
١٩٥٠/٩/٧

تكلمت مع مدير النيل الأزرق فى ٢٦ مارس المستر ساندرس بخصوص السماح بالمرور بمكاتب الجزيرة فى أيام صرف النقود للمزارعين فقال لى : هذا يتوقف على قبول المناديب الذين سيجتمعون يوم ٦ مايو بالمديرية وسعادته استحسن مرورى عليهم بقراهم قبل يوم اجتماعهم حتى أتحقق من قبولهم أو رفضهم وبما أني أعلم أن عادة السودانى اذا طلب منه بمنزله شيء مهما صعب سيرضى به احتراما لمنزله • فقمت يوم ٢٨ مارس حيث بدأت بحلة الجديد

ومررت على كل المناديب الأربعين بقراهم فى منازلهم وكلهم رضـوا الا ثلاثة أحدهم مريض باسبتالية مدنى ومندوب وجدته توجه لحلة فطيس لقضية دم والثالث مـوسى النعيم الذى قال لى أنه لا يوافق ثم مـررت يوم ٤ مايو وعلمت أن المناديب مجتمعون لقراراتهم فذهبت للمدير وقلت له : أنت أخبرتنى بأن يوم اجتماع المناديب لقراراتهم السنوية يوم ٦ مايو والآن هم مجتمعون • فقال لى : أدخل عليهم فدخلت عليهم فلمـا رآنى رئيس المجلس المستر بير قال لهم عمنا بابكر بدرى عنده كلمة فلنسمعها منه فقلت لهم انى قد مررت عليكم وعلى عمدكم بمنـازلكم من يوم ٢٦ مارس الى يوم ٣ مايو ما يقارب أربعين يوما بالعربية أخبرتمونى بأنكم موافقون على التبرع لمدرسة الأحفاد بواقع الفدان ٥ جنيه عدا ثلاثة منكم أحدهم مريض بالاسبتالية فقال أنا وأبدى أسفه ومندوب قيل أنه ذهب لحلة فطيس لقضية دم فنهض أيضا قائما وقال أنا وأبدى أسفه وثالثهم موسى النعيم الذى صارحنى بعدم رضاه وهو الوحيد من نوعه فهل أنتم موفون بوعدكم ؟! فسـكتوا ولم يرد على أحدهم فجلست بجانب أحدهم طه سعيد مندوب عفينـه وأخـذوا يتكلمون فى موضوعهم ثم تفرقوا وتركونى وحدى فخرجت وأنا واثق من رحمة ربى لبلوغ أملى • ولكن قلت لبعضهم أنتم يا أهل الجزيرة طمحت نفوسـكم للغناء وجعلتم طريقه البخل ورجعت لمنزلتى •

يوم ١٨ يونية سافر يوسف بدرى بالطائرة لدارفور وصحبه فى مـروره بها الشيخ مجذوب مالك بعد أن أخذنا له اذن من قاضى القضاة •

وفى يوم ٢٩ يونيـــة حضر عشرة من مناديب الجزيرة للخرطوم بما فيهم موسى النعيم فاحتفت بهم مدرسة الأحفاد وعملت لهم حفلة شاى بالمدرسة

فى يوم ٢٤ يوليو قابلت السير روبرتسون بوصفه الحاكم العـام بالنيابة قلت هل فكرت فى اشتراك السودان بمبلغ يليق به فى المبلغ الكبير المحدد لخزان أوين فقال لى : ألم يبلغك ان ابراهيم عبد الهادى باشا قال : ان السـودان سيشترك فى مياه الرى الجديد • قلت لكنى أرى وجـوب دفع مبلغ بالنسـبة باسم السودان ولو مليونا واحدا من الخمسة مليون التى سيدفعها المصريون من ال ١٢ مليون التى هى كل التكاليف • قال ان التكاليف كلها ٥٤ مليـونا

قلت ندفع نصيبنا بنسبة ٢٠٪ من نصيب مصر • قال : من أين ندفعه ؟ قلت: قرروا ضريبة تسمونها ضريبة الماء فسيدفعها الشعب بارتياح ودفعها خير لنا من التفريط فيها خوفا ان تصدم وقتما نطلب نصيبنا من الماء بقول من يقول لنا منكم البريطانيين أو من المصريين أين كنتم وقت دفع المال • فقال معاليه اذا استلم الحكم جماعة الوحدة وقرروا الاندماج فى مصر فقلت له نثور فقال يمكن للحاكم العام أن يستعمل سلطته ليقمع ثورتكم ويلغى الجمعية والمجلس التنفيذى قلت أتريدون ارجاعنا لسنة ٩٩ والله اذا حصل هذا منكم ستثور البلد كلها وان كانت تعتقد انها لا تغلبكم فستوسخ تاريخكم فعلمت انه انتقل من حديثنا بخصوص الماء فودعته وخرجت •

فلما أخبرت على بدرى بهذه المحادثة قال على بدرى ان سعادته يقصد لغو المجلسين مؤقتا لايقاف التنفيذ ثم تشكيل المجلسين

فى ٢٣ أغسطس توجهت لمدينة عطبرة لمقابلة السيد عبد الرحمن المهدى حينما آب من أوربا معافى من مرضه وكنت حينما وقفت مع المستر هيق بمكتبه فقال لى : ستدخل معى وسأساعدك لوصول السيد رغم الازدحام فلما دخلنا حدود السكة الحديد وجدنا الازدحام مختلطا فيه الحابل بالنابل ووجد المفتش نفسه لا يمكنه الوصول الى السيد فالتفت لى وقال : ماذا نصنع • فالتفت ورأيت الأمير كنتباى والفاتح أفندى محمد البدوى فأشرت لهما أن يأتيانى فشقا الزحام ببدنيهما القويين الواسعين فقلت لهما أوصلانا للسيد فقالا اتبعنا ، فشقا طريقهما وتبعناهما حتى وصلنا السيد الذى ابتهج برؤيتنا وأنا أشد ابتهاجا منه لأن ابتهاجه مقسم على كل مقابليه وابتهاجى محصور فيه •

فى يوم ٢٢ نوفمبر عملت مدرسة الأحفاد حفلة شاى لأعضاء الجمعية الذين أتو من خارج المدن الثلاثة بما فيهم الجنوبيون وقد أخبرتهم عما تم بخصوص بناء مدرسة الأحفاد المزمع فى نقاط عشر وقد أخبرتهم ذلك بصفتهم الشخصية كزعماء عشائرهم وخيار قبائلهم والنقاط هى :

١ ـ لحضراتهم الحق فى معرفة التطورات بخصوص بناء المدرسة الجديدة، وذلك بحكم تبرعاتهم •

٢ ـ تاريخ سفرياتى فى ربوع البلاد وبالأزمنة والأمكنة •

٣ ــ المبلغ الذى حصلنا عليه وهو ١٢ ألفا من الجنيهات •

٤ ــ البلاد التى لم أزرها للان : مدنى ، عطبرة ، القاش ، ضـواحى الخرطوم ، أبو دليق ، شرق النيل الأبيض ، وادى حلفا • وقد اقترح أحـدهم ارسال مندوب منا لهذه الجهات

٥ ــ المبلغ الذى قرر لبناء المدرسة كلها

٦ ــ كيف نحصل على الفـــرق من المتبرعين كنا نأمل أن يكون تبرع حكومة السودان ١٥ ألف جنيها •

٧ ــ ضعف أملى فى تحصيل ٢٥٠٠ جنيه من الجزيرة كجواب المستر بير

٨ ــ فشلنا فى الحصول على ٣٠٠٠ جنيه من المستخدمين لمنعنا قانونيا دخول المكاتب •

٩ ــ الزمن الذى قضيتـه مســافرا من يوم ١٩٤٧/١٢/١٦ الى يوم ١٩٤٩/٢/٩

١٠ ــ ويتلى عليهم ابراهيم ادريس كل البلاد التى زرناها فى أثناء الاكتتاب والمبلغ الذى دفع فى كل بلد أو مجموعة •

فى ٢٧ ديسمبر عمل السيد عبد الرحمن المهدى حفـلة شاى بسرايه بالخرطوم بمناسبة ان السير جيمس روبرتسون أحضر له حجر قبة المهدى عليه السلام الأصلى من أوربا بعد فقده خمسين عام • فخطب السير روبرتســون شارحا الطريقة التى تحصل بها على الحجر وخطب السيد شـاكرا له ولرجال دولته على حفظ الحجر ووصوله اليه ووضع فى مكانه الحالى •

وفى يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٩ الموافق ٨ ربيع أول سـنة ١٣٧٠ قابلت المستر لونج ومعى يوسف بخصوص طلبنا ١٨ ألف جنيها مســاعدة حكومة السودان لبناء ثانوى الأحفاد الجـديد نيـابة عن مدير الخرطوم الذى كان مشغولا • فقال المستر لونج لم يسبق أن دفعت حكومة السودان اعانة كهذه لمدرسةأهلية فقلت لم يسبق أن طلب من الحكومة اعانة لمدرسة ثانوية أهلية لأن هذه المدرسة وفرت للحكومة التى بنت ثانوى وادى سـيدنا وثانوى خور طقت هذا العام حيث تمت مدرسة خور طقت بـ ١٦٠ ألف جنيهـا فمن السهل أن تدفع عشر فى المائة تقريبا لمدرسة ثانوية أهلية بها من التلاميــذ فى الوقت الحاضر ٥٠ ٪ من ما بمدرسـة كل من وادى سـيدنا أو حنتوب أو

خور طقت فرد على بحزم يقنع غيرى انه لا يمكن أن يوصى بمثل هـذا الطلب الذى لم يسبق له سابق فقلت بحزم وصراحة اذا لم تصدق حكومة السودان للاحفاد بهذا المبلغ فانى مستعد أن أركب طيارة لأقابل الامبراطور هيلا سلاسى باديس أبابا لأنى أعرفه شخصيا فان لم يعطنى هذا المبلغ فسأذهب بطيارة للملك عبد العزيز آل سعود بالرياض وان لم يعطنى فسأذهب للعراق وسوريا ولبنان والأردن ومصر فان جئت بالمبلغ فعلى حكومة السودان الفضيحة وان وقعت بى طيارة ومت فعلى حكومة السودان الفضيحة والخسارة فقال لى كلامك هـذا

تهديد للحكومة وانك لا تعمل به فقلت والله العظيم اذا يئست من الحـكومة سأشرع فى تنفيذه غدا ولا يؤخرنى الا وجود الطيارة فاقتنع بكلامى ودخل على المدير وهو المستر والس الذى قدم لنا من المساعدة فى جمع المال لبناء ثانوى الأحفاد ما تقدم ذكره وكتب توصية أكد فيها للحكومة انى سأنفذ ما قلته فكان تقريره أول فتح باب لاقناع الحكومة لدفع هذا المبلغ .

كتب بعد وفاته نقلا من مذكراته

الى هنا شهر ديسمبر ١٩٤٩ وقف الوالد فى كتابة مذكراته بخط يده وكان وقوفه هذا فى مارس عام ١٩٥٤ أى قبل وفاته بنحو أربعة أشهر ثم استشرت بعض الصحاب عما اذا تترك هذه المذكرات حيث وقف هو أم نكملها حتى يوم وفاته فكان الاجماع على أن تكمل حتى وفاته وبناء على ذلك فان ما هو وارد بعد ذلك جميعه من تاريخ حياته المكتوب بواسطتى مما وجدته فى مذكراته عن السنوات ١٩٥٠ الى يوليو ١٩٥٤ ، فلنبدأ بعام ١٩٥٠ نقلا عن مذكراته المكتوب فيها بخط يده دون تصرف .

الكليات التى يحافظ عليها جميع الشرايع :

النفس والدين ومـــال ونسب والعرض والعقـل حفاظها وجب

٤ يناير ١٩٥٠ فتح القسم الثانوى بالأحفاد

٩ يناير ١٩٥٠ قال على بك الجارم :

فيا شباب البلاد صـونوا شرح الصبا قبل أن يبيـدا
يعـود فى الكون كل شىء وذاهب العمـــر لن يعودا
لا يدرك السؤل غير عـزم مثـــابر يفرع الحديدا
لا ترسموا للطموح حـدا فالمجـد لا يعرف الحدودا
العلم أمضى من المـواضى فجردوا نحـوه الجهـودا

وهذا البيت الأخير كان مبدؤه الذى اعتنقه منذ عهد الحكم الثنائى .

٢١ يناير توفى المرحوم محمد عبيد عبد النور وصبر والده صبر الكرام كقول الشاعر :

فبات يرينى الدهـر كيف صروفه وبت أريه الصـبر كيف يكون

الأحد ٢٩ يناير توفيت زوجة ميرغنى أفندى حمزة وصحبناهم للقبور .

الثلاثاء ٣١ يناير توفى العالم الورع الجليل من أبكار وأكابر الخـريجين الشيخ أحمد السيد الفيل رحمه الله قمت لنعيمه وصلناها ليلا ونزلنا عند الابن

الشيخ يوسف أبو تركى الذى أكرم وفادتنا هو وزوجته وحضرنا معرض آل هبانى بنعيمه وفيه قابلت المسترساندرز مدير النيل الأزرق الذى سألنى عما جمعته من الاكتتابات حتى الآن وطلب منى أن أزورهم فى مدنى فى فبراير ٠

الجمعة ٣ فبراير اكتتب لنا كل من الناظر ادريس ويوسف وابراهيم هبانى بـ ٢٥ جنبه عن الواحد منهم جزاهم الله خير الجزاء ٠

السبت ٤ فبراير درست ثلاث حصص منواليات الرابعة صرف « عين المضارع » بثانية طهطاوى والخامسة برابعة يودال وسطى الاسم الذى لا ينصرف واسادسة رابعة ثانوى أغراض التشبيه ٠

قال شوقى :

فمن يغتر بالدنيا فانى — لبست بها فأبليت الشبابا
لها ضحك الغوانى الى غبى — ولى ضحك اللبيب اذا تغابا
جنيت بروضها ورداوشوكا — وذقت بكأسها شهدا وصابا

الأربعاء ٨ فبراير أخبرت الخواجه ليكوس ليحدد لنا ميعادا يزورنا هو وأخوه أنطون ٠

الجمعة١٠ فبراير يوم معرض الزهوروبعدها نزور السيد كونتوميخالوس الساعة ٥ مساء ٠

السبت ١١ فبراير زرت ابراهيم بدرى وأحمد عثمان القاضى ومحمد ابراهيم النور ومحمد ابراهيم هاشم بالاسبتالية ٠

الخميس ٢٣ فبراير حضرنا معرض أبو قوته اجتمعت فيه بمحمد هاشم باشا وحرمه وبعد رجوعهم من ملكان سيزورنا بالمدرسة والمنزل ووعدنى الشيخ خوجلى وكيل الناظر أزورهم يوم ٣١ مارس لاكتتاب الأحفاد ٠

الأحد ٢٦ فبراير قابلنا سعادة المستر وليمس قررنا أن نقتنع من المالية بـ ١٢ ألف جنيه بدل الـ ١٨ ألف التى طلبناها والـ ٦ آلاف نستلفها من المالية لمدة خمسة سنوات ، ولكنا ذهبنا ليلا الى شنقيطى وميرغنى حمزه وابراهيم

الاثنين ٢٧ فبراير اجتمعت لجنة مالية المعارف وقررت بالاجماع طلب الـ ١٨ ألف جنيه من المالية وقال هكسويرث ضرورى دفع المالية لهذا المطلوب جميعه حتى تقوم المدرسة تماما وليست مجزأة .

الثلاثاء ٢٨ فبراير زرنا حفل كلية المعلمات .

الاثنين ٦ مارس افتتحت الجمعية التشريعية بخطبة قيمة من معالى الحاكم العام وقابلنى عند السلالم السيرروبرتسن وقال لى تهنيك فقلت أقبل هذه التهنئة بعد ستة شهور فسألنى لماذا قلت فى خلالها ستتضح نوايا الحكومة وسيثبت أبناؤنا المشتغلون فيها وفى المجلس التنفيذى كفاءتهم ومقدرتهم فى السياسة فضحك وانصرف .

٧ مارس أخذت لجنة أمناء الأحفاد ومعلميها صورة مع المستر وليمس لمناسبة اعتزاله الخدمة وحضرت الاحتفال المقام له فى دار الثقافة .

٨ مارس دعينا لحفلة وزير المعارف للمستر وليمس مع المعلمين الذين بالمعاش فى المدن الثلاثة .

٩ مارس ودعنا المستر وليمس وقرينته بالمحطة العمومية بالخرطوم .

١٥ مارس أضرب تلاميذ ثانية الفرقتين احتجاجا لرفت ثلاثة تلاميذ .

١٦ مارس يشرب معنا الشاى جناب كوتتوميخالوس وعائلته الساعة ٥ ومعهم جبرائيل بيطار وابنه الكبير وزوجته وبابدام العجوز والسيد عبد الله الفاضل وأحمد حمد أبو سن وعبد الماجد أحمد وعثمان صالح وعلى بدرى وعبد السلام وعثمان أبو العلا وعبد الحافظ عبد المجيد .

٢٠ مارس توفى المرحوم محمد ابراهيم هاشم .

٣٠ مارس كنا عزمنا القيام لأبى قوته لنجمع منها تبرعات واعتذر الناظر ادريس هبانى بشغل خوجلى فى صرف المواهى ووعدنا يقابلنا خوجلى بأبى قوته بالاثنين الساعة ٣٠ر٧ صباحا .

٣ ابريل وصلنا أبا قوته الساعة ١٥ر٨ لأننا ضللنا الطريق وجدنا الشيخ

خوجلى وكيل ناظر الحسانيه بالمنطقة ومعه العمده الكريل والعمده

٥ ابريل يشرب الشاى عندنا المستر والسى ولونج وبل أحتفاء بالمستر يودال الصغير •

١١ ابريل يشرب الشاى عندنا المستر هيبرت لمناسبة تعيينه مدير المعارف معه معالى الوزير ـ السيد الصديق ـ على بدرى ـ أحمد بدرى ـ البشير الريح ـ ابراهيم مالك ـ المستر لى ـ السيد محجوب الضوى ـ ابراهيم أحمد ـ عبيد عبد النور •

١٢ ابريل قمت لمدنى وقابلت مدير النيل الأزرق الذى سرح لى بأن آخذ معى أناسا من تجار وعمد ونظار ممن يعرفون المزارعين يحصلون لنا منهم ما يجودون به ونحن نكتب لهم الوصولات فذكرت له اسم الشيخ متولى وأمثاله فوافق بارتياح •

١٣ ابريل قمت للكاملين فلما وصلت ود الترابى أخبرنى عبد الله نبق أن مصطفى نبق توجه الى الحصاحيصا وأحمد المصطفى ادريس ووعدنى أحضر لهم يوم صرفية يونيو يتوجهون معى لأماكن الصرف نستلم منهم ونكتب لهم الايصالات وأهل الحصاحيصا أعطونا ٣١ جنيه •

١٤ ابريل زرت مدنى والتقيت بالسادة أحمد الحضرى وأمين المرضى وعثمان عوض أبى العلا وعبد الله الدابى الذى قال يدفع هو عن نفسه وقالوا الأربعة الأحسن أن أرجع الآن لأن حضورى هذا يضارب حضور قاضى القضاة الذى وصل ليجمع اكتتاب للمعهد وأعود لهم يوم ٢٢ يونيو يجمعون لى أربعمائة جنيها منهم ومن السوق وأخذنا على ذلك فاتحة ـ وفى المساء شربت الشاى مع المدير ومعه الشيخ محمد الأمين العمدة فقلت للمدير أن المال فى الجزيرة كثير ولكن الاسد بالباب يمنعنا قال من الأسد قلت المدير قال لا ولكنا نخاف من تأخر الضريبة وصياح الناس •

فى طريقى للخرطوم قابلت حسن عبد الجليل والعمدة الطيب على ساوى •

١ مايو زرت الأستاذ محمد بك عبد الهادى وصديقنا عبد الحميد أفندى المنوفى بمكتبهما بمدرسة فاروق الأول بالخرطوم •

٥ مايو قمت للجزيرة أبا بطدب من السيد الجليل وركبت القطار بلا

تسريح ولا تذكرة فاستخرجوا لى التذكرة على أن يرسل لهم التسريح من أمدرمان .

٩ مايو عدت من الجزيرة أبا .

١٢ مايو افتتاح مكتب السيد الجليل باحتفال جمع كل الأجناس والأديان من وطنيين وجاليات ــ سيدنا قال للسكرتير المالى أن شاء الله تخففوا لنا الضريبة قلت لسيادته ما يخفف عنك يوضع على من وذلك لوجود البشارى بك وغيره من المصريين وحكيت قصة المثل (اذا حملنا من عرفات نختة وين)

٢١ مايو قمنا لأركويت وبقيامنا من أتبره أصيب مالك بحمى شديدة من اللوزات .

٢٢ مياو قابل يوسف بدرى المستر هبرت بالتلفون بخصوص اعانة البنا فقال له المستر هيبرت ما هو صيغة العقد الذى يضمن للحكومة أن أمناء المدرسة لا يتصرفون فى البناء لأغراض غير المدرسة وأيضا الداخليات فتلى عليه صيغة العقد القديم فاقتنع وأرسلها للمالية فقال هل يلزمكم صرف العشرين ألف مرة واحدة فأخذ يوسف رأى العجبانى المهندس واقترح صرفها مرة واحدة .

٢٣ مايو اجتمعت بأولاد وادى سيدنا بمنزل السيد بعدها طلبوا زيارتى بغرفتى مشكورين وأعطاهم السيد الجليل نصائح غالية لهم وللمستر لانق والمستر بترى وزوجته والأستاذين عوض عقارب وأحمد محجوب .

٢٤ مايو ورد لى كتاب من يوسف بدرى يقول انه طلب الاذن من المعارف للسماح لهم بالاعلان فى الجرائد عن تقديم العطاءات للبناء وفعلا سمح لهم معالى الوزير وحدد يوم ٧/١٤ آخر موعد لقبول العطاءات بواسطة لجنة البناء المكونة من السادة : عثمان صالح ــ حسن كرار ــ ميرغنى حمزه ــ عبد القادر العجبانى ــ فوزى حسون ــ ابراهيم قاسم مخير .

٨ يونيو قال لى السيد الجليل بأركويت ضع الأساس وابنى المدرسة الجديدة ولا تسأل عما ينقص فى تمامها من المال أنا أقوم به (وقوله الفصل مجرب فى الأحفاد الأولى عام ١٩٣٥) وقال لى لما يحضر السيد البربرى

بأمدرمان ذكرني لآخذ لك منه نقود كما وقال لي زر النيل الأبيض مرة ثانية وعندما نعود لأمدرمان أعين مع سيادته الزمن المناسب .

١٠ يونيو زارني الشيخ محمد الأمين أحمد اسماعيل وأهدى لي جزءا من تراب قبر النبي صلى الله عليه وسلم وطاقية سلمت التراب نفيسه ابراهيم مدني بظرفه وكتبت على الظرف يوضع هذا ضمن حنوطي وهي كست الظرف بخرقة من دبلان ووضعتها في خزنتها بعدما كتبت عليها ما يعرفونها به .

١١ يونيو يشرب عندنا الشاي المستر هكشو يرث .

٢٠ يونيو اجتمع المجلس التنفيذي للتصديق على اعانة الحكومة لمال البناء .

٢ يوليو وصلنا وجاب التصديق بمعونة العشرين ألف جنيه من الحكومة لبناء ثانوي الأحفاد المستر كمنجز يقول في المجلس اني أرحب بأن أضع مثل هذه السابقة وأعضاء الجمعية التشريعية يشيدون بما قمنا من مجهود في جمع التبرعات .

٢٣ أغسطس يشرب عندنا الشاي بابكر كرم الله .

٢٧ أغسطس بدىء في حفر أساس ثانوي الأحفاد الجديد .

٢٩ أغسطس توفي السيد محمد حسن عبد المنعم .

١١ سبتمبر زرت السير روبرتسن وقلت له اذا كنت تعلم أن أهلك يريدون أن تسلموا السودان للمصريين فسافر لبلدك قبل حصول ذلك المقترن بأشياء واذا كنت تعلم أنهم يسلمون السودان لأهله فانتظر ليتم ذلك على يدك فقال أن حكومة انجلترا رأيها تسلم السودان لأصحابه .

١٧ سبتمبر نقلت سريري وكرسي قماش لبناء الأحفاد للمراقبة .

٢٨ سبتمبر بدأنا رمي الخرصانة في الأساسات ٤ ، ٢ ، ١ .

١٢ أكتوبر وقف الشغل ببناء الأحفاد لعدم الأسمنت والطوب .

١٣ أكتوبر ذهبت لواد سيدنا لأول مرة لاحتفال فتح جامع المدرسة وتغدينا مع الأولاد فتة وحلو موز وتغدينا بعدها بمنزل عبيد عبد النور مع الشيخ أحمد الطاهر وهاشم أبو القاسم وحسن مدثر .

٢٣ أكتوبر وضع السيد عبد الرحمن حجر الأساس لجامع ثانوى الأحفاد باحتفال حضره مستر كلارك معتمد بورسودان والسيد داود الخليفة عبد الله والسيد عبد الله الفاضل والمستر كونتوميخالوس وقاضى القضاة وعمر أفندى الأمين وكل معلمى وتلاميذ الثانوى ودبحنا ثورا للعمال .

١ نوفمبر صادقت الجمعية التشريعية على منح ثانوى الأحفاد ٢٠ ألف جنيه وكرر السكرتير القضائى كلامه السابق ردا على عبد الفتـــاح وبدوى المعينين بدل محجوب وأحمد يوسف .

٩ نوفمبر ورد لى خطاب من مستر ساندرز مدير النيل الأزرق يخبرنى فيه باعادة فتح مشروع امهانى للجمهور ويقول فيه اذا شئت قدم طلب فرددت عليه بما أن ابراهيم بدرى قدم طلب هذا يكفى عنا .

٩ نوفمبر قمت لمدنى كوعد تجاره للاكتتاب .

١٢ نوفمبر رجعت من مدنى بوعد للصرفية التى ستكون فى يوم الثلاثاء ١١/٢١ .

٢٢ نوفمبر كلمت مستر بيكون مدير الزراعة تلفونيا بخصوص مشروع أحمد مالك فقال لى قابل مستر مكول مفتشى الزراعة بمدنى وانه ســيخبره تلفونيا بمقابلتى له .

٢٣ نوفمبر قمت لمدنى ووصلتها الساعة ١ صباحا قابلت مستر مكول مفتش الزراعة فقال لى أن سعادة المدير كتب لمفتش كوستى بحفظ طلب أحمد مالك منذ سنة ١٩٤٧ كما قال لى أن أمر المشاريع صار بمكتب السكرتير الادارى كما يأمرنا ننفذ أمره لأحمد مالك أم لغيره .

٢٥ نوفمبر تهاون معى أعضاء مدنى ومر معى شمس الدين الشـــافعى وعبد القادر شريف ولكنه لم يتكلم مع المكتتبين بحماس أنا الذى أتكلم وفى العصر مر معنا أمين المرضى بفتور شديد وربعنا معنى أفندى .

٢٨ نوفمبر رجعت من مدنى بدون نتيجة تناسب تكرارى عليهم ثمـــان مرات بمواعيد حصلت على ثلاثة وسبعين جنيها ونصف فقط وتركت عبدالقادر ومعنى ليخدما الهنود والبيوتات التجارية وما أدرى ما يحصلان منهما وأظن أن

الأشقاء بمدنى عطلا عملى لمدرستهم الثانوية المزعومة التى سيكون صـــالح بحيرى ناظرا لها •

٢٧ ــ ٢٩ ديسمبر :

١ ــ الولد انتقلت ملاذه لأولاده

٢ ــ الدنيا لا نكون جنة

٣ ــ العاقل يشتغل لثائين ، ثواب يقدمه وثناء يؤخره

٤ ــ الدنيا مركبة على خمسة ما تسكنه وما تأكله وما تركبه وما تلبسه وما تتدخره •

٥ ــ التضحية لا تقلها حتى تطلب منك

٦ ــ لا تأمل من الناس مكافأة ولا شكرا ولا اعترافا فيما تعمله لهم ــ لو أن الله تعالى برز للناس كان فيهم من يقول له ما عملت لى شيئا منتقــدا لا انتقاد لا ينتفع به •

٣٠ ديسمبر زارنى المستر ساندرز مدير النيل الأزرق بمنزلى وأعطـانى طقم شاى هدية وقال لى ابراهيم بدرى (مش) معاكم فى أمهانى فقلت له كل الذين معه فى نظرى سواء •

سنة ١٩٥٢

أول يناير

تذكر جميــلى مذ خلقتك نطفــة
ولا تنسى تصويرى لشخصك فى الحشــا
فســلم لى الأمــر واعــلم بأننى
أنفــذ أحــكامى وأفعــل ما أشــا

٣ يناير

وأحــق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة عليا وعيش ضــيق
ما عوض الصبر امرؤ الارأى ما فاته دون الذى قد عوضا

٤ يناير وضع السيد الصديق المهدى حجر الأساس لمدرسة الأحفــاد الوسطى الجديدة •

١٦ يناير توفى صديقى القديم الشيخ محمد أحمد فضل وقد كان من الأوائل الذين ساهموا فى حركة التعليم حيث عين فى المدرسة الأولى التى فتحتها الحكومة بأمدرمان عام ١٨٩٩ فى دكاكين أجرتها من العمدة السيد العوض ٠

لا يصلح القوم فوضى لا سراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

تهدى الأمور بأهل الرأى ما صلحت
فان تولت فبالأشرار تنقاد

اذا تولى سراة الناس أمرهم
فما على ذاك أمر القوم فازدادوا

١٩ يناير زرت مدرسة البنات الوسطى بدعوة من ناظرتها مسز وود فوجدت المعلمات والبنات كأحسن ما يكون وقضيت بها ساعة بين ماشيا وواقفا ولم أشعر بتعب ٠

٢٢ يناير سافر يوسف بدرى لبخت الرضا للسوق الخير المتبرعة به بخت الرضا لبناء الأحفاد الوسطى للأولاد ٠

٢٤ يناير توفى الشيخ عبد الباقى حمد النيل ٠

٢٦ يناير اختل نظام الأمن بالقاهرة واحترقت منها دور كثيرة فأقال الملك فاروق وزارة الوفد ووكل الى على ماهر تشكيل وزارة فشكلها من المستقلين وتم ذلك فى نفس الليلة ٠

٢٠ فبراير زار الشيخ عمر دفع الله المدرسة الثانوية ومر على الفصول وأسدى للاولاد نصائح وتبرع للمدرسة بمائة جنيه يدفعها فى ابريل فقلت له هذا مبلغ كبير فقال نعم ولكن العمل الذى قمت به أنت للبلاد أكبر ٠

٢٩ فبراير توفيت الحسنى أختى وفى نفس اليوم فتحت مدرسة الأحفاد الثانوية فى بنائها الجديد بواسطة السيد الامام العظيم عبد الرحمن المهدى فى حفل كبير دعونا له كل من تبرع بعشرين جنيها فما فوق لمال البناء بالعاصمة والأقاليم وأهدانا فيه جماعة من خريجى الأحفاد كأسا كبيرة ٠

٨ ابريل جاء بونص الأحفاد من تعديل ملز وكان نصيبى ٦٧ سبعة وستون جنيها وأخبرنى يوسف بأنهم حددوا مرتبى بـ ٨٢٥ جنيها ليست قابلة

للزيادة ولو كنت معتقدا انى أخدم الحكومة لأثرتها شعواء على الانكليز ولكنى أعتقد أنى أخدم بلادى ومرتبى هو رزقى من ربى وهذا كثير جدا وبه مغتبط .

٩ ابريل زرنا المسيو كوتوميخالوس لمناسبة سفره صباح الغد للاسكندرية .

١٠ ابريل أخبرنى يوسف بدرى أنه وصله خطاب من المسيو كوتوميخالوس يقول له فيه أرسل لى اثنى عشرة صورة لوالدك لأنى أريد أن أعمل له تمثال أثناء أجازتى هذه فى باريس وأهديه للمدرسة اعترافا بخدماته لشعب السودان ومشاركة منى فى ذلك .

١٦ ابريل قابلت مستر ديبوسون مدير الخرطوم وقلت له أحسن شورة عدم الشورة للحاكم فقط أخلص للسودان وأعدل فى الأحكام ولا تتخوف من رؤسائك فى أن تقول لهم ما تعرفه لا ما يريدونه .

٨ مايو عقد زواج محمد عبد الكريم على ستنا بنتى مساء بواسطة السيد عبد الرحمن .

١٥ مايو قابلت مستر لانق بغرض اعانة زيادة من الحكومة فى بناء المدرسة الوسطى وجرى الحديث كما يأتى : نحن لا نعرف عن هذه المدرسة شيئا الا ما قرأناه فى الجرايد ان السيد الصديق وضع حجر بنائها وهو أولى أن يدفع لك الثلاثة آلاف جنيه لتمام بنائها . فقلت له ما دامت المعارف لا تعرفها فانى سأطوف على أهلى الذين يعرفونى ويعترفون لى لجمع الثلاثة آلاف جنيه ولكن والله العظيم سأطالب بأن أؤجر المدرسة لكم وقلت له سجل هذا الكلام فنهنه من طغيانه فوعدنى بأنه سيكتب للمالية ليعجلوا لنا صرف ٤٥٠٠ جنيه لندفع منها للمقاول استحقاقه .

٢٥ مايو عزومة توفيق طبزاده بك للسيد الامام عبد الرحمن المهدى بالجراند أوتيل .

٢٧ مايو سافر وفد السيد عبد الرحمن المهدى عم المكون من :
السيد عبد الله المهدى رئيسا وابنه السيد كمال سكرتيرا والسيد محمد صالح الشنقيطى والأستاذ عبد الرحمن على طه والأستاذ ابراهيم أحمد

والناظر البابو نمر أعضاء بطائرة خصوصية أرسلتها حكومة مصر الطالبة من السيد ارسال وفد عنه .

٣١ مايو زار ثانوى الأحفاد توفيق طبزاده بك رئيس الرى المصرى ومعه صالح بحيرى ومهندس الرى المصرى لمعاينة مبانى المدرسة لتقييم الحكومة المصرية مدرسة المؤتمر على قرارها وأخذوا معهم خرطة الأحفاد كما هى .

أخبرنى عارف أفندى أن بونص معاشى ٥٨ جنيه ومعاشى من آخر يونيه صار ٢٢ جنيه و ٣٥٠ مليم .

٩ يونيو المستران هيبرت ولانق هجما على يوسف بدرى بخصوص وضع السيد الصديق حجر المدرسة الوسطى وصرح لانق كما صرح لى وقال هيبرت أنتم تشتكون الينا لندفع لكم المواهى وتستعملون الفلوس للبناء وهذا غير صحيح لأنهم كل ما يدفعونه فى تسديد العجز حسب نظامهم وهذا لا يدفعونه مقدما وانما على أقساط آخرها يدفع فى السنة المقبلة بعد مراجعة الحساب .

١٤ يونيو أخبرنى خالد موسى من سنار أنهم ما وجدوا أرضا بمركزها وسيصلون الى سنجه للبحث عن أرض تكون صالحه وأخبرنى أن المستر بليكى مفتش سنجه سيصل الخرطوم غدا فأخبرت حامد أفندى السيد ليربط لى معه موعد أدعوه شايا بمنزلى .

٢٣ يوليو هجوم الجيش المصرى برئاسة اللواء محمد يوسف نجيب .

٢٧ يوليو تنازل فاروق عن العرش الساعة ١٢ ظهرا وسافر الساعة ٦ مساء .

١٨ أغسطس وصل فاروق ميرغنى بشهادة من انكلترا نهائيا .

٢٥ أغسطس توفيت نفيسه بشير عامر .

١٥ أكتوبر أضرب أولاد الداخلية بثانوى الأحفاد وجمعتهم وتحدثت اليهم فى اختيار واحدة من ثلاثة أما أن نلغى الداخلية ونسرحهم واما أن يعيشوا بما يدفع لهم آباؤهم مبلغ الجنيهين والنصف واما أن يعيش كل واحد حسب طاقة والده ومستواه وهذا نظام الطبقات وانى أمقته .

١٩ آكتوبر قمت لمصر لمقابلة السيد الجليل عند زيارته لها وهـــو عائد من انكلترا فى المفاوضات ٠

٢٠ أكتوبر قابلنى جعفر ووالده عثمان عبد القادر فى حلفا وقابلنى محمد أفندى مصطفى أبو سنينه مفتش السكة حديد وأمر بحملى على كرسى يدخلنى حتى غرفتى بالباخرة ٠

٢٢ أكتوبر دعانى عبد العزيز بك مدير أسوان للغداء معه وزرت بعربته دكان السمكرى الذى كنت أعمل معه فى أسوان لما كنا فى الأسر قبـــل نيف وخمسين عاما وقد عرفت مكانه ووجدته كما هو ٠

٢٣ أكتوبر وصلت مصر الساعة ٩ صباحا وخرجنا توا مع السـيد لرؤية الاستعراض العظيم للجيش بمناسبة مرور ثلاثة شهور على انقلاب جيش مصر العظيم وخلاص البلاد من طغيان وفساد فاروق ٠

٢٤ أكتوبر صلينا الجمعة فى الأزهر الشريف وأخرجنى محمد على شوقى خوف الازدحام فوجدنا عالما كثيفا فى صفين كل صف مركب من طبقات ولمـــا خرج السيد عبد الرحمن ازدحموا عليه حتى جلس فى الأرض وخلصــه منهم البوليس لرغبة كل منهم فى تقبيل يده تبركا واحتراما ٠

٢٧ أكتوبر أمر السيد الأستاذ عبد الرحمن على طه بعدم الموافقة الا على تنفيذ ما رسمه لهم ـ وتغدى عند السيد على ماهر وحضره الأستاذ أحمـــد لطفى السيد وحسين سرى الذى عرفنى وتذكر اجتماعى به بالقطارسنة ١٩٢٢٠

٢٨ أكتوبر أخبرنى محمد بدرى تلفونيا بصـــوت خال عن الخـوف والضعف أن رجله قد كسرت فى فخذها بصدمة عربة وكان معى صلاح وعبـد العزيز فأمرتهما بالمرور عليه بمستشفى على باشا ابراهيم وليأتينى صلاح بخبره صباح الغد لأن محمـــد عزم ألا آتية ليلا ـ سافرت دفعة من الوفـد منها أبو شامه وحسن أبو ٠

٢٩ أكتوبر أمضيت الاتفاقية بين مصر والسودان مع السيد عبدالرحمن ٠ فطرنا عند محمد رفعت باشا أحمد وزير المعارف بوزارة الهلالى ومعى عبـد الرحمن على طه وزير المعارف والشنقيطى ومحمد على شوقى ٠

أهدانى جمال السنهورى عشرين كتابا من مؤلفات الاخـوان المسلمين بمصر .

٣١ أكتوبر بارحنا مصر بالطائرة وقد أخبرنى اللواء محمد نجيب سيزور ابنى محمد بالمستشفى وسيبرقنى بالطائرة حالته وقد أنجز ما وعد .

١ نوفمبر دفعنا أول قسـط ٣٠ جنيها من السلفة التى أخذتهـا من الدائرة .

٢٧ ديسمبر اجتمعنا بصالون على بدرى مع ابراهيم بدرى وقلت له كل ما تطلبه منى فى نظير الصلح ولو تبيعنى وتأخذ تمنى لمصلحتك عنـدى قليل وخرج له على وأحمد فعاتبتهما له وأخيرا بكى وبكيا معه وقبـل رأسى ويدى ورجلى واصطلحنا .

٢٨ ديسمبر قلت لابراهيم بدرى سآتيك أتغدى معك قال انه مـريض اليوم وقد زارنى أحمد وعلى فزرنى يوم آخر وسازوره فى يوم آخر .

« لم نعثر على مذكراته لعامى ١٩٥١ و ١٩٥٣ »

سنة ١٩٥٤

٢ يناير اليوم المعين لتقرير المصير ولتعيين أول وزارة سودانية .

١١ يناير وضعت حجر أساس جامعى الخاص الذى سأبنيه فى المنزل الذى كنت مؤجره داخلية للاولاد وقد بعت كل منازلى وطينى برفاعه لهذا الغرض .

٢٦ يناير أصابنى زكام خفيف منعنى الذهاب للمدرسة كما منعنا الكتابة فى تاريخ الأحفاد .

١٥ فبراير العمل فى بناء الجامع واقف لنقص السقايل وكسل البنـاء بشـير .

١٨ فبراير احتفال تخريج ١٤ ضابطا والاحتفال كان برئاسـة أول وزير دفاع سودانى خلف الله حاج خالد والقائد العام الانجليزى تابع ومرءوس له .

٢٣ فبراير فى مساء اليوم طلبت عبد الكريم وسألته هل صحيح ينـوى الحاق بنته فاطمه بالمدارس العليا فقال اذا استحقتها فلا مانع عنـدى قلت له واذا لم أوافق أنا على الحاقها بالمدارس العليا .

٢٨ فبراير حضر مندوبو ١٧ دولة لحضور افتتاح البرلمان السودانى من ضمنهم اللواء نجيب رئيس الجمهورية المصرية وتجمع كذلك جمهور من الجزيرة من الاستقلاليين .

١ مارس فى صباح اليوم حضر اللواء نجيب بالمطار وحشد له الوزراء والشعب من الاتحاديين حشدا كبيرا وتجمع شباب الاستقلاليين فلما وصلوا الشارع غرب سراى الحاكم العام عارضهم البوليس وحصلت حركة سيئة مات فيها على ما قيل ثلاثون شخصا منهم مصطفى المهدى وميرغنى عثمان صالح وأبو القاسم ميرغنى محمد وقومندان بوليس الخرطوم البريطانى ورجع نجيب وسلوين لويد الى بلديهما .

١٠ مارس فتح البرلمان الأول للسودان وألقيت خطبة العرش التى تحضرها الوزارة السودانية ويلقيها الحاكم العام وعملت احتياطات تدل على عدم الثقة بالشعب .

١١ مارس زرت السيد الجليل باستراحته بالجنينه وأخبرنى أنه طالب برفع حال حكم الطوارىء .

١٦ مارس قمنا لكوستى لزواج ابراهيم مجذوب .

٢١ مارس قمنا من كوستى لأمدرمان .

٢٣ مارس علمت أن فاطمه عبد الكريم ستذهب للانتربيو يوم ٣/٢٤ فطلبت ابنى محمد بدرى وأرسلته يسأل عبد الكريم هل هو مستمر بعزم فى الحاق فاطمه بالمدارس العليا فجاءنى محمد عن عمه يأمرنى بأن أكلم ذوى الاختصاص بمدرسة الطب بلغو الحاقها فأرجعت محمدا لعبد الكريم تأكيدا لطلبه هذا أن يخبرنى عبد الكريم بمكان أو نمرة تلفونهم فجاءنى محمد عن عمه بأن أقوم بالبحث عنه وأطلب لغو تعيين فاطمه وفعلا بحثت وطلبت نمرة ٢٤٧٤ وأخبرتهم بلغوا اسم فاطمه ممن يلحقون بمدرسة الطب وحضورها يوم ٢٤ للعرض فمضى محدثى الأفندى للعميد ورجع يسأل هل تأخير فاطمه لعدم وقت قلت لا بل لا تلحق كتلميذة مطلقا وفى صباح ٢٤ طلب عبد الكريم من أحمد عبيد أن يأخذ فاطمه بتاكسى ويوصلها للانتربيو .

يوم ٢٤ مارس توفى صديق التعليم الشيخ عثمان صالح بمصر ونقل جثمانه لأمدرمان .

٢٥ مارس جاءنى الخضر بدرى وأخبرنى أن عبد الكريم قال له أن فاطمه لا تذهب للكشف الطبى يوم الأحد ٣/٢٨ كطلب كلية الطب وهذا انفاذ لوعده لى فقلت للخضر اسأل فاطمه وارجع لى بالحقيقة فانى شفق مما سيحصل نتيجة لخلافه .

٣١ مارس بدأ على بدرى فى استعمال الكهربة لرجلى كل مساء .

٢ ابريل عمل على بدرى الكهربة لرجلى ضحى اليوم وهى الأخيرة وارتحت فيها والحمد لله — تغدى معنا الأستاذ محمد نور الحسن .

٣ ابريل كتبت للمعارف برد المائتى جنيه التى خصموها من الاعانة ويتركونى أعمل بطريقتى من زيادة عدد الفصول ويدفعوا لنا ٢٥٠٠ جنيه بقية بناء المدرسة الوسطى والا سأضطر الى تغيير بروجرامنا لمصرى أو أجمعها من الآباء كرسوم دخول لأنى لا أستطيع المرور بعد هذه السن .

٢٤ ابريل توفى صديقى البكباشى محمد أفندى نور رحمه الله .

٢٧ ابريل توفى المرحوم السيد يعقوب الحلو .

٥ مايو بدأنا فى قبول ابن بطوطه وكمالة الفصلين أ و ب .

٦ مايو أخبرت عبد الرازق الجاك باعتماد تعيينه وأن يستلم عمله منذ اليوم مع يوسف أفندى عبد الرحمن فى قبول المستجدين لقسم الثانوى .

١٤ مايو جاءنا جواب من المعارف يطلبون فيه أن نرد كلما أخذناه من مصروفات ورسوم دخول للآباء لأن بعضهم شكى اليهم فكتبت لهم الرد التالى :

ابنى النصرى أفندى حمزة المحترم سلام كثير واحترام زائدوبعدفالحكمة تقول :

ان الغصون اذا عدلتها اعتدلت
ولا يقوم ان عدلته الشجر

وانى أرى كل جهد يبذل فى تنشئة الشيب لاتقان عادة جديدة أو الخلوص من عادة قديمة جهد ضايع .

وصلنى كتابك المستعجل المسجل تلوته مسرورا بنصائحك فيه وأوامرك به ولكننى أرى أنه لو ذكر لى فيه أسماء الشاكين ومقدار مبالغهم لأدفعها لهم أو أدافعهم أمام حضرتك لكن أولى من سماع قولهم فتصديقهم واعتقاد أحقية ظلامتهم والأمر بردها لهم • والمتهم غائب لا يعلن بالجريمة وميعاد الجلسة — أعيذك بالله ياصديقى أن تكون من هؤلاء فأرجوك أن تقرأ بيـانى المرفق مع هذا كما أرجوك أن تكتب كشفا بأسماء المتظلمين وما أدعوه بمقدار ما أخذته منهم مع علمك انى أشفق على الناس ولشعورى بصعوبة مصاريف فصـلى النهر الجديد • دخلت للوزير وأنتم فى جلسة وأخبرته أن الناس يقبلون دفع الستين جنيه التى نطلبها لالحاق ابنهم بالفصل الجديد بألم يظهر على وجوههم ورجوت معاليه أن يدخل فصلى النهر الجديد فى نظـام الاعانة لنخفض لهم المصروفات الى خمسة وعشرين جنيه فى السنة وبقراءة حضرتك لبيانى بخصوص بناية مدارس الأحفاد تعلم منه ما أريده من زيادة الخمس جنيهات الزيادة بين مصاريفكم عشرين ومصارف الأحفاد خمسة وعشرين لأن القاعدة أما زيادة فى الدروس من الولد أو زيادة فى الفلوس من الوالد — وحضراتكم تعلمون أين تكون زيادة الدروس أعند مدارس الحكومة أو الأحفاد — وان القاعـدة المستعملة عندى أن آخذ من الناس النقود وأصرفها لهم وانى مستعد لكل من يريد الاطلاع على حساب مدارس الأحفاد اذا عثر بها على انى أدخلت قرشا بل فلسا على خاصتى فله الحق فيما يقول وله الحق فى كل ما يعمل ودمت بخير •

لوالدك المخلص

بابكر بدرى

١٣ مايو عرض على شيك بـ ٩٤ جنيه و ٥٥ مليم عن تذكرة مستر هرى الصينى (هذا معين مدرس للاحفاد)

١٥ مايو عوض محجوب عبد الله الصول ببوليس مدنى ومحمد أحمد حمد بتشاويش بوليس بحلفا يحجز لهما محلين ليوم ١٥/٥ ليحول والديهما عشرة جنيهات لكل واحد واذا لم يصل التحويل يسقط حقهما فى القبول .

١٣ يونيو حضر يوسف بدرى وأولاده من مصر مساء .

١ يوليو طلبت من الشيخ محمد أبو القاسم هاشم أن يؤجر لنا منزل شقيقه يحيى لاستعماله داخلية للاولاد وأخذت آباء الأولاد وأريناهم المنزل فوافقوا عليه .

٢ يوليو يتغدى معنا الشيخ مجذوب على حسيب .

١٢ يوليو البدء فى تجربة كراسى الحساب والعربى مؤلفاتى الجديدين .

١٠ نوفمبر نكتب جواب للشيخ حسن القبرصلى يعمل لنا اكتتاب للاحفاد .

ولكن عندما أصبح صباح يوم الأحد ٤ يوليو من نحو الساعة العاشرة دخل الشيخ بابكر فى حالة احتضار مفاجىء رغم انه لم يغب عن وعيه وفى تمام الساعة الخامسة الا ربعا مساء من نفس اليوم التحق بالرفيق الأعلى وانطوى بموته جهاد قرن وكفاح جيل سجله لنا فى مذكراته هذه فلنعيها ونسترشد بها ..

حوادث الايام علمتنى

١ ــ التفكير قبل العمل أصل العمل •

٢ ــ علمتنى مهما كان الانسان قريبك ومهما كانت ضرورته لا تقل له تعال أنفعك •

٣ ــ علمتنى اذا كنت تريد أن تعمل للناس ما ينفعهم ليكافئوك أو يعترفون لك بأنك عملت لهم ــ فيشكروك أو ليعرفوك فقط ــ فلن تجد منهم واحدة منها ــ فأعمل اذا للواجب ــ ولله الذى لا يضيع الأجر •

٤ ــ لا تتبرع بالنصيحة ولا تعمل لها قبل أن تطلب منك فتتهم فيها •

٥ ــ اذا ازدحمت عليك الأعمال فرتبها بتقديم الأهم على ــ المهم ــ والمهم على العادى فان تأخير العادى مقبول عادة

٦ ــ المحركات للدفاع أربعة : الدين ــ والعرض ــ والمصلحة ــ والحظ •
أما الدين اذا أهين فيجب على المسلم الدفاع عنه حتى يموت شهيدا • واما العرض اذا ثلم فيجب الدفاع عنه حتى يقف المدافع على شفير الموت ثم ينظر اذا كانت حياته أحفظ للعرض فيحيا واذا كان موته أستر للعرض فليمت • أما المصلحة اذا عرضت فليعرض طريقها على الدين والعرض فان وافقا عليها ــ وان لم يوافقا عليها أو أحدها تركها • وأما الحظ فلا قيمة له دنيا ولا مروءة لأنه من نزعات الشيطان •

٧ ــ اذا قدم الانسان على عمل مفيد واعترضه أحد الثلاثة : الأول ممن يحترفون مثله خوفا منهم على مشاركتهم ماديا أو أدبيا فيما ينالونه : الثانى حسدا فى أنه لماذا لا يسبقون له فينسب اليهم فيكسبون سمعته ومنفعته الثالث المأجور على التشهير به بكتابتهم أو بلسانهم والتنقيص لقيمته وصيتى له ألا يشتغل بهم ولا ينزعج لقولهم وليسير فى طريقه فاذا فشل لا سمح الله يقلل من شماته واذا نجح وبرز عمله كاملا فان العمل يدعو لنفسه ويدحض الداعين بتنقيصه •

٨ ــ اذا كان الانسان فى نعمة وامتحنه الدهر بدهاته عنه فيستحسن منه

أن يجعل ما ذهب منه كأن لم يملكه وليستأنف عمله الذى وصـــل به لجمع ما ذهب منه وليتسلى بأن استئنافه الطريق الذى سلكه سابقا أضمن للحصول على ما يريد من بدئه لهذا الطريق على جهله وليحذر أن يتقيد بالمصاب فيصير (كنتيا) أى بأن يقعد فى كل مجلس ويقول كنت وكنت •

٩ ـ ثلاثة هى فضائل عمومية ولكنها رذائل فى ثلاثة :

أولا ـ الكرم فضيلة ولكنها رذيلة فى التاجر فى تجارته •

ثانيا ـ التواضع فضيلة عمومية ولكنها رذيلة فى الحاكم

ثالثا المجاملة فضيلة ولكنها رذيلة فى العالم •

التاجر : واجب حرفته ازدياد رأس ماله فاذا تكرم فى تجارته نقص رأس ماله حتى ينفذ فيقعد ملوما محسورا •

الحاكم : اما أن يتواضع عن قوة تصنعا فاذا أنزله الناس عن درجته بحكم الاحتكاك به غلب الطبع التطبع فبطش بهم ـ واما أن يكون تواضعه عن ضعف فينكشف للرعية ضعفه فتسود الفوضى •• أما العالم فان الناس يستفتونه فى دينهم فبمجاملته لهم يضلهم عن دينهم •

١٠ ـ اذا جمعك مجلس مع غيرك لمشـورة فى أمر مهم غامض أولا أو لاصلاح بين خصمك ـ لا تبادر برأيك اعجابا به ولا تعصبـا له بل تأن حتى تسمع آراء غيرك ممن معك فستجد من محسنها وتتجنب خطاياها فتعرض رأيك معدلا به الحكم الفصل •

١١ ـ ان طريق وصول النفع للناس أسهل وأسرع من طريق وصـــول الضرر لهم ـ لأنك من تريد أن تضره مهما كان ضعيفا لا بد أن يقاومك وربما وجد معينا عليك وضميرك يظل يخزك كلما تذكرت أنك ضررت ضعيفا يمكنك صرف ضررك عنه ـ أما من تريد أن تنفعه فانه يستسـلم لك وربمـا أعانك بنفسه أو محسن مثلك فيعظم أجرك ويحسن ذكرك وكلما تذكرت أنك نفعت مستحقا للنفع أو غير مستحق له يزداد سرورك ويطفح حبورك ••

١٢ ـ اخدم غيرك فخدمتك لغيرك تكسبك أجرا وتدفع عنك ضرا ورزقك لا ينقص •

١٣ ـ اذا قصدت أمرا عند ذوى درجات فابدأ بأخذ رأى صغارهم وتدرج منهم للمتوسطين ثم الكبار حتى اذا شاورهم الرئيس •

١٤ ـ لا تكتب ردا لخصم اذا كنت غضبان فتحفظ عليك ـ ولا تدخل للحاكم غضبان ولا متحمسا ولا تدافع خصمك غضبان فتغضب الحاكم •

١٥ ـ تعلمت التواضع من الأمير عبد الرحمن النجومى •

١٦ ـ علمتنى الشجاعة بحيث أنى لم يرتجف قلبى من خوف قط •

١٧ ـ علمتنى القناعة بحيث لم تغلبنى نفسى أن أطلب شيئا لم أصله بسهولة •

١٨ ـ علمتنى ألا أنتقم من عدوى وخصوصا قندما يضطر لطلب حاجة منى •

١٩ ـ علمتنى أن العمل قياما بالواجب ألذ وأيسر وأنم •

٢٠ ـ علمتنى أن أقدم الأهم فى الأعمال على المهم والمهم على الاعتيادى •

٢١ ـ علمتنى أن أترك الدعاية للأعمال تدعو لنفسها متى تمت كما تتم •

٢٢ ـ علمتنى أن العمل للوطن ليس له حد الا الاندراج فى الكفن فان الانسان اذا رأى أنه قد عمل واجبه لا يستطيع أن يعمل بعد ذلك وينسى أن القيام بواجب الوطن ليس له حد الا الدخول فى حفرة الأحد •

٢٣ ـ علمتنى أن العفو أسهل وألذ وأدعى للرجولة وأعظم للأجر وآمن للمستقبل من الانتقام الذى يوغر عليك القلوب ويدعوها لأخذ الثأر •

٢٤ ـ علمتنى اذا أتممت عملا لا أعتمد على عملى له حتى أراجعه لأنه بين تمام العمل واجادته مدة يسيرة جدا بالنسبة لزمن تمامه •

٢٥ ـ علمتنى اذا أردت أن أقول قولا يجب أن أنظر هل قولى له ضرورى (١) أنظر مع من أنا أتكلم (٢) أختار العبارة بحسب درجة المخاطب •

٢٦ ـ علمتنى بما ذقته فى الأسر من ذل ألا أتحامل على مرءوسى أو

أولادي أو خدمى اذا أذنب أحـــدهم وأقول لنفسى أن معصيتى لله أكبر من عصيانه لى وقدرة الله أضعاف أضعاف قدرتى عليه فيطفى غضبى وتنصـــاع نفسى .

٢٧ ـ علمتنى أن أنتفع بكل مصيبة تمر على ولا أتقيد بها عن القيـــام بواجب مهما قلت قيمته أو عظمت صعوبته .

٢٨ ـ علمتنى أن الحماة تستحق الاحترام لأنها تحب زوجتك وتخـدم أولادك لتتفرغ لك زوجك وتحب أولادك وقد جعل لها الشرع الشريف قيمة على حضانتها .

٢٩ ـ علمتنى أن أخلص لصديقى كل الاخلاص ولا أصـدق فيه واش بسوء حتى يظهر لى منه ما يخل بواجب الصداقة فعندها أصرح له بتحويلى عن اعتماده على صداقتى له :

قانون العائلة للاولاد

١ ـ احترام الوالدين لدرجة لا حد لها وتقديس أمرهم ووضعهم بعد الخالق جل وعلا لقوله تعالى : (وقضى ربك الخ ..) الشفقة عليهم والرحمة بهم ...

٢ ـ عدم اللعب مع أولاد الشوارع ...

٣ ـ استعمال اللعب المباح فى مكان خاص لأولاد العائلة وأصدقائها

٤ ـ الحرص على الدروس واطاعة أمر المدرسين واحترامهم ومذاكرة الدروس والغيار كل يوم فى الصباح بعد الحمام .

٥ ـ عدم الخروج من المنزل أو محل الاقامة الا بأمر من والدته أو من يقوم مقامها مع ذكر الغرض الذى يخرج لأجله وميعاد الرجوع الذى يحدده أو يحدد له ..

٦ ـ اذا جمعتك ظروف بأحد الكبار أو أرباب المناصب فلا تتكلم معه بأكثر من الكلام عن المدرسة والدروس والأحوال العمومية وتجنب بحذر كثرة الكلام أو تتكلم عن داخلية منزلك وما تسمعه من حديث العائلات والخدامين ومن أولاد البيت أخواتك وعن أكلك وشرابك ونوع معيشتك الداخلية وعما يخص بالسياسة والرجال وجميع الأحوال التى لها صلة بأعمال الناس الكبار والشخصيات البارزة فى البلد والحكومة

٧ ـ المواظبة على الصلوات الخمسة والطهارة ونظافة الثياب والبدن

٨ ـ لا تنطق بلسانك بسب أحد ـ لا تقول الفواحش وبذىء القول .

٩ ـ لا تشتم الخدامين . لا تسب أحدا بما فيه ـ فضلا عما ليس فيه .

١٠ ـ لا تمدد يدك للتقبيل الا اذا أمسكها المستلم بحرارة مسك من يطلب تقبيلها للبركة .

١١ ـ كن صبورا على المكاره وشجاعا وأمينا .

(تم الجزء الثالث بحمد الله)

الدين • السمعة • المصلحة • الصحة • طلب الحظ • الجمال • الشعور • الحس بجمال الطبيعة

تعريف المدينة والقرية

الناس فى سكنهم ينقسمون الى ثلاثة : البادية وهم أقرب الى الانسان بطبعه فى طعامه وسكنه وبساطة لباسه وقلة قصوره ، وتغلب عليه عادةالشجاعة والكرم ــ وينطبق عليهم مثلهم القائل : « الخلا يعلم ولدك الشطارة • وبنتك الحرارة »

المدينة فى اصطلاح مقامنا هذا تطلق على أكبر حلة يسكنها أكبر حاكم وتصدر منها الأوامر وترد اليها الأموال ــ وترد فيها المظالم ــ أما القرية التى نعنيها فهى حلة تشبه البادية فى البساطة والمدنية فى الاقامة •

سادتى ــ المدنيات أو الحضارات مهما تعددت وتفرعت تندرج تحت هذه الأقسام الأربعة : الدين ، السمعة ، المصلحة ، والحظ ، والحظ لا قيمة له عند العقلاء •• المدينة فى كل منها من نصيب الرقى فالعلم بكل أنواعه دينيا أو مدنيا أو صناعيا يرحل بصاحبه من القرية الى المدينة طالبا للعلم الذى هو : السمعة عند من يعرفون فضله فيطلبونه فيرتفع قدر حامله وينتشر اسمه مقرونا بفضله ــ وكذلك طلبا للمصلحة التى يحصل عليها ماديا وأدبيا عند الملوك ومن فى دائرتهم ومن لم ينتقل بعلمه من القرية ينقص علمه ويجهل قدره حتى يشتم ويضرب من العامة كما حصل لأحد العلماء بقرية من ضواحى رفاعة •• وقد رأينا أن أهل القرية يرد لأحدهم كتاب فى شأن من شؤونه فيدور به كثيرا من القرى بجواره ليجد من يقرؤه له •• وأهل القرى يكونون أرضا خصبة للدجالين ، يزرعون فيهم خرافاتهم خصوصا ما يتعلق بالدين والطب ••